الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي –تبسة–
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المهمش الاجتماعي وتأثيره في المركز رواية "منتجع الساحرات" لأمير تاج السر أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي (ل.م.د)
تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين
– كريمة روابحية
– نسرين لعـــور

إشراف الدكتورة:
آمال كبير

لجنة المناقشة:

الاسم	الجامعة الأصلية	الرتبة	الصفة
ليلى نصيب	جامعة العربي التبسي	أستاذ محاضر ب	رئيسا
آمال كبير	جامعة العربي التبسي	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا
سليمة بالنور	جامعة العربي التبسي	أستاذ محاضر ب	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2019–2018

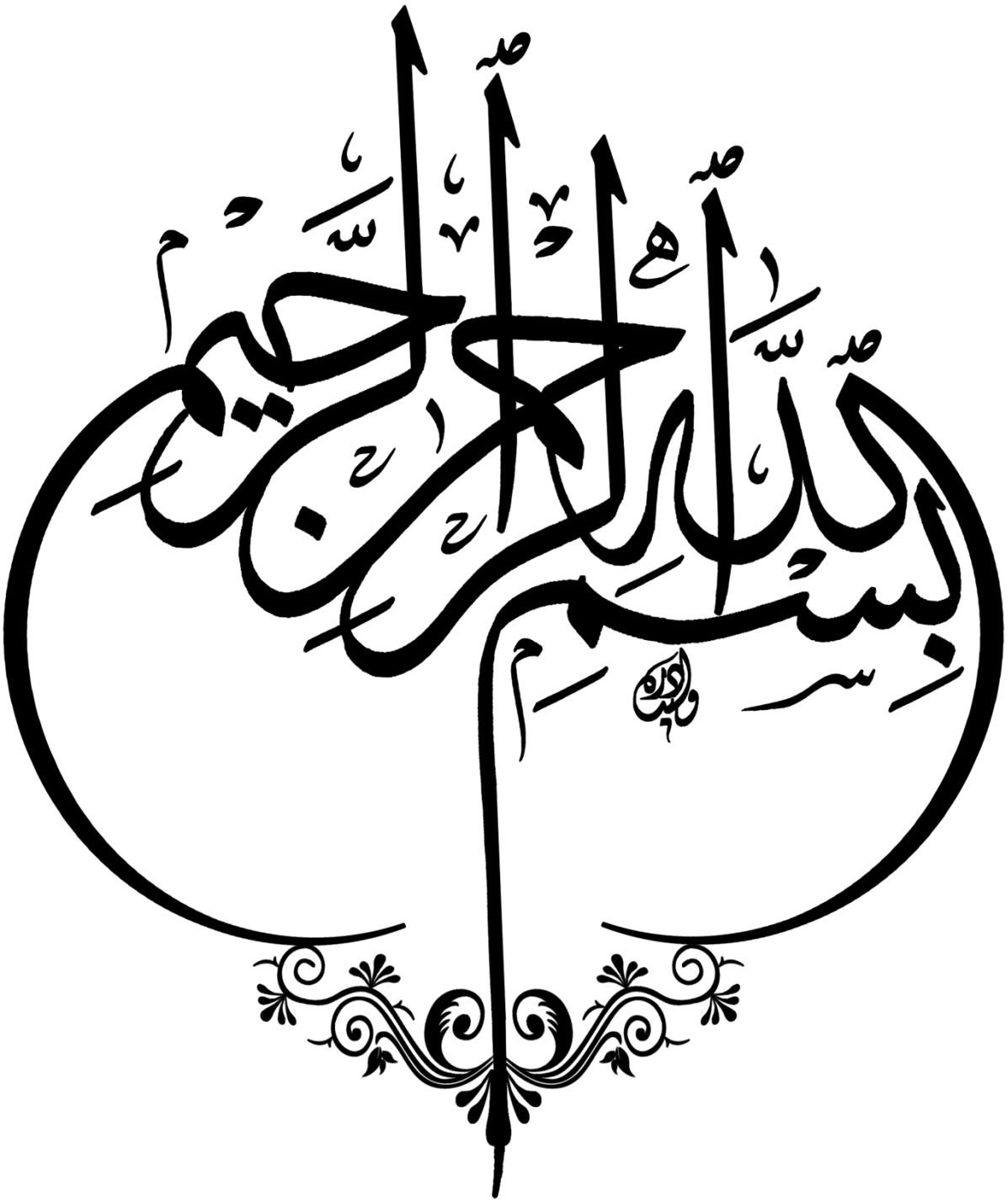
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعد الرواية النوع الأكثر تناولا في المجال الأدبي؛ لارتباطها بالإبداع وإلمامها بكل الأنواع الأدبية ودراستها لأهم القضايا؛ خاصة روايات ما بعد الحداثة، التي أصبحت أكثر ملامسة للواقع وأكثر ولوجا إلى القضايا الجديدة كقضايا المرأة ومشكلات الأقليات وقضايا الحريات والسلطة والعنف وعلاقة الأنا بالآخر...الخ

ويعدّ الهامش والمركز تسميات حديثة على عالم السرد وقد صارت من المواضيع القوية الجالبة للاهتمام السردي وبالتالي الاهتمام النقدي ممثلا بالنقد الثقافي الذي تعد الموضوعات المبتكرة هذه أهم مجالاته.

والهامش الاجتماعي فرع من فروع الهامش المختلفة، وهو يرتكز على قضايا المجتمع خاصة الطبقة الفقيرة والضعيفة.

يعد المركز والهامش من الثنائيات التي لا يمكن تجزءتها عن بعضها، فكل منهما يأتي بوصفه مكانة خاصة؛ فالمركز هو الركيزة الأساسية التي تنطلق منه الأوامر، والهامش هو كل ما دون تلك الركيزة، وقد يخرج عن تنفيذ أوامره – كون المركز يلتمس كل القيم والهيمنة والسيطرة على العادات والتقاليد المتعارف عليها، إذ يسعى إلى إخضاع الهامش إلى مركزيته والتسلط عليه عن طريق استخدام القوة التي تساعد على استمرارية السلطة، فيبحث عن استنزاف وقهر الهامش، أما الأخير فيبحث عن مكانة وفرصة للتميز وذلك عن طريق التمرد على ما يتعرض إليه من تهميش ولامبالاة وطرد من دائرة المركز، أو بعدم الخضوع للسلطة القائمة على الإكراه، والتي تكون لها عادة مكانة مقدسة تسعى لقتل وهدم الآمال، من خلال ممارستها للهيمنة، لتقوم ببتر الإبداع وبالنسبة إليها على حد تعبير (الدكتورة هويدا صالح): الهامش بلا قيمة فهو على حافة الواقع.

لقد أثار الهامش الاجتماعي ضجة كبيرة لما يحمله من كشف وفضح للواقع العربي خاصة في المجتمعات الفقيرة، وقد تناول قضايا الهامش وما يعانيه المهمشون اجتماعيا وسياسيا وإنسانيا الكثير من كتاب الرواية العربية جاهرين بما كان يعرف بالمسكوت عنه.

من هؤلاء الكاتب السوداني (أمير تاج السر) الذي خاض قلمه في قضايا الإرهاب والسبي والظلم تارة، وفي مآسي الإنسانية تحت قهر الملاجئ تارة أخرى؛ كما في روايته – قيد البحث– (منتجع الساحرات).

ومن دوافع اختيارنا لهذا الموضوع: رغبتنا في معرفة كيفية يتم تهميش الطبقة الفقيرة في المجتمع، المرأة والرجل عامة واللاجئ خاصة، وكذلك لأنه موضوع جدير بالبحث في مكنوناته وفي ما يحمله من تعرية للواقع، وأيضا لأنه يطرح العديد من الإشكالات التي تدور حول المرأة أولا واللاجئة ثانيا وعلاقتها بالآخر وكيف يتقبلها أو لا يتقبلها، ومعاناة المهمشين وتأثيرهم على (المركز). كما أن الرواية على حد اطلاعنا لم يسبق أن تناولها بحث أكاديمي من قبل فهي جديدة في هذا السياق.

ومن خلال هذا تتمحور إشكالية البحث في: ماذا نعني بالهامش والمركز وأين تكمن علاقتهما؟ وما هي الفئات المهمشة اجتماعيا في رواية (أمير تاج السر) "منتجع الساحرات"؟ وكيف كان تأثير الهامش (اللاجئ/ المرأة) على المركز، وهل كان ذلك التأثير إيجابيا فعلا أم سلبيا خانعا؟

وقد وسمنا مذكرتنا ب: (المهمش الاجتماعي وتأثيره في المركز، رواية "منتج الساحرات" لأمير تاج السر أنموذجا)

وللإجابة عن هذه الأسئلة اعتمدنا خطة مكونة من: مدخل وفصلين، تحدثنا في المدخل عن أهم القضايا التي تناولتها الرواية العربية المعاصرة، أما الفصل الأول ويتمثل في البحث في فحوى الهامش والمركز، فقد احتوى على مبحثين، الأول: تناولنا فيه

الهامش في المفهوم اللغوي والاصطلاحي، وتكلمنا عن المرأة والهامش الاقتصادي والجغرافي والديني، والثاني: كان بحثا في ماهية المركز وفساد السلطة وهيمنتها.

أما الفصل الثاني فكان تطبيقا على رواية منتجع الساحرات تضمن ثلاث مباحث، كان الأول عن المهمش الاجتماعي والثاني عن الهيمنة السلطوية، وأخيرا تحليل لتأثير الهامش الاجتماعي على المركز، وقد أتممنا بحثنا هذا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

ولأن دراسة الأنساق المضمرة ضمن إجراءات التحليل والوصف والتأويل كانت الأنسب لإخراج مكنونات الرواية، إذ يظهر موضوع الهامش الاجتماعي والمركز في أدب (أمير تاج السر) الجوانب الخفية لنفوذ السّلط التي لا تعرف الرحمة، ومأساة الفقر المدقع، والصراع من أجل الرزق، بالإضافة إلى قضية اللجوء وما تحمله من إفرازات على جوانب السياسة والمجتمع والثقافة بشكل أكيد، فقد كان المنهج الأمثل في هذا البحث: المنهج الثقافي؛ لأن قراءة خطابات الهامش لا يمكن إبعادها عن قراءة الأنساق، ودراسة جوانب التأثير والاهتمام بالهامش بصفة خاصة كون صوته كان يتعالى في أنحاء العالم، ويقوم بالكشف عن ما هو موجود في أنساق النص لتحرير الأفكار والجهر بها.

أما أهم الأبحاث التي سبقتنا إلى هذا الموضوع فقد كان كتاب (الهامش الاجتماعي في الأدب) للدكتورة هويدا صالح، وإن كان هذا الكتاب درسا يميل إلى الخصوصية في الطرح باعتباره يتناول المجتمع المصري بشكل مباشر، كما أنه يميل إلى التنظير عموما، إلا أنه كان مرجعا مهما جدا في دراستنا لتقاطعه مع كثير من الأفكار التي عرضنا إلى تحليلها ونحن نصادفها في رواية (منتجع الساحرات).

أما بعض المراجع التي استفدنا منها في جانب النقد الثقافي أو نقد الرواية العربية المعاصرة فيمكن أن نذكر: المكان في الرواية العربية لعبد الصمد زايد، الرواية العربية وإشكالية التصنيف لساندي سالم أبو سيف، النقد الجندري لعبد النور إدريس...الخ

وككل البحوث واجهتنا بعض الصعوبات منها: جدة هذا الموضوع وقلة الدراسات عن الرواية المختارة بالذات.

وفي الأخير نتوجه بالشكر الجزيل، وفائق التقدير إلى "جامعة العربي التبسي" التي أتاحت لنا فرصة إتمام مشروع الماستر 2، وإلى الدكتورة "آمال كبير" على دعمها وتوجيهها وصبرها.

مدخل:

قضايا الرواية العربية المعاصرة

عرفت الرواية العربية المعاصرة انتعاشا غير مسبوق كميا ونوعيا، وذلك لظهور مراكز ثقافية جديدة أسهمت –في كل الأقطار العربية– في الإبداع الروائي، إذ لم تبق ريادة الإبداع الروائي متوقفة على المراكز الثقافية التقليدية (مصر والشام) فحسب بل انخرطت فيها كل الأقطار (الخليج، المغرب العربي، العراق، اليمن...)، وتعدت (الرواية) إلى بروز نخبة من الكاتبات اللواتي حملن لواء الرواية النسوية التي تفوقت أحيانا على الكتابة الذكورية التي تعدّ الأولى في الظهور والهيمنة، وقد «ألمحت الناقدتان النسويتان ساندرا جيلبرت وسوزان جوبار حديثا، إلى أنه رغم التمييز الخطير ضد الكتابات النسائية، إلا أن الزيادة الملموسة في عدد الكاتبات المحترفات منذ نهايات القرن التاسع عشر قد أثارت أزمة وقلقا وسط الرجال العاملين بالأدب، سواء منهم الكتاب أو النقاد...»[1].

وقبل الولوج إلى نشأة الرواية نقدم تعريفا موجزا لها:

1– اللغة:

جاء في المعجم الوسيط قولهم: «روى على العبير ريا، استسقى، روى القوم عليهم ولهم: استسقى لهم الماء، روى البعير، شد عليه بالرواء أي شد عليه بألايسقط من ظهر البعير عند غلبة النوم روى الحديث أو الشعر رواية أي حمله ونقله، فهو راو (ج) رواة، وروى البعير الماء رواية حمله ونقله، ويقال روى عليه الكذب، أي كذب عليه وروى الحبل ريا: أي أنعم فتله، وروى الزرع أي سقاه والراوي: راوي الحديث أو الشعر حامله وناقله والرواية: القصة الطويلة»[2]. وفي العصور القديمة تأخذ الرواية صورتها على شكل ملحمة، أما في القرون الوسطى فتعتبر تلك القصة الطويلة الخرافية، أما في بداية

1– بام موريس: الأدب والنسوية، تر: سهام عبد السلام، ط01، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص 90.

2– إبراهيم مصطفى: المعجم الوسيط، ج01، (د.ط)، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، (د.ت)، ص 384.

القرن التاسع عشر تندرج تحت القصة الطويلة الرومانسية، ومع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر يطلق عليها القصة الطويلة الواقعية، وهذا إلى كون الرواية تأخذ عدة دلالات لغوية ومعاني اصطلاحية كثيرة.

2- اصطلاحا:

تعدّ الرواية أهم الأنواع الأدبية والأكثر شيوعا ورواجا وهي سرد نثري طويل يصف شخصيات حقيقية أو خيالية، وتعالج حادثة خيالية أو حقيقية على شكل قصة متسلسلة وطويلة، تتميز بالتشويق، وتتناول القضايا التي تجسد الوقائع الاجتماعية والسياسية...، وهي «جنس أدبي يشترك مع الأسطورة والحكاية... في سرد أحداث معينة تمثل الواقع وتعكس مواقف إنسانية وتصورها بالعالم من لغة شاعرية وتتخذ من اللغة النثرية تعبير التصورات الشخصيات، والزمان والمكان والحدث يكشف عن رؤية العالم»[1]. فالرواية عبارة عن مرآة عاكسة للمجتمع، إذ تقوم بتجسيد حياة الأفراد وأهم الروابط الإنسانية وتصورها بلغة شاعرية، وفي تعريف آخر للرواية: «هي أوسع من القصة في أحداثها وشخصياتها، عدا أنها تشغل حيزا أكبر وزمنا أطول، وتعدد مضامينها، كما هي في القصة فيكون منها الروايات العاطفية، والفلسفية والنسقية والاجتماعية والتاريخية»[2]. تأخذ الرواية أبعادا كثيرة ومرجعيات مختلفة لتجسد الواقع بقضاياه المتنوعة.

1- سمير سعيد حجازي: النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، ط01، مؤسسة طيبة، القاهرة، مصر، 2005، ص 297.

2- عزيزة مريدن: القصة والرواية، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971، ص 20.

3- نشأة الرواية العربية:

في البداية نشير إلى مصطلح القصة كونها عنصرا مميزا لا يمكن تصور أي فن دون هذا العنصر، فإذا تأملنا في تاريخ الأدب نجد أن القصة تتمظهر في قوالب متنوعة عبر أزمنة مختلفة.

العصر الجاهلي: تظهر القصة ليلا في نواديهم ومجالسهم ليسردوا أعمالهم وبطولاتهم الفروسية... «كان للعرب قصص وأخبار، تدور حول الأنساب والغزو والأيام، وكانوا يسردونها في مجالسهم ومضارب خيامهم»[1]. فالسمر عندهم عادة يومية لمعرفة التجارب وأخبار السابقين وأخذ العبر منهم.

«وتتسم القصة الجاهلية بجملة خصائص فنية، منها: بساطة البنية الفنية، الحبكة الغير المترابطة، والشخصية النمطية ذات الصفة الواحدة، والأحداث غير الواقعية، ولا تلتزم بعنصري الزمان والمكان»[2]. فالأدب الجاهلي بصفة عامة سواء أكان شعرا أم نثرا لم يصل منه إلا القليل خاصة القصة نذكر منها بطولات عنترة بن شداد «أما قصص المجون فتدور حول ألسنة الخلعاء الذين تروى أخبار لهوهم على سبيل المتعة الهابطة، ومنها قصة دار جلجل التي وردت في الحديث عن حياة امرئ القيس، وقصة المنخل والمتجردة، وقصة تأبط شرا مع امرأة من بني فهم»[3]. وأيضا قصص الصداقة والوفاء...

1- سامي يوسف أبو زيد، منذر ذيب كفافي: الأدب الجاهلي، ط01، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2011، ص 331.
2- المرجع نفسه، ص 332.
3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ظهور الإسلام: تميزت اللغة العربية عن باقي اللغات ويرجع الفضل إلى نزول القرآن الكريم، كما أن القرآن الكريم يحمل العديد من القصص ذات أبعاد هادفة وليست للتسلية والترفيه بل لأخذ العبرة والموعظة. «لقد استعمل القرآن الكريم لفظة القصة بمعنى الإعلام والأخبار في عدة آيات»[1]. منها قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ ﴿٢٥﴾﴾[2]، وفيه قصة آدم وحواء، إبليس وآدم والملائكة، قصة نوح، إبراهيم، إسماعيل، ويوسف، قال تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾[3]. وسليمان عليه سلام الله وبركاته، وقصص أخرى تتمثل في:

قصة أهل الكهف، إرم ذات العماد، عام الفيل... فكان الصحابة رضوان الله عليهم يقصون القصص من وقت لآخر، دون تغيير أو تطوير فني في بنية القصة.

العصر الأموي: كانت القصص وأخبار السلف تروى في بلاط الحكام والخلفاء وكذلك عامة الشعب يذكرون القصص بسبب اختلاط العرب بغيرهم.

العصر العباسي: عصر الازدهار والتطور في العلوم والفنون وذلك بالرعاية التي حظي بها المفكرون، ومن الجانب الأدبي فقد استقدم هارون الرشيد العلماء من كافة الأرجاء، وذلك بغرض ترجمة شتى مجالات الفنون إلى العربية أو ما يعرف بلغة القرآن الكريم ومن أشهر الحكايات والقصص نذكر كليلة ودمنة (الفارسية القديمة)، وظهور نوع آخر يسمى بالمقامات وهي هادفة للتعليم بصورة هزلية منها: المقامات للهمذاني أوالحريري، وبعد العصر العباسي وبداية الحكم العثماني أصبح الأدب في حالة شبيهة بالموت الفني وبنوع من الركود الأدبي بسبب تهميش الجانب الفني وهدم المدارس.

1- سامي يوسف أبو زيد، منذر ذيب كفافي: الأدب الجاهلي، ص 331.

2- سورة القصص، الآية 25.

3- سورة يوسف، الآية 03.

إذا فالقصة منذ العصر الجاهلي إلى غاية العصر التركي لم تلق تطورا فنيا أما الرواية فلم تظهر حتى العصر الحديث.

العصر الحديث: ثمة اختلاف بين النقاد حول ظهور الرواية العربية وارتباطها بفن الرواية العالمية، فالبعض يعتقد بأن الرواية الحديثة ليست إلا شكلا أدبيا جديدا مستورا من الخارج منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر «الرواية مصطلح فني غربي النشأة يطلق على قالب أدبي محدد الخصائص حديث النشأة، لا يعود عند الغربيين إلى أبعد من القرن الثامن عشر ولكون فن الرواية أحد الفنون الأدبية المتعددة فهو يشترك معها في كثير من الأسس والغايات ولأن المرجو من الأدب عامة، من منظور المعتدلين في دارسيه ومبدعيه أن يمنحنا متعة جمالية ونفعا عمليا يخصب رؤيتنا للحياة وفهمنا للأحياء كان هذا بعينه المنشود من وراء العمل الروائي»[1]. ففي القرن التاسع عشر شهدت الرواية العربية نقلة نوعية جعلتها متفردة من جانبها الضمني «لا أحد يمكن أن ينكر أن مشروع النهضة الذي تولدت ملامحه مع مطلع القرن التاسع عشر في عالمنا العربي قد اعتمد على معادلة طرفاها: التراث العربي الإسلامي الذي تم توحيده بجوهر الإسلام وذاتيته المطلقة من جهة، التراث الأوروبي الغربي الذي تم تركيزه في الكشوف العلمية وسماها التكنولوجيا من جهة أخرى»[2]. يعود الفضل في تطور الرواية إلى اجتهادات الأدباء والنقاد وتعتبر رواية (زينب) أول رواية عربية لمحمد حسين هيكل ثم (سارة) لعباس محمود العقاد... ففي رواية زينب يصور لنا الكاتب شخصية المرأة المصرية وتعد تمهيدا لثورة 1919، ليصور واقع الريف المصري في عاداته وتقاليده التي لا تعترف بمشروعية الحب بين الرجل والمرأة، وقد توفرت فيها العناصر الفنية التي ساهمت وبشكل كبير في النهوض

1- عبد العزيز ضويو: التجريب في الرواية العربية المعاصرة: دراسة تحليلية لنصوص روائية حديثة، ط01، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014، ص 30.

2- نصر حامد أبو زيد: النص والسلطة والحقيقة إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، ط05، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2006، ص 26.

الفكري «ينبغي الاعتقاد بأن الرواية عبر تطوراتها الفنية لم تكن منفصلة تمام الانفصال عن الواقع الاجتماعي وإذا كان في الإمكان الاعتقاد بغير ذلك فإن هذا يؤدي إلى جعل الرواية تسير بحركة منعزلة تماما عن مسار تطور التاريخي للفنون لاسيما منها تلك المتعلقة بالأدب»[1]. فلا توجد رواية تخلو من القضايا الاجتماعية بكل أنواعها: العنف/ التسامح، التطرف الديني، الصراع حول السلطة وخاصة وضعية المرأة في الوطن العربي، وقد تطورت أيضا من الناحية الشكلية وذلك بتكسير قواعد الكتابة الروائية الكلاسيكية «ولعل أبرز ملمح في تحولات الرواية العربية إنما يتجلى بخروج الرواية العربية من شكلها التقليدي ودخولها في عوالم التجريب والحداثة»[2] بالتخلي عن السرد الخطي التصاعدي المتسلسل، واعتماد تقنية الاستباق والاسترجاع وغيرها «إذا كان مصطلح الرواية الجديدة يستند معرفيا إلى اتجاه جديد ظهر في فرنسا في أوائل الخمسينات من هذا القرن، ويقصد به في مفهومه العام، الثورة على أسلوب الرواية التقليدية»[3]. فقد تميزت الرواية بالعمق والثراء والرموز وإثارة الأسئلة الفلسفية «بدأت أولى محاولات التأسيس لمصطلح يناسب التجارب الجديدة التي بدأت على استحياء في أوائل الستينات بجهود نقرأ ما استقر في الذهنية العربية من مفهومات تتصل بالأنواع الروائية، وآفاقه وحدوده»[4]. فالرواية الجديدة تدعو إلى كسر المألوف، والابتكار والتجريب وذلك من باب التغيير وكسر الرتابة، ليعطي السرد مصداقية أكثر. فيمكننا القول أن الرواية قطعت أشواطا من التطور من حيث نوع الكتابة والمضمون فسابقا كانت تستلهم من كتاب الغرب خاصة من الناحية الضمنية، ثم ظهر كتاب كبار في البلاد منهم

1- فتحي بوخالفة: التجربة الروائية المغاربية: دراسة في الفعاليات النصية وآليات القراءة، ط01، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2010، ص 90.

2- نزيه أبو نصال: التحولات في الرواية العربية، ط01، دار الفارس، عمان، 2006، ص 17.

3- ساندي سالم أبو سيف: الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ط01، دار الشروق، عمان، الأردن، 2008، ص 223.

4- المرجع نفسه، ص 267.

نجيب محفوظ الذي كتب أكثر من ثلاثين رواية، عبد الحميد جودة السحار، علي أحمد باكثير...

يعد الروائي نجيب محفوظ أمير الرواية العربية في العصر الحديث ومؤسس ورائد للرواية العربية المعاصرة، حيث تحمل رواياته صورة عن مدينة مصر، ويعتبر نجيب محفوظ ورفاقه ممن ساهم في تبلور وتأصيل الرواية ولكن بعد ما عرف العالم العربي ثورات وغزوات قديما وحديثا خاصة بما يعرف بثورات الربيع العربي فنطلق عليها بالرواية العربية المعاصرة وهي مرحلة مختلفة، حيث تميزت بعمق الرؤية والأسئلة الكبرى أكثر من البحث عن أجوبة «انخراط الشكل الروائي العربي، بأشكال وتقنيات جديدة في تقويض الشكل الروائي الواقعي التقليدي، فطرحوا قضايا عديدة ترتبط بالرهانات التحديثية وسبل مقاربتها، هكذا على سبيل المثال يتساءل أحمد البابوري 1988 كيف يتأتى لنا كذلك في ضوء نفس النقد العربي القديم أن تتناول بالتحليل روايات عربية معاصرة متأثرة بتقنيات من تداخل مستويات التعبير وتنوع منظورات السرد وتعدد الأصوات واللغات»[1].

وأهم تقنية تأثر بها العرب هي "التناص" بكل أنواعه الذي يعد عنصر مهم وفعال، إذ أصبحت الرواية لا تخلو من هذه التقنية حيث يعمد فيها الكاتب إلى توظيف التراث الشعبي والقناع خاصة في الروايات الخاصة بالسياسة وأيضا التناص الديني... والأساطير والتاريخ والشخصيات.

قضايا الرواية العربية المعاصرة:

تعددت القضايا في الرواية العربية بتعدد أنواعها نذكر:

1- عبد العزيز ضويو: التجريب في الرواية العربية المعاصرة، ص 04.

القضية التاريخية: تهتم الرواية التاريخية بذكر الأحداث والوقائع التاريخية ما لها صلة بالشخصيات العظيمة المستمدة من القرون الماضية وأحداثها وأشهر روائي في هذا المجال الكاتب اللبناني "جرجي زيدان" الذي أصدر أكثر من عشرين رواية تاريخية، وقد تغير مفهوم الرواية التاريخية إذ أصبحت الكتابات عكس تاريخ الطبقة العامة من الناس.

ويشكل أمين معلوف علامة مهمة في الرواية التاريخية على مستوى الثقافة العربية والعالمية وقد ألف روايات عديدة منها: سمرقند، ليون الإفريقي...

في رواية "شوق الدرويش" للكاتب السوداني "حمور زيادة" حيث يعيد بناء حقبة زمنية من الماضي على نحو تخييلي، قرأ تاريخ الدولة المهدية في السودان بشكل متمرد.

في حين نجد أن الروائي الغيطاني «زواج بين مستويين من مستويات السرد أحدهما جاء فيه التاريخ على هيئة رمز كبير يخفي دلالة حضارية معاصرة، والآخر يتمثل في توظيف ذلك الرمز بإضفاء أبعاد واقعية عليه لتصوير الحياة، أدق تفاصيلها آنذاك، وظروف الناس وأحوالهم وأسواقهم لكي يغني التوظيف الرمزي التاريخي ولا يجعل منه رمزا منغلقا لا يتلشف مغزاه إلا في سياق قراءة متأنية فاحصة للراوي»[1]. فبهذا اختلف عن كتاب الرواية التاريخية، وتبيان الفرق بين الروائي والمؤرخ.

كما لا يمكن الفصل بين الفصل بين التراث والتاريخ باعتبار الأول بمثل الفعل التراثي وصورة أخرى للتاريخ وهو فعل إبداعي وانتاج إنساني أما التاريخ فهو جملة من الأحداث والوقائع التي تنقل إلينا عبر الكتب.

رواية ليون الإفريقي (أمين معلوف) صدرت عام 1986 تدور أحداثها قبل 500 عام ومن خلال الاطلاع على هذه الرواية نرى أن التاريخ يعيد نفسه إذ تناول فيها الكاتب التراث حسب وجهات مختلفة ورؤى متعددة فاجتمعت الرواية على مجموعة من الكتب

1- ساندي سالم أبو سيف: الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ص 128.

(كتاب غرناطة، كتاب القاهرة، روما) كما تحدث أيضا عن إفريقيا وانشقاق اسمها وتضاريسها وعن ديانة المفارقة، والمناطق والمدن والقرى ووصف الأسواق وشعراء العامية في فاس وعن عملية ختم القرآن، والظروف التي عاشتها غرناطة.

الرواية قصة خيالية يمكن إسقاطها على الواقع المعاش تدور أحداثها حول شخص يملك أكثر من حماة ويعيش في أكثر من بلد ويتكلم أكثر من لغة، ولد بغرناطة ويعيش شبابه بين فاس والقاهرة وكهولته في روما ويعود من نابولي إلى إفريقيا.

استشعار رأي الكاتب بلغة ورؤية فنية ويظهر لون من ألوان النقد مثل نقد الواقع، إذ عمد على أخذ التاريخ وإعادة صوغه بأسلوب مختلف وإرفاقه بطابع جمالي، فالرواية التاريخية «لابد من أن تختص بفترة تاريخية محددة يعمل فيها الكاتب أدواته الفنية لإعادة إظهار هذه الفترة إظهارا فنيا موحيا بعيدا عن سطوة الوثائقية»[1].أي أن الكاتب يأخذ حادثة تاريخية ويستخدمها برؤية مغايرة.

القضايا الاجتماعية: اهتم العرب بالرواية الاجتماعية بغية التعبير عن ظروفهم وقضاياهم نتيجة تأزم الواقع العربي لأنها أكثر شيء يستلهم القراء وهذا النوع من الرواية أكثر رواجا، إذ تحدث عنها شوقي ضيف في كتابه (الأدب العربي المعاصرة في مصر): «أما القصة الاجتماعية الطويلة التي بدأها هيكل فإنها خطت خطوات واسعة مع نهضتنا الأدبية بعد الحرب الأولى من القرن، إذ وجد لها غير كاتب أصيل، وأصبح كل كاتب فيها أسلوبه ومميزاته الشخصية التي تنفرد بها عن أقرانه، ومن أهم من لمعت أسماؤهم فيها طه حسين والمازني»[2]، إذ أن هذا الفن يعبر عن الكينونة الاجتماعية للمجتمع على مر الزمان والتغيرات الاجتماعية فـــ: «منذ انطلاق الرواية العربية الحديثة وهي تعرف تطورات وتحولات في الشكل والمضمون بفضل تطور بنيات المجتمع وهذا التغير في

1- نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، ط01، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2006، ص 114.

2- شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، ط10، دار المعارف، (د.ت)، ص 210.

التعبير الفني كان نتاجا للتغيير في الواقع»[1]. أي أن الرواية الاجتماعية مسايرة للواقع الاجتماعي ولكن بطريقة فنية بعيدة عن التقريرية «ما أجمل الرواية العربية التي ظلت مرتبطة بالواقع بعد أن عملت على استحضاره، بطريقة فنية»[2]. فعلى الكاتب أن يحاكي الواقع الاجتماعي بلغة عذبة ملامسة لما يعيشه المجتمع العربي من ظلم وقهر واستبداد وتهميش...

1- العلاقات الأسرية: من المعروف أن الأسرة هي المرتكز الأساسي في المجتمع العربي للبناء، فترابط الأسرة يعني الأمان والاستقرار «فالأسرة هي المسؤولة الأولى عن القيام بما نطلق عليه التنشئة الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية هي عملية تعلم يتعلم فيها لأفراد جميعهم من خلال التفاعل الاجتماعي الأدوار الاجتماعية، ويمتثلون ويكتسبون معايير اجتماعية واتجاهات نفسية وأسس التصرف والسلوك بأسلوب اجتماعي توافق عليه وتقره الجماعات البشرية»[3]. إذن فالأسرة هي المنبع والمسؤول الأولى في تنمية أفراد المجتمع فبصلاحها يصلح المجتمع وأن فسدت الأسرة فالنتائج تنعكس على هذا المجتمع كون الأسرة هي المحرك الفعال في التأثير فكل عضو في هذه الأسرة له، دور خاص يقوم به ويتحمل مسؤوليته خاصة الوالدين وربما تكون علاقة الطفل بالأم أول العلاقات في حياته... وربما تكون هناك عوامل تؤثر في ذلك الطفل منها الاقتصادية أي الوضع المالي لتلك الأسرة وأيضا البيئة المحيطة به.

رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" يحكي ظروف المجتمع وما ينتج عنه من تفكك الأسرة، حيث تدور أحداث الرواية حول واقع أسرة تعيش نوع اللامبالاة خاصة من جهة الأب الذي غادر المنزل نهائيا ثم تبدأ الأم بالإهمال ليعود بالسلب على الأولاد،

1- ساندي سالم أبو سيف: الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ص 87.

2- أحمد فرشوخ: حياة النص، دراسات في النص الأدبي، ط01، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، 2004، ص134.

3- سمير عبد الوهاب أحمد: أدب الأطفال، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ط01، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2006، ص 215.

خاصة هذا الشاذة لتجعل من تصرفات الأولاد غير مقبولة وعديمة الرحمة لدرجة العبء في تكريم جثة الأم لتتحول إلى خردة يجب التخلص منها، لتكون هذه الرغبات محاولة للعيش، كما كان فيها جانب سياسي يصف فيه الروائي الظلم الذي تعرض له الشعب السوري من قبل الحكم الدكتاتوري.

2- صراع الحضارات (الأنا والآخر): يعد الصراع الحضاري من أهم المواضيع التي عالجتها الرواية العربية وهذا ناتج عن الاحتكاك والامتزاج العرب مع الغرب أو الأنا مع الآخر وتبادل الثقافات في مختلف المعارف «اللقاء بين الشرق والغرب قضية وقبل ذلك أن تكون واقعة، أوسع من أن تكون أدبية أو فنية فقط، فاللقاء تحقق عبر العصور مرات عديدة... فمن جهة كان للقاء تأثيراته الكثيرة والغنية بإيجابياتها بشكل خاص في الأدب العربي ليكون بالنتيجة موضوع المؤرخ الأدبي والدارس المقارن... ومن جهة ثانية لم يكن للأدب الإبداعي إلا أن يتناول هذا اللقاء ويتأثر به»[1]. وكل هذا يعود بالفائدة كون الآخر يتميز بنوع من الحرية والتطور والتقدم في شتى المجالات كما له انعكاسات فكرية واجتماعية وعاطفية تتخذ أشكالا عديدة كـــالعنف «إن "التعارض" بين الأنا والآخر أو بين الإسلامي أو أوروبا المسيحية بدأ يتبلور مع انكشاف الطابع الاستعماري الانبريالي لأوروبا السياسية في علاقتها بالعالم العربي والإسلامي ومع تبلور "التعارض" نشأت الحاجة إلى "التوفيق" وبدأ التفتيش داخل تراث الذات الإسلامي بصفة خاصة عن مبررات لقبول ما هو صالح فقط من منتجات الغرب بالعقلية والفكرية من جهة، والاجتماعية والسياسية من جهة أخرى وكان هذا "التوفيق" هو محور إنجاز التيار الإصلاحي الذي مثله بالأساس جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده»[2].وهذا الاختلاف بين أوروبا والعالم العربي شكل تصادم بين الأمي والمتعلم والقيم الدينية والقيم المادية.

1- نجم عبد الله كاظم: الرواية العربية المعاصرة والآخر، ط01، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2007، ص 63.

2- نصر حامد أبو زيد: النص والسلطة والحقيقة، ص 29.

رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح تتناول في مضمونها مسألة العلاقة بين الشرق والغرب ولقاء الثقافات وتفاعلها وصورة الآخر الغربي بعيون الشرقي والعكس صحيح الذي ينظر إليه كشخص قادم من عالم رومانسي يسوده السحر ويكتنفه الغموض الذي يذهب ليدرس وفي روايته هذه يصور العلاقة من خلال بطله السوداني وهذا خلال رحلته التي اكتشف فيها عالم آخر واسع وأعمق ومدى تأثره وانبهاره بالعالم العربي بالإضافة إلى جانب تميزه وذكائه العقلي وتحصيله الجامعي العالي، وكانت نظرته لأوروبا نظرة حقد انعكست على علاقاته بالنساء، وإثبات فحولته ومغامراته العاطفية، فقتل زوجته وانتحرت ثلاث نساء انجليزيات فلم تكن علاقته بهن غرض بناء الأسرة بل علاقة الجنس للجنس وكأنه يحاول الانتقام من مستعمر بلاده، كما تناول قضية التمييز العنصري نتيجة بشرته السوداء، فكان يعيش نوع من الإهانة والذل، وبالإضافة يقدم لنا صورة ساحرة على الحياة في المجتمع الريفي.

3- الاغتراب (الهوية):

أ- **الاغتراب الداخلي:** هو كل ما يحس به الإنسان من وحدة رغم وجوده في الوسط الاجتماعي وبصفة أخرى صراع بين الشخص وذاته رغم وجوده بين أفراد العائلة إلا أنه يحس بأنه منعزل عن العالم الآخر فينجر عنه عقد نفسية تجعله منطوي على نفسه.

ب- **الاغتراب الخارجي:** الاغتراب خارج الوطن هو فقدان للهوية الوطنية ناتج عن الحروف أو الظروف المعيشة وغيرها ويسبب طمس لهويته وكينونته ومن الجهة النفسية تتولد له عقدة تجعل له نظرة سوداوية للحياة وغالبا ما تؤدي به للانتحار، فالهوية «قسيم الوجود الإنساني لأي إنسان في أي زمان ومكان حيث لا يمكن التفكير بإمكانية تحقق وجود حقيقي للإنسان بلا هوية، إذ أن الهوية هي في أبسط تعريف لها "الاتحاد

بالذات"»[1]. فالهوية تمثل العرق أو المنبع الذي يثبت الوجود الإنساني باعتبارها ملامسة الواقع في زمكن معين، فالاغتراب يعني التخلي عن الذات واللغة والدين أي تصبح لا معنى للحياة، وهناك إشكالية الهوية في جانب التمييز العنصري بين الأفراد أصحاب البشرة الفاتحة/ الوصيف، وهذا ما تحدث عنه الكاتب الموريتاني "أحمد ولد الحافظ" في روايته "عناقيد الرذيلة"، حيث خصص كلامه بطبقة العبيد ذوي البشرة السوداء في نظر أصحاب البشرة البيضاء إذ يعمل على كشف الجذور العبودية، إذ أصحاب الطبقة السادة يحاربون كل من يتحدث عن مبادئ العدل والمساواة محاولا التمرد على هذه المعتقدات.

صورة المرأة: وقد تميزت أكثر الروايات من حيث مواضيعها باستنباط الذات وكشف الرغائب وإسماع صوت المرأة المتمردة سواء كانت الرواية كاتبها رجل أو امرأة فهناك من يفصل بين الجنس الكاتب لهذا الأدب وبالمقابل هناك من ينظر إليه على أنه عمل أدبي دون مراعاة جنس كاتبه فيشير «فخري صالح أنه لا يجوز الفصل بين الرواية التي تكتبها المرأة بوصفها نوعا محددا وجنسا بحد ذاته، وبين الرواية التي يكتبها الرجل، ويستند في ذلك إلى وعي التجربة، ومفهوم الأجناس الأدبية»[2].

سنحاول معرفة المرأة في الكتابة الروائية النسائية والذكورية وما الصورة التي يظهرها كل منهما باعتبار أن المرأة العربية قضية مهمة والحديث عنها قائم منذ الأزل.

1- قضية المرأة في الكتابة النسوية: إن الكتابة النسوية هي «الأدب الذي تكتبه المرأة لأنه ارتبط بمفهوم الهوية الجنسية للمرأة، فقد كشف ذلك عن الفقر نظري أو المنهجي أو غيابهما»[3]. وبالرغم من أن الكتابة النسوية لا يمكن أن تكون نسوية إلا إن كان مضمونها عن المرأة وقضاياها «فهذه الروايات وإن كتبت بقلم امرأة إلا أنها تفتقر إلى المعيار

1- محمد صابر عبيد: التنوير الروائي، استراتيجية العلامة، فضاء التأويل، ط01، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2015، ص 77.

2- ساندي سالم أبو سيف: الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ص 133.

3- المرجع نفسه، ص 132.

الفكري المميز للنوع الروائي النسوي، فهي ليست مكتوبة بهاجس طرح قضية المرأة، وإن كانت المرأة تحتل مكانة مميزة بين شخصياتها، فالرواية لا تكون نسوية لمجرد كاتبتها امرأة بل لابد أن تكون الرواية التي تحمل صفة نسوية معينة بصورة جزئية أو كلية بطرح قضية المرأة»[1]، فالرواية النسوية تلك التي تعبر عن تجارب المرأة وتطرح مشاكلها لتحاول معالجتها وتضع المرأة في الصورة الإيجابية والرجل في الصورة السلبية.

رواية لامرأة واحدة للكاتبة مريم الحسن تناولت قضية المرأة وما تعانيه باعتبارها كائن حي ضعيف وعاجز عن تحقيق رغباته، تدور الأحداث عن قضية زوجين عاشقين لم يرزقا بطفل، إذ أصرت الوالدة على زواج الرجل مرة ثانية من أجل الحفيد، كون الرواية تعالج قضية اجتماعية التي يعاني منها المجتمع السعودي، إذ كانت البطلة تحمل مواصفات التي يحلم بها أي رجل عربي، ولم تخلو الرواية من نوع يسمى بالتهميش في المحاكاة النفسية، إذ ركزت الكاتبة على تلك الإنسانة التي تحمل عذب من النعومة والرقة، إذ تحمل الرواية صراعا داخليا بين الخير والشر والذي يتجلى في البطلة الثانية بلقيس وهي مريضة بالصرع، التي تفرضها الأم على الزواج بابنها رغبة في الإنجاب، وبين سوسن الحنونة التي لا ضرر ولا ضرار منها، باعتبارها البطلة الضحية لظروف قاسية لا ذنب لها فيها، ولكن في النهاية تبقى مع الرجل التي أحبته وينتصر الحب بينها وتعرض أمه لصدمة قوية بسبب موت طفله، فالروائية تنتصر للمرأة الضعيفة وترفع من قيمتها في المجتمع.

2- قضية المرأة في الكتابة الذكورية: تتناول الرواية صورة المرأة من جميع جوانبها باعتبارها العنصر الفعال والمحرك الأساسي في أحداث الرواية حيث تعيش المرأة نوع من الإقصاء والتبعية من قبل الرجل، حيث تبقى تحت مظلته وهيمنته مهما كان مستواها

1- ساندي سالم أبو سيف: الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ص 139.

وهذا ما جعلها عاجزة في محاولة صنع وجودها بنفسها بعيدا عن النظرة الذكورية بالرغم من أن المرأة قامت بأمور كثيرة كمشاركتها في الحروب مع الرجل كما كان هناك نساء يشتغلن بالتجارة وغيرها ومع ذلك فقد كان تعامل كما يعامل الحيوان حتى بزوغ نور الإسلام برفعه للظلم والاستبداد الذي لطالما عانت منه المرأة فكرمها بسورة كاملة "سورة النساء" فهناك من ينظر للمرأة على أنها رمز للحرية والوطن والثورة والأم ولا يمكن التخلي عنها، وهناك «الخلفية الثقافية الذهنية العربية المعاصرة في تعاملها مع المرأة إلى أفكار العصر الجاهلي الأبوية»[1]. وهذا ما يحيلنا إلى رؤية المجتمع للأنثى أن لا قيمة لرأيها وحتى حقها في الدفاع عن نفسها ورفض مالا ترتاح له وما يفقدها كرامتها وشرفها، فالعلاقة بين الذكر والأنثى لم تكن علاقة متساوية فهي علاقة مبنية على فرض السيطرة.

إذ لدينا الروائي نجيب الكيلاني الذي استطاع أن يكسر الحاجز بين الرجل والمرأة وجعل لها نوع من الحرية والحضور واستطاعت أن تعبر عن رأيها وتثبت وجودها من الناحية الفنية، كتب هذا الرجل عن المرأة وجعلها محرك أساسي، حيث أتت كمحاولة لاستعادة هوية المرأة داخل المجتمع الذكوري.

رواية ملكة العنب 1990 تتموضع ضمن واقع المرأة في المجتمع المصري، براعم فتاة شجاعة وذكية ومغامرة خرجت إلى الحقل بعد موت أبيها لتنفق على أمها وأختيها الصغيرتين وكانت أول من أدخل زراعة العنب إلى القرية، حيث تعاطت مع الفلاحين والتجار بذكاء حتى أطلقوا عليها ملكة العنب، إذ تتمثل أحداث الرواية في نشر الفتنة بين الناس حول حق الزكاة على العنب ولكن براعم حذرت كل من حاول نشر الفتنة باعتبارها تملك مكانة مرموقة في القرية بأعمالها الشريفة إذ رممت مدرسة وبنت مسجدا وفتحت أبواب الرزق أمام الكثيرين، ولقد ازداد الغلط في القرية وانتشر المفسدون والقتلى والظلم

1- عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة، ط01، دار محمد علي، 2003، ص 13.

ولكن كان لبراعم شهامة، حيث تسللت للمدينة وأوكلت محامي تعرفه بغية الدفاع عن المعتقلين من أهل القرية جراء الظلم والاستبداد ورغم كل هذا وقفت براعم مع الفلاحين المظلومين ورفضت الانحياز إلى كافة النظام البرجوازيين وأصحاب النفوذ، إذ عملت على إخراج المظلومين وكان الفضل لصاحبة الشجاعة، وقد قدم لها مصحف تقديرا لأعمالها وزواجها بشيخ القرية.

ولقد استطاع الروائي على إبراز المرأة بجعلها تحل مشكلة لم تستطع الوسائل القانونية والوسائطية في الدفاع وحل هذه المشكلة.

صور لنا مشاعر الحب العفيف القائم على الإعجاب بالدين والخلق والعمل الطيب مع مشاعر الامتنان.

وبهذا فالروائي نجيب الكيلاني خالفة «المفهوم السائد عن المرأة في الفكر التقليدي العربي أنها ذات أخلاق سيئة ثابتة تحافظ عليها في كل العصور ومنها الكيد والخيانة»[1]. وبهذا فالمرأة كسرتالصورة النمطية تجاه رؤية المجتمع العربي ضد المرأة.

قضايا الواقع العربي: ساهمت الرواية العربية في تعرية الواقع السياسي العربي ورصدت بجمالية فائقة انعكاسات هذا الواقع على الأنساق الاجتماعية والنفسية والثقافية للمجتمع، فالرواية الواقعية «هي التي تستطيع الكشف عن العوامل الفاعلة في واقع اجتماعي معين، تؤكد أن الموقف الواقعي المتزن هو الموقف الذي تقوم فيه علاقة جدلية ومستمرة بين الواقع وبين البشر الذين يعيشون فيه»[2]. فالواقعية مذهبا متكاملا هدفها محاكاة الطبيعة فجعلت الواقع أول اهتمامها إذ تصور الوجود الحقيقي وأحوال المجتمع تعكس الواقع وما فيه من وقائع وأحداث وانعكاسات وردود أفعال إذ تمثل الواقع الاجتماعي وما ينجر عنه من قضايا متنوعة وأشكال مختلفة والسعي وراء إيجاد حلول لها، تعمد للكشف وتصوير

1- عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة، ص 30.

2- ساندي سالم أبو سيف: الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ص 73.

الواقع وما نتج عنه شحوناتمن قبل الثورة والتمرد على الأوضاع السائدة في البلاد العربية.

تسعى الواقعية إلى بناء الوهم بأن يقدم الأدب نسخة طبق الأصل عن الواقع، حيث أصبحت الرواية ملزمة بخلق عوالم متخيلة تتأسس على رؤية مستقبلية «فن يضيء ويستشرف ويمارس ضمنا، النقد دون أن يكون نقدا يفلسف الحياة دون أن يكون فلسفة، ويعيد النظر في التاريخ، تاريخنا، دون أن يكون تاريخنا»[1]. فجاءت رواية "الورم" "إبراهيم الكوني" كنبوءة صادقة على أحداث الربيع العربي ومآلات الديكتاتوريات العربية، حيث كانت نهاية بعض الحكام مأساوية ومذلة تراوحت بين الخلع والقتل.

حيث هذه الرواية تطرح مفهوم السلطة، تمتص من الواقع ثم تعيد صوغه في شكل ظلال مسيجة بالحكي والعجائبي والأسطوري والرمزي والتصوف، تنبع من عالم الصحراء والتي «تكشف عن رؤية مثقف واسع الثقافة، يتمثل التجربة الإنسانية... تمثلا عميقا»[2]. حيث تدور أحداث الرواية في إحدى واحات الصحراء الكبرى، فرواية الورم تعد من الأعمال الإبداعية التي تغوص في هواجس الإنسان العربي المختزلة في المرأة والمال والسلطة، إذ حاول الكاتب تأسيس روايته على حب السلطة كأزمة بنيوية في المجتمع العربي، إذ تعد هذه الرواية رؤية استشرافية، كما عمد الكاتب إلى تفكيك أغوار النفس البشرية التواقة إلى حب السلطة وخيانة الأمانة والإفساد في الأرض، وظلم الناس وهذا ما توجهه إليه أساناي بتمسكه بالسلطة المطلقة وقطع لسان زوجته وقتل آخرين منهم الرسول واللهو مع النساء، فيعمد الكاتب إلى تعرية سلوك بعض الحكام فجاءت "الورم" لتشير إلى نهاية بعض الحكام المأساوية بين الخلع والقتل، وبجانب أساناي يوجد

1- يمنى العيد: الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية، ط01، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2011، ص 08.

2- اعتدال عثمان: "قراءة استطلاعية في أعمال إبراهيم الكوني"، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرةK مج16، ع04، 1998، ص 233.

حزب النكران وحزب اليقين وما دار بينهم من تعارض حول شخصية أساناي فيه إشارة إلى الصراع الدائر بين أحزاب المعارضة وأحزاب الموالاة في الوطن العربي.

لم تتمركز الرواية حول الواقع العربي بشكل تقليدي وإنما كانت تتحسس ظلال الواقع لتكتب عن فساد السلطة بروح الأدب.

قضية الحب والعاطفة (رومانسية): نوع من أنواع الأدب الراقي، فالرومانسية «لم تكن ثورة على مصادر الاستحياء والمحاكاة الكلاسيكية، وعلى أصول تلك الكلاسيكية وقواعدها فحسب، بل كانت ثورة على كافة القيود الفنية، وأصول الصنعة الأدبية حتى لا يمكن القول بأن الرومانسية قد كانت حالة نفسية وتعبير عن تلك الحالة أكثر من كونها مذهب أدبي أحل أصول فنية محل أصول أخرى، وذلك لأن جوهرها كان التحرر من كل الأصول والقيود والتخفف من إخلالها، لكي تتحرر العبقرية البشرية وتنطلق على سجيتها»[1]. فهذا النوع من الروايات يقدم قضايا مهمة للمجتمع، حيث يناقش العلاقة الاجتماعية التي تربط بين الرجل والمرأة وهي أسمى المشاعر التي تجمع بينهما "الحب".

كثرت الكتابة في الروايات الحافلة بالرومانسية والمشاعر الجنسية مع جيل الأربعينات منهم، محمد عبد الحليم عبد الله، يوسف السباعي، إحسان عبد القدوس... وفي مفهومها حسب «النقاد يرى أحمد أبو مطر بأن أكثر ما امتازت به الروايات الرومانسية العربية "الصبغة الذاتية" المتمثلة في انعكاس الحياة الخاصة للمؤلف على حياة الشخصيات الروائية، ويرى إبراهيم السعافين بأن هذه الروايات راحت تعبر عن إحساس فردي تجاه الظروف والقضايا المختلفة»[2].فهي تخاطب الأشخاص المرتبطين عاطفيا باستذكار الماضي، وكيف أثرت حياتهم السابقة على العلاقات العاطفية، حيث تركز على نقاط القوة والضعف في شخصياتها التي تعكس الحالة العاطفية والنفسية للكاتب.

1- محمد مندور: الأدب ومذاهبه (د.ط)، نهضة مصر، القاهرة، مصر، 2004، ص 60.

2- ساندي سالم أبو سيف: الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ص 59.

رواية "أحببتك أكثر مما ينبغي" لـــ "أثير عبد الله النشمي" تدور الأحداث حول فتاة قامت برحلة خارج وطنها بغية طلب العلم، فتلتقي البطلة "جمانة" بشباب خطف قلبها يدعى "عزيز" من النظرة الأولى إذ اعترضتهم جملة من المشاكل عرقلة مسارهم الحياتي وتقضي على علاقتهم العاطفية لكن تفوق الحب الذي كان بينهما وواجهوا تلك المصاعب بكل قوة، كان البطل عزيز شخصية مهملة واللامبالاة والأكثر استهتارا ولكن رغم ذلك كان حب جمانة أقوى لدرجة التحمل والإخلاص في حبها اتجاهه، ولكنلابد أن يكون الحب فرحة وحياة جميلة أصبح حزن وقهر وموت ويسبب ذلك فوحة الخيانة واللامبالاة بأحاسيس الآخرين، فالحب يجعل الإنسان يدوس على كرامته ومبادئ وأخلاقه، ليظهر ضعفه ويأسه أمام من يحب، والتعبير عن الحب بمصداقية اتجاه الطرف الآخر يعتبر هزيمة الطرف الآخر.

القضية السياسية: يعد الجانب السياسي من أهم الجوانب الطاغية على الرواية حيث لجأ أغلبية الكتاب إلى تبني قضايا وطنهم ومجتمعاتهم للتعبير عن آرائهم نحو واقعهم السياسي، فيعرفها أحد النقاد «الرواية التي تتعاون فيها كل الأدوات الفنية لمناقشة قضية سياسية محورية تمثل مضمون الرواية الرئيس»[1]. أي أنها الرواية التي تهتم بالقضايا السياسية بشكل مباشر أو مقنع «فمن الضروري أن يكون مضمون الرواية سياسيا أولا، سواء من حيث القيم أم من حيث التوجهات والأفكار، ولكن تختلف درجة النكهة السياسية التي تصبغ عملا روائي ما، من رواية سياسية لأخرى، فكلما اقترب العمل الروائي من قلب الظاهرة السياسية المرتبطة بالسلطة ازدادت درجة الأصالة السياسية للرواية»[2]. وغالبا ما يكون هذا النوع من الروايات ضد السلطة والتعبير عن قضايا الشعب من ظلم واستبداد وقهر وتهميش، ولهذا اتخذت الرواية السياسية مسارا وطنيا وأهم مثال على هذا الجانب "كليلة ودمنة".

1- ساندي سالم أبو سيف: الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ص 158.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ففي رواية (شرفة الهاوية) لإبراهيم نصر الله يتحدث أصحاب السلطة والنفوذ وكل من حولهم في قالب واقعي، إذ قدم نقد سياسي مبني على وجهة نظر سياسية من خلال توجه الإيديولوجي محاولا أيضا إقناع القارئ بها «وكاتب الرواية السياسية ليس منتمي بالضرورة إلى حزب من الأحزاب السياسية لكنه صاحب إيديولوجية يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمني»[1]. ليتضح من هذا أن الأفكار تتمثل في موقف سياسي لتكون وسيلة تعبير للمبدع.

رواية "الزيني بركات" للمؤلف الكاتب جمال الغيطاني، تتناول أنواع الظلم والاستبداد والقهر في تاريخ السلطة وتحولاته، إذ الفرد لا يستطيع العيش باطمئنان، حيث تدور أحداث الرواية حول بركان المسؤول أمام السلطان فيقوم بمراقبة الأسعار والنظر في الموازين، ووهبه السلطان لقب الزيني مقابل عمله كجاسوس في وسط العاصمة ونقل الأخبار له، ولكن بركات طلب الإعفاء من هذه المهمة، يريد قضاء حياته بهدوء وسلام فهو لا يقدر على النوم وهو يظلم أخاه المسلم، وهناك مظاهر للرشوة فبركان دفع مقابل هذا المنصب ولم يتم تعقبه إذ كان سجله خال من المخالفات، إذ قام بإصدار قوانين تنظم أمور الناس وتنصف المظلومين وإلغاء الاحتكار والحد من ظلم الأمراء والمماليك للمجتمع، وبعد مدة اقتنع البصاصين بالزيني قائد رغم جهلهم بتاريخه، وهناك تداخل بين دولة بني عثمان في شوق نجم مجدها، كأنها رحلة عبر الزمن، يحدثنا بأحداث الحاضر بلغة الماضي.

كما تبين الرواية صراع الأمراء المماليك فيما بينهم حول السلطة وتحبس بعض منهم على الرعية والسلطان لصالح الأتراك وتهافتهم حول جمع المال وتكديسه واحتكار الاقتصاد وتقوية جهاز البصاصة لخدمتهم وخدمة السلطة للتحكم في رقاب الشعب عن

1– طه وادي: الرواية السياسية: الشركة المصرية العالمية، لونجمان، 2003، ص 12.

طريق الاستبداد والقمع والعنف السياسي والبيروقراطية وتخريب البيوت الآمنة والقضاء على كل شخص يحمل وعي ثوري.

قضية الأمن: ترتبط الرواية البوليسية بالغموض والألغاز، حيث تكثر فيها الحركة ونوع من الطلاسم المبهمة وفي العادة ظهور الجريمة لتبدأ أسئلة حول فاعلها فيكثر الشك فثم بالتدريج تظهر الأدلة وتتضح بعض الأمور وذلك بالتحري واستخدام أجهزة المراقبة ليتم القبض على الفاعل «فالرواية البوليسية رواية معكوسة، فهي لا تسير من السبب إلى النتيجة من المحدث إلى الحدث، ولكنها تسير بالعكس من القتيل إلى القاتل، في البداية الضحية وفي النهاية المتهم»[1]. وبهذا فهذا النوع الروائي مختلف عن الباقي من الأنواع لسير الأحداث بشكل معكوس ليقوم بشد القارئ بشكل أقوى للمتابعة بغية معرفة الحقيقة «فالرواية البوليسية ليست قصة الحدث، ولكن قصة التحقيق، وهي تذهب من الجهل إلى المعرفة، وهي تذهب من الألف إلى الياء، لكن مجراها لا يأخذ طريق الفعل ولكن طريق التعرف وأبطالهالا يفعلون شيء فيما عدا الإشارات الضرورية لهدفهم الوحيد الذي هو المعرفة»[2]. هنا أبطال الرواية لا يتدخلون كثيرا في مجرى التحقيق، فالمحقق له الدور الأساس، فقد يعرف الجاني ويخفيه حتى النهاية ثم يصرح به وأحيانا تكون النهاية مفتوحة أي عدم معرفة المجرم الحقيقي أو اختفاءه، وترك القارئ له حرية اختيار النهاية والتأويل لها وفقا للتصورات المبنية في الرواية.

ولكن «الأدب البوليسي غاب أو تعثر في وطننا العربي يعود إلى أسباب تتعلق بالكتاب أنفسهم الذين يبتعدون عن كتابة هذا النوع من الرواية لاعتقادهم بأن أدنى منزلة من غيره، بجانب أن النقاد لا ينظرون إليه بجدية ولا يعتبرونه نمطا سرديا ينتمي إلى

1- جون كوين: النظرية الشعرية، بناء لغة الشعر اللغة العليا، ج01، تر: أحمد درويش، ط04، دار غريب، القاهرة، 2000، ص 472.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأدب»[1]. لم يلق هذا النوع من الرواية بالاهتمام الكافي من قبل الأدباء والكتاب وحتى النقاد، فهم يرونه أدنى الأنواع الأدبية، وربما بعض اللمحات وأجزاء قليلة من الغموض التي يصلح بعضها للكتابة البوليسية مثل الرواية السعودية حول مقتل خاشقجي.

قضايا الطفل في الرواية العربية: لا تزال الأسرة وستظل من أهم الوحدات الاجتماعية كونها تلعب، دور رئيسي في الحفاظ على استمرارية الحياة، ومن أهم القضايا التي تدرسها الرواية في هذا المجال هو العنف الأسري الذي يعاني منه الأطفال والمراهقين، فالاعتناء بالمراهقين هو الاعتناء بالأسرة.

العنف الأسري يختلف من مجتمع إلى آخر ومن اختلاف الطبقات الاجتماعية ولا يزال هذا النوع يتنامى في العالم العربي لدرجة ارتكاب الجرائم (العنف الجسدي الذي ينتج عنه ضرر نفسي أو جسدي، الاختطاف، القتل، الاغتصاب، السلب والنهب، التشرد والضياع في عالم الجريمة...)، خاصة داخل الأسرة في مرحلة الطفولة وهذا قد يتكرر مع الجيل القادم، فالعنف يولد العنف.

1- غسان عبد الخالق وآخرون: "نحو ثقافة مدنية"، أفكار، ع351، تصدر عن وزارة الثقافة، الأردن، عمان، نيسان، 2018، ص 36.

الفصل الأول:

قضية الهامش والمركز في الأدب

المبحث الأول: الهامش

تمهيد:

تعد قضية المركز والهامش من أكثر القضايا تعقيدا وغموضا وما تثيره من جدل حيث تدخل ضمن مجالات متعددة منها: اجتماعية، سياسية، ثقافية، اقتصادية، ولتعرف على بعض هذه القضايا نضبط بعض المصطلحات المتعلقة بهذه الدراسة.

المطلب الأول: مفهوم الهامش

1- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: «... **همش: الهمشة، الكلام والحركة، همش وهمش القوم فهم يهمشون ويهمشون وتهامشوا والمرأة همش الحديث بالتحريك تكثر الكلام وتجلب، ويقول ابن الأعربي:**

الهمش والهمش كثرة الكلام في غير صواب وأنشد وهمشوا بكلام غير حسن»[1].

ويقصد هنا بالهامش هو كل تلفظ دون معنى كثرثرة المرأة والحركة التي تحدث الجلبة وقد نسب كلام الهامش للمرأة لأنها لا تمتلك القدرة على تحريك المجتمع الذكوري وقد أضاف قاموس المحيط أن «**الهامش حاشية الكتاب (مولد)**»[2]. ويعني به الفراغ الذي يترك أسفل الصفحة الخارج عن المتن.

1- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، مجلد 15، ط01، دار صادر، بيروت، لبنان، 2000، ص 92.

2- محمد إبراهيم الفيروز بادي، الشيرازي الشافعي، القاموس المحيط، ج02، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999، ص 450.

وبالتقريب تأخذ نفس المفهوم عند الباحث المغربي أحمد شراك «**حسب المعجم الفرنسي إن الهامش يأخذ دلالات متعددة حسب السياق والاستعمال وزاوية النظر، فهو المساحة البيضاء في النص المخطوط أو المطبوع ... ونقول يعيش في الهامش أي يعيش بدون مراعاة المجتمع ... وقد يعني أيضا مجاالسلطة**»[1]. أي أن الهامش يأخذ دلالات ومفاهيم مختلفة تتغير وفق الموضع المراد تتبعه.

2- اصطلاحا:

قبل الإشارة إلى التعريف الاصطلاحي نمر على بداية نشأة هذا المصطلح ويرجع أحمد شراك نشأة هذه الحركات إلى المجتمع الأمريكي يقول: «**تعود نشأة هذه الحركات إلى المجتمع الأمريكي في العقد الثالث من القرن العشرين (1920-1930)**» حيث استقطبت اهتمامات السوسيولوجيين الأمريكيين مع مدرسة شيكاغو إنها المرحلة التاريخية **(أو الزمنية على الأصح)** التي كثرت فيها الأدبيات والأحاديث حول مجموعات كيدس والكانج، هذه المجموعات التي كانت تنحدر من حركة الهجرة إلى أمريكا»[2]. وقد انتشرت فكرة التهميش في الآونة الأخيرة ولاق رواجا كبيرا، بين المجتمعات ومناطق ثقافية معينة ولتعرف على هذا المصطلح أكثر نشير إلى التعريف الاصطلاحي لهذا المفهوم بالرغم من أنه مفهوم غير مكتمل الأركان فالهامش يتواجد في ما يسما المركز «**وهذا التداخل جعل مفهوم الهامش مفهوما فضفاضا يتسع ليشمل كل أنواع المنبوذين والمقصيين أو من قبل جماعة أو من قبل مجتمع بأسره، كالسود والفقراء والنساء وغيرهم**»[3].

1- هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيو ثقافية، ط 1، دار رؤية، القاهرة، 2015، ص 38-39.

2- المرجع نفسه، ص 47.

3- هاني نعمة، شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، ط 1، منشورات الاختلاف، دار الفكر البصرة، 2013، ص19.

ومن هنا يمكن القول أن الهامش هو الأدنة والدوني عن المركز، فتهميش الجماعة يأتي من انبهارها بسمات المركز.

ومن خلال ذلك نورد الأديب محمد شكري كمثال لتهميش الاجتماعي فقد عانى منه منذ طفولته بسبب لهجته الريفية سعى إلى مصاحبة المنبوذين مثله وذلك نتيجة للعيش فريسة الجهل والتسول في الشوارع والمبيت في المقاهي والاستمرار في المعاناة الأليمة وتلاقي النظرة الحقيرة لأبناء البلد من الطنجاويين الأصلاء.

3- السمات:

أ- **المحاكاة الساخرة:** تستخدم هذه السمة كوسيلة لتعبير عن الغير مرغوب فيه بطريقة الاستهزاء وصولا لكشف عن عيوب الواقع فـ «**المحاكاة الساخرة، بوصفها استراتيجية للتعبير تعبر عن أدب بالهامش ....، اتخذ الأديب العربي القديم هذه الأداة الفنية وسيلة للتعبير عن رؤيته للمجتمع وورواقع المهمشين... يعتبر الجاحظ أول من كتب عن المهمشين في كتابة "البخلاء" ورسالة "التربيع والتدوير" حاول فيها الكشف عن واقع المقهورية في العصر العباسي ... من خلال توظيف السخرية، ثم جاء أبو حيان التوحيدي ...**»[1]. ومن هنا نرى أن هذه الإستراتيجية سلاح ذو حدين في البداية تكون غايتها الضحك والترفيه من جهة ومن جهة أخرى تكون ناقدة لهذا الواقع ومن يحمله من عيوب نتيجة لسيطرة وهيمنة المركز على الهامش.

ب- **الجسد:** تندرج هذه السمة بالكتابات الخاصة بالهامش ينظر لها على أنها محرمة بوصفها للجسد والعلاقات الحميمة وهذا منذ العصر الجاهلي «**ربما منذ طللية امرئ**

1- هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية، ص 225-226.

القيس التي وصف فيها لقاءه بمحبوبته "عنيزة" ...، ألف ليلة وليلة بها كثير من القصص كتبت الجسد الذي يتعرض للحرمان والألم والشوق ...»[1].

إذ ينظر إليه من جهة رغبة الجسد لطعام والشراب «**فكتاب البخلاء للجاحظ نموذج لهذه الكتابة ... لذلك المقامات**»[2]. ويمكن جمعهما في رغبة الجسد وتحقيق ملذاته الجامحة.

ج- القناع: تستخدم هذه السمة كأداة للفت الانتباه يحول الكلمات إلى درجة من درجات البوح على الهامش اتخذ "يونغ" ليصف به « **الوجه الذي يتقدم به الإنسان للمجتمع فهو يخبئ حقيقته وراء هذا القناع فيظهر للناس عكس ما هو موجود في ذاته**»[3].

وهذا ما يحتاجه الإنسان للتعبير عن ما تريده الجماعة وعادة ما يستخدم القناع كوسيلة للبوح على الواقع المزري الذي يعاني منه المجتمع خاصة المهمش ويكون بعدة طرق إما بطريقة كوميدية أو مأساوية باستخدام رموز وإيحاءات بعيدة عن الوضوح وقد استخدمت هذه التقنية منذ القدم منها كليلة ودمنة لابن المقفع الذي وظف الحيوانات للتعبير عن الواقع المزري لسياسة في ذلك العصر، وحاليا توظفه المرأة في كتاباتها حيث جعلت الرجل مجرد قناع في مجتمع ذكوري لا يؤمن بالمرأة.

المطلب الثاني: المرأة المهمشة

أولا: صور المرأة: لطالما كانت المرأة سوى جسد في نظر المجتمع تلبي الرغبات الجامحة للرجل وهي فريسة يترقبها الذئب لينقض عليها كلما روادته نفسه وللأسف في

1- هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية، ص 232.

2- المرجع نفسه، صفحة نفسها.

3- أمينة فزاري، مناهج دراسات الأدب الشعبي (تاريخه، الأنثروبولجية النفسية والمرفولوجية في دراسة الأمثال الشعبية، ط 1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011، ص 126.

واقعنا هذا ينظر للمرأة في مظهرها الخارجي وما تحمله من صفات مختلفة في جسدها فإن كانت تلائم مواصفات الجمال لتكون الأميرة المرغوب فيها أما إن كانت عكس ذلك كانت مذمومة وأحيانا يصفونها بالحيوانات ولا يعرفون أن خلف هذا الجسد هناك شاعر أنثى تصرخ لتجد حقها وإحساسها محاولة الدفاع عن عفتها وشرفها ونسبها، فالمرأة مخلوق أكرمه الله عز وجل بكرمات عدة يكفي أنها أم تنجب أجيال المستقبل وزوجة، فهي تبقى المخلوق الذي خلقه الله سبحانه وتعالى من ضلع سيدنا آدم لتكون صاحبة الرجل ونصفه الثاني للخوض في هذه الحياة من دروب «**المرة هي محور الفضاء الرحمي الأمومي فهي المنطلق والمصب لما يوحي به من رفيع الدلالات سواء منها ما اتصل بالليل أو الطفولة أو الأمومة أو المنزل أو البداية أو الدفء أو الحميمية**»[1]. إذن فالمرأة تشكل المجتمع خاصة المرأة الصالحة «**البيوت بدون النساء الصالحات قبور**»[2]. فالمجتمع لا يكتمل بدونها كونها النصف الأول تنجب النصف الثاني وأساسا وسببا للسعادة.

1- المرأة المستسلمة: وهي تلك المرأة التي تقبل بالظروف مهما كانت وتستسلم لها سواء حبت هذا أو كرهت فنكبت مشاعرها وتحاول كتم صوتها دون تمرد فلا تستطيع المطالبة بحقوقها سواء خوفا من العار أو غيره من العيوب فهذا النوع مقهور من طرف المجتمع فالجميع ينظر لها باحتقار وكراهية، وإن أخطأت مرة وإن لم يكن الذنب ذنبها تفضل الموت على الحياة بدل العيش في العار.

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان أساسا على التمييز يعني أنه لا يوجد إنسان غير متميز وما يجعل الإنسان ضعيف البيئة التي ينشأ فيها.

1- عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة، ص 381.

2- زينة أحمد: المرأة في التراث العربي: حب، جمال، نعمة، نقمة،، لطائف، مكائد، ط1، دار المناهل، لبنان، 1993، ص 9.

الحب يعد من الأشياء السامية والمهمة والتي استغلت الكثير من البنات من أجل الحب وهذا ما فعله الرجل بالمرأة لأنها تحتاج لمن يقف بجانبها ويدعمها خاصة تلك التي تجعل الحب رقم واحد في حياتها والمحرك الأساسي فإن لم تحسن الاختيار ستكون فريسة سهلة جسديا أو ماديا ولهذا عليها الحصول على حب مناسب، لأفكارها صحيح أن الأقدار بيد الله ولكن عليها المحاولة لتغلب والحفاظ على مكانتها فإن تركت شخصية سلبية ي حياتها سيؤثر فيها ويستنزف طاقتها.

فالحب تاريخ المرأة أما الرجل فهو موقف عابر ولتغلب على هذه الشخصية المستسلمة الضعيفة عليه البداية بالأسرة ثم الحكومة ثم المنظمات لتكون شخصية قوية متميزة على الرغم من أن هناك الكثير من الشخصيات تنشأ بقوة في وسط بيئة غير ملائمة تماما ولذا وجب أن تكون المرأة على عدم الرضا بواقعها من أجل تغييره والنظر للمستقبل حسب رغبتها دون ضغط من قبل أي شخص.

2- المستغلة: هي تلك المرأة التي تجري وراء الرجل لأهداف مادية أو بغية تغيير وضعها المادي فهي ترغب في الرجل لتخليصها من قسوة الواقع حتى ولو اقتضى الأمر بالزواج ومع هذا يستقر بها الأمر بأن تنطلق هروبا من السلطة الواقع الذكور المحتقرة للمرأة فيعتبرونها متمردة غير صالحة لمجتمعهم التقليدي والمحافظ وأنها تثور على القوانين والعادات السائدة ومقابل هذا تتخلى عن الحب الحقيقي وتنسى كل شيء، من أجل الوصول لعيشة الرخاء فالمرأة تتمتع بشخصية نرجسية كذلك بعدم الاستقرار النفسي إذ عليهم الاختيار بين الحب وبين المال «**إن النرجسية هي الحب المرضي لذات، فالشخصية النرجسية تتميز بالتعجرف والنقص في التعاطف مع الآخرين وفرط الحساسية تجاه الآخرين ...ويعتقدون أنهم دائما على حق والآخرون على خطأ والنرجسيون يعانون من عدم الاستقرار النفسي والقلق واضطراب الشخصية ... فالنرجسي هو الباحث عن الأنا**

في حركاته وكلماته وأفعاله»[1]. وأبرز مثال على تلك المرأة التي تسعى إلى السلطة والمال نجد الملكة "كليوباترا" «**عضو على ملكة حكيمة متفلسفة ومترجمة ... امرأة لعوب أحسنت استغلال أنوثتها من أجل الوصول إلى طموحها السياسي المتمثل بتتويجها ملكة على الاسكندرية ... مع الإشارة إلى أنها قامت بالانقلاب على شقيقها ... كانت على صراع معه على العرش... قصة إغوائها لأغسطس ... لم يذكر عن كليوباترا أنها بارعة الجمال ... ورغم ذلك تم تهميش مكانة الملكة العلمية وتجاهل المؤرخون مؤلفاتها وكتبها المترجمة لتصبح امرأة تسعى للسلطة**»[2].

صحيح أن المرأة تسعى وراء المال ولكن هي مجبرة على ذلك لتغيير المستوى المعيشي الذي تمر به أو تحت ضغوط الأهل محاولة أن تعيش حياة كريمة لتجد نفسها بعيدة عن سلطة الرجل وجبروته.

3- المعنفة: العنف ضد المرأة ظاهرة ارتبطت بها منذ القدم سواء كانت عازبة أو متزوجة في أشكال متنوعة هناك العنف النفسي والجسدي ويكون عادة نتيجة للعادات والتقاليد الاجتماعية فلطالما اعتبروها كائن ضعيف أدنى من الرجل خاصة المتزوجة «**وخاصة الزوج لأنه يعتبر عاطفي من أقرب النماذج الذكورية لها والذي تتوقع منه أن يكون مصدر للأمان النفسي والعاطفي والاستقرار الأسري الذي تشهده**»[3]. وتكون بهذا تتعرض إلى خيبات أمل متكررة ومتواصلة على طول مسيرتها في الحياة وهذا ما يحدث مع معظم النساء إذ تكون بدايتها مع عائلتها وهم أقرب الناس إليها وتكون معنفة من قبل أخيها أو أبيها ولا يمكن نسيان أن المرأة لها حالة نفسية خاصة تتواصل معها حتى بعد مرور الوقت تبقى تحت تأثير ما تلقته من ظلم وقهر واستبداد وقد ينعكس هذا على أبناءها

1- سيغموند فرويد: تفسير الأحلام، تر: مصطفى صفوان، د ط، دار المعارف، القاهرة، 1959، ص 30.

2- فائزة محمد داود: على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد، د ط، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2014، ص53.

3- موضي الزهراني: نساء مضطهدات، ط 1، الإنشار العربي، بيروت، لبنان، 2011، ص 18.

بطرق مختلفة «**لم أتخيل بأنني سأجد في مجتمعنا نساء يتعايشنا مع العنف كأنه جزء لا يتجزأ من طبيعة حياتهن! أو أنني سأرى أمامي نساء يذرفن الدموع على حياتهن الماضية التي تتجاوز عشرات السنوات وهن تحت سلطة الأذى النفسي وسيطرة الأذى الجسدي**»[1]. ومن خلال ذلك نلاحظ أن المرأة تعاني من الممارسات العنيفة تقريبا من الطفولة ومع ذلك عليها تحمل هذا الوضع والسكوت عنه فأصبح ينظر إليها على أنها مخلوق بسيط عليها طاعة الرجل وبالرغم زمن العنف الذي كانت تعيشه «**فقد كان إحساسها بلحظة الحاضر والطموح إلى المستقبل قويا، يختلف من شخصية إلى أخرى يجمعها التحدي تسترجع ماضي عجز على أن يكون ملاذا لها، يتحكم في حركتها ويشارك الحاضر في الضغط عليها، والإيجابي هو إحساس المرأة بزمن العنف وقوة تعاطيها معه**»[2].

وهذا ما تعيشه المرأة في وقتنا الحالي وربما هي مرغمة على هذا من أجل أن تعيش هذه الحياة.

4- العشيقة: وهي المرأة الخائنة التي تتعدى حدود الشرع وتثور على الأنساق الاجتماعية ماشية وراء أهواءها وعادة ماس تستغل جمالها من أجل الحصول وتلبية رغباتها ولكن هذه المرأة دفعتها الظروف السلبية «**المرأة الساقطة تنفع الناقد الاجتماعي جدا لأنك تواجه بها شخصيات بارزة ظاهرها وباطنها الدعارة، بينما هذه ظاهرها الدعارة وباطنها يكون بؤسا ولهذا فهي مثال صالح لنقد القاسي**»[3]. لماذا لم تتكفل بها الدولة لو أنها ساعدتها بالتأكيد لن تذهب لهذا الطريق أي أن الفقير يموت وحيدا وتكون

1- موضي الزهراني: نساء مضطهدات، ص 09.

2- الشريف حبيلة: الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، ط01، اربد الأردن، 2010، ص 271.

3- سناء طاهر الجمالي: صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية، ط01، دار الكنوز للمعرفة، عما، الأردن، 2010، 32.

نموذجا لسقوط ورمزا للاستبداد والمعاناة الاجتماعية وينظرون لها نظرة دونية دون قيمة إنسانية يستغلها لرغباته وأحيانا يطلق عليها المومس الذي تختار عالم الهامش وهذه المهنة من أجل تحقيق رغباتها المعيشية ووجودها دليل على وجود المركز وفساده وهي أيضا تعاني من الرفض وفقدان لحقوقها وأهمها كرامتها كامرأة وحياتها وكيانها وشخصيتها، حيث تقطن في الشوارع وبيوت الدعارة، فالمرأة أصبحت كالحيوان تحيا حياة دون شعور فلا تحمل أي هوية أو انتماء كأنها غريبة في الوجود همشت على مصرعين من قبل عائلتها ومن طرف الدولة التي لم تعطيها أدنى حقوقها لتصبح فريسة لكلاب الشوارع فاضطرت لتحمل مسؤولياتها وإيجاد حل لمشكلاتها فسلكت هذا الطريق المليء بالأشواك برغم من أنها تعرف أن حتى بعد موتها لن يهتم لها أحد أو ربما تموت وحيدة ولن يسأل عنها مثلها مثل الحيوانات.

ثانيا: المرأة على مر العصور:

1- بداية الخلق: شهدت حواء الخلق الأول مع آدم وجودها اقترب من وجود الرجل لأنها كانت ضرورية لوجوده ولأنه لا معنى لوجود الإنسان وسعادته بنعيم الجنة إلا بوجود من يرافقه في ذلك ولذلك كان وجود المرأة وجود مبكر ولأن الله أراد لهذا النوع أن يستمر فكان وجود المرأة بعد خلق آدم وحواء، أسكنها الله تعالى الجنة فارتكبا الخطيئة والمعصية الأولى في تاريخ البشرية وهي الأكل من الشجرة فكانت النتيجة نزولهما إلى الأرض، اختلفا القرآن الكريم والكتاب المقدس في نظرتهما خاصة تجاه حواء فكتاب المقدس يلوم حواء وحدها على ارتكاب هذه الخطيئة «**كانت حواء هي صاحبة المعرفة والعقل والذكاء وأن آدم لم يكن إلا أحد وسائلها لتحقيق هذه المعرفة**»[1]. هذا الكتاب يحمل حواء مسؤولية طرد البشر من الجنة لتورطها مع الشيطان لإغواء أدم فتقود إلى نهاية مأساوية

1- نوال السعداوي: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، ط 2، المؤسسة العربية، بيروت، 1990، ص710.

لتكون نتائج هذه الخطيئة مدمرة ويتحمل مسؤوليتها ذريتهما بنزولها إلى الأرض وسبب ذلك راجع إلى أكل آدم «**من شجرة المعرفة التي أكلت منها حواء فكسب المعرفة التي سبق أن اكتسبها حواء لكن الرب خشي أن تزيد معرفة حواء وآدم فتمتد يدها بعد لشجرة المعرفة إلى شجرة الحياة فيعيشان إلى الأبد مثل الآلهة، وخشي الرب أن تنافسه حواء وأدم فطردهما من الجنة إلى الأرض حيث يعيشان ويموتان كالبشر وليس كالآلهة**» [1]. على عكس الإسلام الذي يرى أن آدم وحواء ارتكبا هذه الخطيئة سويا، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

فنرى أن الخطاب الإلاهي توجه إلى حواء وتوجه إليها أيضا إبليس بالإغواء لم يكن إبليس متفرد أو خاص بالخطاب للمرأة بالخصوص لتغوي آدم على أساس أنها أسهل كما تصور بعض كتب الديانات القديمة وإنها الواقع أن إبليس عندما أراد الإغواء خاطب الرجل والمرأة قال الله تعالى﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[3]. مع أن الله سبحانه وتعالى حذر آدم وحواء من إغواء الشيطان قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ

1- نوال السعداوي: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، ص710.

2- سورة البقرة، الآية 35-36.

3- سورة الأعراف الآية 20-21

﴿فَتَشۡقَىٰ﴾[1].أي أن إذا استمعت إلى الشيطان وأكلت من الشجرة فسيكون عقابك الخروج من الجنة ثم تتعرض لشقاء.

إذن الخطاب كان موجه لآدم وحواء وحين أكلا جميعا ولم تكن حواء مسؤولة عن إغواء آدم كما تروي بعض الكتب الدينية القديمة غير الإسلام والمرأة لا تتحمل إلا مسؤولية نفسها وأنها استجابت كما استجاب آدم فبعد وقوعها في الخطيئة فنزع الله عنهما لباسهما عقوبة لهما فراح يغطيان عورتهما بأوراق الجنة ﴿ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾[2]. فلما علم آدم وحواء بأنهما أخطأ ندم ندما عظيما ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[3]. فاستغفر الله فتاب عليهما وغفر لهما ذنبهما ثم بعد ذلك أنزل الله سبحانه وتعالى أدم وحواء من الجنة إلى الأرض، فقضى الله قضاءه بالحق أن يستقر آدم وذريته في الأرض إلى أن تنقضي آجال النساء ثم يبعثهم الله يوم القيامة ويحاسبهم، فمن اختار طريق الإيمان كان مصيره إلى الجنة ومن أعرض عن الإيمان كن من أهل النار عياذا بالله، كما قال الله تعالى ﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[4].

ولهذه الخطيئة فوائد منها التحذير من إتباع الشيطان قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ ﴾[5].

1- سورة طه الآية 117.
2- سورة طه الآية 121.
3- سورة الأعراف الآية 23.
4- سورة الأعراف الآية 24-25.
5- سورة يوسف، الآية 5.

والاستعاذة منه وعدم إتباع خطواته من معاصيه من الكبائر والصغائر وأن هذه الخطيئة بما أن أبونا آدم بشر وأمنا حواء، بشر مثلنا وطبيعة البشر أنه خطاء ولكن بعد أن استغفر غفر الله لهما برغم من أن لا ذمتهما فضلا عن انتقالها إلى ذريتهما عبر الأجيال ومع هذا ليس لهم ذنب في الأكل من الشجرة لأنهم لم يتسببوا في ذلك الخطأ أصلا فتحمل الإنسان ذنب غيره يعتبر من القبائح فكيف يليق وصف رب البشر بذلك بالإضافة إلى أن الغاية الأسمى في وجودهما على الأرض هي إعمار الكون وامتلاؤه بمن يعرف بهم وعلى هذا فقد حرم آدم وحواء من النعيم في الجنة لا لمعصيتهما تقريبا ولكن يثبت عبوديتهما فالحاصل أن عقيدة الخطيئة المنسوبة لحواء عقيدة وهمية بل هي من التحريف الذي دخل على دين عيسى ابن مريم على مدى القرون على اختلاف الإسلام الذي لم يحمل المرأة مسؤولية وحدها وأرجعها إلى خديعة الشيطان.

2- العصر الجاهلي: بقيت المرأة العربية تحت ظل التخلف مضطهدة ومسلوبة الحرية من قبل الرجل ففي العصر الجاهلي كانت المرأة مجرد متعة للرجل وكانت القبائل تحتفل وتقام الولائم إذا رزقوا بغلام، بينما كان العكس إذا ما رزق الرجل منهم ببنت فكان وأد البنات خشية العار أو الفقر فبالنسبة إلى نظرتهم إلى المرأة على أنها متعة إذ يصفونها «**وصفا حسيا تناول فيه تقاطيع جسمها فضلا عن ثيابها وزينتها وحليها وعرف بعضهم بقصصه الغرامية ومغامراته العاطفية**»[1]. فالمرأة لم تكن سوى تلبية لرغبات الرجل وينظرون لها نظرة شهوانية متعلقة بجسدها فقط ويصفونها بعدة أوصاف حتى الفاضحة «**الوصف الفاضح فأبيات متفرقات يصف فيها الشعراء ما استتر من جسم المرأة بألفاظ غير مكشوفة تخفي المعنى الساقط بالعبارة المهذبة أو تستر تعهر الفكرة بغلائل الكناية**»[2]. وبالتالي ينظر إلى لامرأة على كونها جسد خال من العواطف حيث يصفونها

1- سامي يوسف أبو زيد: الأدب الجاهلي، ص 98.

2- د. غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص 158.

ظاهريا دون مراعاة أحاسيسها وبل فوق هذا وصفوها وصفا فاضحا لم يحترم خصوصيتها حتى من كان يدعي أنه يعشقها فقد تغزل بها تغزلا فاضحا أمام قبيلته.

لقد عرفت الجزيرة العربية أنواع من الزواج «**فإلى جانب زواج الاستبضاع وهو اتصال المرأة المتزوجة برجل آخر من أهل الصحة والشجاعة حتى يتبين حملها من ذلك الرجل، من أجل الحصول على أولاد نجباء الشجعان، كان هناك زواج المشاركة وزواج المتعة ... كما شاع عندهم نكاح البدل وهو أن يقول الرجل لرجل انزل لي عن امرأتك انزل لك عن امرأتي وهو زواج يتم عن طريق مبادلة الزوجات من دون مهر وكذلك** «**زواج** البغايا» **وقد أطلق العرب على النساء اللواتي يؤجرن أجسادهن اسم الصويحبات**»[1]. ونتيجة لهذا تعطي حياتها ثمن لتصورات خاطئة حيث كانت فيها بعض القبائل المعروفة كقبيلة تميم وبكر وبكر بن وائل خصوصا قيس شائع فيها أنه يئدون البنات «**قيس ابن عاصم وقد آثر هذا الفعل بعد واقعة حصلت له، أدرك منها أن المرأة تجلب الخزي والعار ولذلك لم يكن يرضى بأن يكون من نسله من يجلب له هذه المذلة**»[2]. ومثل هذه القبائل شائع فيها أنه يئدون البنات طبعا لم يكن كذلك الوأد جاري على الجميع وكان يقع لأسباب وأوهام وتصورات لدى الناس من جملتها الاقتصادي والفقر الكبير لدرجة أنهم من الجوع يأكلون الإلهيز وهو الوبر المخلوط بالدم هذا شيء أسوء ما يأكل من الجوع وكانوا يظنون أن المرأة لا تعبر على ذلك وربما باعت جسدها لذلك كان ثابت عندهم يقتلون أولادهم من الفقر، وأيضا إذا ولدت المرأة وهي شيماء أي لها شامة أو برشاء وفيها بعض البقع والألوان أو زرقاء أي سواد أو كسحاء فيها بعض الأعضاء والمعطل كان يقتلونها فورا وهذا ما يحدث الآن حينما أصبحوا يحسدون عن

1- إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ط 1، دار الساقي بيروت، 2003، الفصل 5 مكانة المرأة ودورها في المجتمع العربي 1/20.

2- محمد زروق: صورة الجاهلية: بين التصور الأدبي والحقيقة التاريخية ط 1، دار جرير، عمان، الأردن، 2012، ص 359.

المرأة والطفل وهو في بطن أمه فيقولون أنه فيه تشوهات ثم يجهضون بناءا على هذا وكأن هذه الحياة لا يستحق أن يعيش فيها إلا الإنسان القوي وأن باقي الناس لا يستحقون الحياة وهذا بصورة أخرى لما حدث في الجاهلية لتدخل العلم.

فعند ولادة الفتاة أخذها وهي تتربط بين يديه ثم حفر لها في الأرض وقذفها وأهان عليها التراب ويتأففون ضنا أنها تجر عليهم العار وإن سلمت من الوأد حرموها من الميراث عند كبرها فكان الولد يرث كل شيء حتى الزوجات وهذا حرام في الإسلام.

المرأة لا تختار جنس الطفل، كما ذكر أن رجل أعرابي كانت زوجته تلد البنات ولدت له ستة بنات فحملت وحملت مجددا فلما جاءت ولادتها قال لها إن ولدت فارقتك فولدت بنت سابعة ففارقها فأرسلت إليه تقول: مالي لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا غضبان ألانلد البنين والله ما ذاك بأيدينا إنما نحن لزارعين بنت ما زرعوه فينا تقول هذا ليس إلا هو الذي وضع النطفة ولما سمع ذلك عاد إليها.

لم يرحموا المرأة ويوكلونها أصعب المهام لتعمل حتى الموت ولا يهتم لها أحد وعند الهجوم على القبائل يأخذون الغنائم بالإضافة إلى النساء حتى وإن كانت سيدة في قبيلتها لتصبح جارية في قبيلة أخرى «**حين يكون المولود بنتا يبتسم الجميع ابتسامة استسلام وحين تكبر يضعونها في سجن ويدربونها على فنون المعيشة، أن تبتسم وتنحني باحترام وتتعطر وتبدوا رقيقة وتختفي تحت مظهر كاذب وترتدي الكورسية وتتزوج، وإذا تساءلت تتزوج من؟ قيل لكي أي رجل، وكل ما يهم فيه المال الذي يملكه لقد كان من الأجدر بالمرأة أن تتشوق للحب، وتتشوق له جدا ولكن عليها أن لا تعبر عن أي مشاعر أو عواطف أو تفكير أو حب أمام الناس وإلا قتلوها**»[1]. نجد الحب

1- روجر آلن: الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية، تر: حصة إبراهيم المنيف، د ط، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص 148.

كعاطفة إنسانية لا تخضع للقيود الاجتماعية المفروضة ومع هذا يقومون بإسكاتها وعدم السماح لها بالتعبير عن هذه المشاعر وعدم إعطائها حق الاختيار.

3- صدر الإسلام: جاء الإسلام ليكرم المرأة ويضعها في أعلى درجات ويوحد بين الرجل والمرأة وجعل لكل منهما ميزات فأعطى المرأة صفة الحنان والرقة والجمال وأعطى الرجل صفة الريادة «**أعتقد بعض الدارسين من خلال بعض النصوص القرآنية بأن هناك دلائل تشير إلى الدونية النسوية، ومن ذلك أن يكون الرجل في الإسلام قواما على المرأة وأن له في الإرث مثل حظ الأنثيين وأن شهادته ساوية لشهادتين من شهادات النساء وأن من حق الرجل أن يضرب المرأة الناشر وأن يتزوج أربع نساء وأن المرأة ناقصة عقل ودين**»[1]. لقد ظلموا بهذا القرآن الكريم إذ يعد هذا التفسير تفسيرا خاطئا واتهام الإسلام بأنه يفضل الرجال على النساء، فضل الله الرجل على المرأة في بعض الأمور وفضل المرأة على الرجل في بعض الأمور الأخرى فالرجل قوام بها أنفق من أموال أي أن الرجل مسؤول والإدارة له يدير الأمور أمور الزوجة لكن بشرطين أولها ذكرناه سابقا والثاني أن الرجل كخلقة فهو قادر على مصارعة شقاء الدنيا قال الله تعالى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا** ﴾[2].

ولكن بعض الأزواج يظنون أن لهم السلطة والمرأة ليست سوى خادمة فمهما أعطى سبحانه وتعالى الرجل العلو على المرأة والسلطة لا يعني ذلك الظلم والضغط على المرأة وأن ينتخب النصوص الشرعية التي تناسبها وينسى النصوص الأخرى التي تأمره

1- عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة، ص 30.

2- سورة النساء: الآية 19.

وأن يؤتى حقه كذلك فإن أكرمت المرأة أكرمتك أضعافا أضعاف لأن المرأة نبع الحنان والعطاء وساقية الحب وإن أكرمتها نلت الثواب مضاعفا في دنياك وأخرتك بالإضافة إلى أن الإسلام «**قد نظم حقوق المرأة ورعاها خير الرعاية إذ كانت مهضومة حقوقها في الجاهلية فرد إليها حقوقها وجعلها كفئ للرجل لها ما له من حقوق**»[1]. فمثل المرأة الحائض لا تأكل مع زجها أو تشرب أو النكاح وعليه الابتعاد وقد كان موجود في الأمم السابقة ولكن في الإسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**»[2]. يتمتع بالحائض ولكن لا يقترب من مكان الحرق قالت عائشة رضي الله عنها «**كانت إحدانا إذا كانت حائضا فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها قال: وأيكم يملك إربه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يملك إربه؟**»[3].

أما بالنسبة لقصة وأد البنات وقف الإسلام وقفة ضد لهذا التصرف وأعطى المرأة حتى أن تحيا حياة كريمة قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝ ﴾[4].

إذ بين الله تعالى حالة طفلة ظلمت في الحياة فالله تعالى يتنصر لها يوم القيامة فهناك السؤال لماذا دفنتها؟ لماذا أزهقت روحها؟ هل هي اختارت أن تكون في الحياة، أنت الذي وضعتها في رحم أمها.

هناك البعض يقول أنه تاريخ ولكن هذا ليس تاريخ بل واقع في بعض المجتمعات فالآن لا يسمح في بعض المجتمعات أن يكون فيها مولود واحد في حين الاختيار بين

1- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ط19، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص22.

2- الإمام مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، باب جواز غسل رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، رقم 302، 3 كتاب الحيض، نشرها العلامة الشيخ حسن العدوي، دار الطباعة، العامرة، الأستانة، 1329هـ، ص 132.

3- عبد القادر شيبة الحمد: الجامع الصحيح البخاري، باب مباشرة الحائض، من رواية برذر الهروي، رقم 297، ج01، مج03، ط01، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 2008، ص 127.

4- سورة التكوير: الآية 8-9.

الجنسين يختارون الذكر وفي بعض المجتمعات يطلبون من المرأة تقديم المهر فيخافون في وجود الفتيات ويظنون أنهن مكلفات ولهذا فالإسلام ضمن للمرأة وجودها وحياتها وصينة في وجودها المادي والمعنوي والحفاظ على عرضها كما بين القرآن الكريم عفة وشرف وكرامة مريم رضي الله عنها قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى اختار مريم لطاعته وطهرها من الأخلاق الرذيلة واختارها على نساء العالمين في زمانها بالإضافة إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصى بالنساء فقال «**واستوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع**»[2]. استوصى بها ولدها فسأله رجل يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك ثم أمك ثم أمك، وأوصى بها أباها فقال عليه الصلاة والسلام من عال جاريتين حتى تبلغا أي حفظ ابنتين له كان له حجابا من النار فكان عليه الصلاة والسلام يثني على من رب بناته فالنبي صلى الله عليه وسلم رب فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وكان يكرمهن فإن أقبلت إليه فاطمة وهو جليس عليه الصلاة والسلام قام إليها واحتضنها ثم أجلسها في مكانه كما أن الرفق بالزوجة واحترامها دليل على اكتمال الرجولة.

فالإسلام كرم المرأة في مراحل حياتها هناك سور سميت بأسماء المرأة (النساء، مريم، الممتحنة) وأحكام تناولت قضايا المرأة منها نساء عرضها القرآن الكريم باعتبارهم نماذج بشرية للخير وغير الخير والقرآن له رؤية موضوعية والغالب ذكر مواقف النساء ومبادرتهن وشخصياتهن وهذا يعطي أمور عديدة فالمساحة التي تشغلها المرأة في القرآن الكريم مساحة واسعة، مثلا هناك زوجتي إبراهيم عليه السلام فزوجه هاجر رضي الله عنها أنها هي التي صبرت واحتسبت وقبلت أن تكون في واد غير ذي زرع وحينما سألت

1- سورة آل عمران، الآية: 42.

2- الإمام مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، رقم 1468، باب الوصية بالنساء، ص 560.

إبراهيم عليه السلام عن سبب تركها هي وابنها فقالت هل أمرك الله بهذا فقال نعم فقالت إن الله لن يضيعني أبدا فهي هنا بلغت قمة الإيمان وأيضا لها الفضل أنها كانت الواسطة بين إسماعيل والعرب القديمة من أجل أن ينشأ نوع أو جيل جديد من العرب المستعربة المتناسلة من إسماعيل وكان لهؤلاء أحداث في التاريخ.

وتحدث أيضا عن النساء حفنة بحياة موسى عليه السلام فكانت أمام معضلة كبيرة ولكن الله أوحى لها أن تلقيه باليم وبشرها بأنه سيرجعه لها: قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[1]. ولأن الأم لا يمكن أن تلقي ابنها وهذا دليل على إيمانها ويقينها ثم تحدث عن أخته التي حاولت أن ترجع موسى لأمه قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾[2]. ثم تحدث عن زوجته وهي أحد الفتاتين وهاتان الفتاتان لاحظتا ما كان عليه موسى قالت أحداهما لأب يا أبتي استأجره فعبرت عن إعجابها بالرجل ومدحته بوصفين مادي وأخلاقي (القوي، الأمين) فعرف الأب أنها تريد لها زوجا قال الله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[3]. ثم كان مكان من زواج موس من هذه المرأة وهناك أيضا الصحابيات وزوجات صلى الله عليه وسلم والمهم أنه في جميع تلك الحالات لم يتحدث القرآن الكريم عن المرأة التي ليس لها ذلك التفوق العلقي إلا مرة واحدة حينما قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى

1- سورة القصص، الآية 7.

2- سورة القصص الآية: 11.

3- سورة القصص، الآية: 26-27.

نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾[1]. أي لا ترجعوا في عهودكم فيكون مثلكم مثل امرأة غزلت غزلا وأحكمته ثم نفضته فذكر الله تعالى هذا المثال كي لا يكون الناس على هذا النحو من حيث حل المواثيق والعهود التي يكونون عليها.

وعلى هذا فالمرأة ذكرت في القرآن الكريم كثيرا من أسماء وقصص والمهم أن هذه المرأة في منطق القرآن ليست المرأة التي تحمل مذمة كما في بعض الديانات من احتقار واهتضام لحق بل هي امرأة عادية حكيمة فالمرأة في التصور الإسلامي امرأة تصل إلى الدرجات العليا التي وصلتها النساء جعلها الله تعالى نماذج وأمثلة لمن يي الحكم كملكة سبأ فلا بد أن يدعم وجود المرأة المادي والمعنوي بإبراز جدارتها وأحقيتها وتستفيد من حقوقها بالنسبة لحقها المعنوي كرامتها أما المادي فهو أن تضمن وجودها المادي «**الإسلام يجل المرأة ويرفع قدرها حتى لنراها في الصدر الأول من العصر الإسلامي تشارك في الأحاديث السياسية على نحو ما هو معروف عن موقف السيدة عائشة أم المؤمنين في حروب علي وطلحة والزبير، وكانت هي نفسها مصدرا كبيرا من مصادر الحديث النبوي وهدى الرسول الكريم**»[2]. كذلك السيدة خديجة رضي الله عنها كانت أعظم امرأة تاجرة في مكة رضي الله عنها في ذلك الوقت وقد كانت تسير تجارتها بكل ذكاء وفطنة وغيرها من النساء اللاتي خلد التاريخ أسماءهم في شتى المجالات وفي كافة الأقطار العربية.

بالإضافة إلى مثال آخر معروف في حقبتين وهي الشاعرة المخضرمة الخنساء وهي تماضر بنت عمر ابن الحارث ابن شريد السلمي من أشراف العرب لقبت بالخساء

1- سورة النحل، الآية 92.

2- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص 22.

لقصر أنفها وارتفاع أرنبيته كانت صاحبة جمال أخاذ وتقاسيم متناسقة شبهوها بالبقرة الوحشية والعربي إذا تغزل بالأنثى وار التعبير عن جمالها شبهها بذلك كانت العاقلة الحازمة وعرفت بقوة الشخصية وحرية الرأي كان لها العديد من الخطاب وكان ردها الرفض أرادت الزواج من رجل من قبيلتها فتحقق ذلك أنجبت أول ولدها لها سمته أبا شجر أو عبد الله ثم تبين لها أن زوجها مقامر عاشت معه حياة بائسة ثم تطلقت منه وأعادت الزواج بمرداء بني أبي السلمي الملقب بالفيض لسخاءه أنجبت منه يزيد ومعاوية وبنت اسمها عمرة ولم يطل الأمر حتى أصابتها نوائب أولها فقدان أخيها معاوية ثم صخر وبهذا مات صغيريها ومؤنسها وأقامت على قبره ترثيه ليكون ميلاد تاريخ شاعرة جديدة بني سلين ثم تهتز لفقدان زوجها ثم ترحل إلى الرسول صلى الله عليه ووسلم بعد انتشار نور الإسلام استطحبت بينها وبني عمها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلنوا دخولهم الدين الإسلامي وقد حسن اسلامها وقد ضربت مثال للصبر والرضا بقضاء الله وقدره وفي الشعر غلبت فحول الشعراء وبحكمتها أسكتت وأبهرت الحكماء والبلغاء وخير مثال على ذلك معركة القادسية فنراها تتوسط بينها الأربعة وتحرضهم على الحرب يا بني إن الدار الباقية خير من الدار الفنية حتى استشهدوا جميعا وبلغها الخبر فقال الحمد لله الذي لترقي بقتلهم وأرجوا من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته قالتها ولم تزد عليها صابرة فهذا الإسلام وما يفعله في النفوس.

4- عند الفلاسفة: ينظر كل من الفلاسفة والمفكرين للمرأة على أنها أدنى من الرجل ولا يعتبرون المرأة على أنها ضحية «**اتهمت فرجينيا وولف العالم الغربي بأنه مجتمع أبوي منع المرأة من تحقيق طموحاتها الفنية والأدبية، إضافة إلى حرمانها اقتصاديا وثقافيا، أما في فرنسا فقد زعمت الحركة يسمون دي بوفوار حينما أصرت على أن تعريف المرأة وهويتها تنبع دائما من ارتباط المرأة بالرجل فتصبح المرأة آخر موضوعا ومادة**

يتسم بالسلبية بينما يكون الرجل ذات سمتها الهيمنة والرفعة والأهمية»[1]. وهذه النظرة السلبية تجاه المرأة منذ العصور القديمة، خاصة لدى الفلاسفة إذ جعلوا صورة نمطية على أنها «**الأفعى اللينة الملمس وهي أمامهم في كل وقت بل في كل لحظة! هي المرأة!**»[2]. ومن الفلاسفة الذين كتلوا عن المرأة ووضعوها في إطار محدود سلبي كالفيلسوف أفلاطون الذي كان موقفه من المرأة سلبي ويكن لها كراهية ولم يدعوا بالمساواة لها ويدعو إلى إلغاء الأسرة في طبقة الحراس ليؤكد الدولة الواحدة فلم يكن للمرأة وظيفة محددة فالرجل كان يقاتل ويصاع «**إن سيد الفلسفة الإغريقية أفلاطون كان يأسف أنه ابن امرأة وظل يزدري أمه لأنها أنثى وكان يرى أن الحب الحقيقي هو ما كان بين الرجل والرجل ويرى الجمال المبهج في الشبان وللمجتمع أن يكافح الرجال المحاربين بأن يمنحهم نساء جائزة لهم على شجاعتهم**»[3]. ومن خلال ذلك يبين لنا أن الفيلسوف اليوناني أفلاطون يرى المرأة كائن طبيعي يحكمه الرجل كونه كامل العقل على عكس المرأة فهي ذات عقل غير مكتمل وهو لا يصفها «**إلا بكثير من الاحتقار فهو يصنفها مع الحيوان والأطفال والمجانين .... الخ**»[4]. ويصنفها تحت دائرة الضعفاء والماكثين تحت السلطة الذكورية ولطالما وضعها في خانة الهامش فلا يمكن المطالبة بحقوقها فالكل الحق للرجل لأنه المتصرف والمتفق لنقص فيه ولا يمكنها التعبير عن آراءها ونفوذها إلى العتمة.

كما أن أفلاطون راح يسنن القوانين من أجل تحرير المرأة من قيود المجتمع لتشارك في أمور الحكم والحراس: «**يقول أفلاطون أنه يتبع الطبيعة عند ما ينادي بالشيوعية وبمساواة النساء والرجال في طبقة الحكام ألا ترى الأنثى من كلاب الصيد**

1- سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ط 5، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2007، ص 30.

2- زينة أحمد: المرأة في التراث العربي: حب، جمال، نعمة، نقمة، لطائف، مكائد، ص 153.

3- عبد الله محمد الغذامي: المرأة واللغة، ط 3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006، ص 27.

4- د. إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة د ط، مكتبة مدبولي، د ت، ص 81.

والرعاة، تشارك الذكر كل شيء؟ كذلك ستكون نساء دولتنا يربين تربية الرجال ويتلقين تعليم الرجال قم يولين نفس المهام في السلم وفي الحرب كالرجال على سواء ... ولما كانت المرأة ستشارك الرجال في جميع الأعمال الخاصة بطبقة الحكام فقد ترتب على ذلك إلغاء نظام الزواج»[1]. إذا ساوى الرجل بالمرأة وجعلها تتدرج سلم الحكم بالمقال حرمها من الزواج وهو أسمى شيء تتمناه المرأة فهو يحتقر علاقات الحب بين المرأة والرجل.

فقد كانت زوجة سقراط من أسوء النساء في العالم حيث كان صليتة اللسان قوية جبارة ... جعلت زوجها يهرب من البيت قبل الفجر ليعود قبل مغيب الشمس قال يوما يصف حياتها أنا مدين لهذه المرأة لولاها ما تعلمت أن الحكمة في الصمت والسعادة في النوم فالرجل مخلوق مسكين يقف محتار بين أن يتزوج أو أن يبقى عازبا في كلا الحالتين نادم فقد كان صوتها يصل إلى مكان جلوسه مع تلاميذه وهو تشتمه وتهينه وفي إحدى المرات كانت تناديه وهو يتحدث مع التلاميذ وفجأة إنهم الماء فوق رأسه بعد أن سكبت الجردل عليه ومسحه عن وجهه وأكمل يخاطب الحاضرين.

أما بالنسبة لأرسطو فقد كانت نظرته السلبية أيضا لما تأثر بنظريات سابقة حيث يرى أن المرأة من الرجل كالعبد من السيد والعمل اليدوي من العمل العقلي وكالبربري من اليونان كالرجل الناقص تركت واقفة على درجة دنيا من سلم التطور وقد خالف أستاذه أفلاطون الذي يرى أن المرأة وجب عليها البقاء في المنزل وتربية الأطفال ولا شأن لها في أمور السياسة والحكم «**جنس الإناث الرقيق الحساس العاطفي سريع التأثر، الذي ينقاد لعوامل الشعور أكثر مما يسترشد بنور العقل، ولهذا فهو جنس اقل استعدادا لرئاسة من جنس الرجل، لأن الرئاسة قيادة تستوحي العقل لا الشعور**»[2]. وبحسب عالم

1- أميرة حلمي مطر: جمهورية أفلاطون، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص 30.

2- إمام عبد الفتاح: أرسطو والمرأة، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص 7.

التكوين والوجود والواقع هي أدنى عقلا وقدرة وطبيعة من الرجل وأنها وجدت لتكامل الرجل فهي ليست سواء خادمة وتعتبر ظرف وعاء من أجل الإنجاب لأن الفضل في الانجاب لرجل فهو الذي يحقق الخلود ووظيفة المرأة الإنجاب فقط ولأنها ضعيفة من حيث القدرات العقلية والأخلاقية لا تصلح لسياسة.

وقد كان « **لنظرية أرسطو تأثيرها الهائل وسيادتها على الفكر البشري طول العصور الوسطى مسيحية وإسلامية معا غلبتها على عقول المفكرين، أو قل إنها لا لاءمت هواهم وسايرت عاداتهم وتقاليدهم وأعطتهم الأساس الفلسفي الذي يبقى وضع المرأة مترديا**»[1]. وعلى هذا استطاع أن يبني هذه الرؤية المرتبطة بين الرجل والمرأة ويؤسس لها مجموعة ضخمة من القواعد العقلية والفلسفية يعني أنه لم يجعل القضية قضية نقلية يناقش فيها بل جعلها عقلية مرتبطة بالرؤية الكونية (ميتافيزيقية) وقد جعل أرسطو العقل الإنساني يفكر بالطريقة التي تناسبه ثم وضع قواعد ليؤسس عليها في الرؤية الكونية والمرأة والرجل والسياسة وليثبت الوضع المتدني للمرأة.

5- عند المتصوفة: تعتبر المرأة عند المتصوفة تتصف بالإنسانية والوجود يقوم بأكمله على الحب إذ ينظرون إلى أن حب المرأة شبيه بحب الإله فتكون حلقة وصل ما بين الله والإنسان ويذهبون إلى أن الله تجلى في الإنسان وفي النساء أكثر لها تحمله من حسن وجمال فكانت مكانة المرأة كمكانة الرجل فقد استخدم المتصوفة المرأة كرمز ويرى ابن عربي تجلى الحق في النساء أتم وأكمل ويقول أنه أكثر إيحاء بالجمال الإلاهي باعتباره من سلخية الجمال وبالتالي التعبير عن الجمال الإلاهي المعنوي الروحي ينتقل بالتعبير من مشاهد الجمال الحسي التي تنتمي إلى المرأة فقد استطاع الشاعر الصوفي أن يرتقي بالمرأة إلى القدسية وكانت أيضا وسيلة بالتغزل بالشيء أفضل الخلق بالإضافة إلى التغزل بالمدينة المنورة وهذا الحب يعد حب عذري.

1- إمام عبد الفتاح إمام: أفلاطون والمرأة، ص 111.

في ما يخص قصة خلق حواء من ضلع آدم الأعوج الذي تم تتداولها في العديد من الدراسات ويستخدمونها نقطة من المرأة ووضعها في نقطة دونية عن الرجل أما عند المتصوفة يفسرونها أنها خلقت من الضلع الأقرب إلى قلب الرجل وهو رمز للمحبة فنظروا إليها على أنها حب الرجل بل كلها محبة واعتبرت مصدر ينبع عنه الحب أو مصدر الحب في ذاته.

وبانضمام المرأة إلى الممارسات الدينية والصوفية قد تمكنت من حيازة موقع لها في نسق الولاية والصلاح واستطاعت تجاوز الصورة السلبية وخير مثال على ذلك شخصية رابعة العدوية التي اعتبرت من أول الصوفيين الذين تحدثوا عن مصطلح الحب الإلاهي ولتجسيد خبراتهم إذ أن «**خبرات النساء الصوفية غالبا ما تكون هي الخبرة التي تتحقق في الطبيعة أو في مجتمع من النساء الأخريات**»[1].

خاصة دورها في الدفاع عن رمزية المرأة ومشاركتها في حركة التصوف وقد قال عنها الخاقافي وهو من متصوفة فارس إن المرأة إذا اتجهت إلى الله لا تعرف بامرأة ولكن برجل الله وبهذا جعلت لنفسها تخليد لذكراها وإقامة الطقوس لتبرك والشفاء عتبها ولكن بالنسبة للزواج ابتعد عنه العديد من المتصفوات إذ جعلت جسدها عبر مجاهدات تقريبا لما ذكرنا سابقا كرابعة العدوية فهي كانت تصوم تقريبا كل يوم ويغمى عليها ترفض أن تأكل لشدة حبها لله:

تقول: [2].

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا

1-كريست كارول بي: الصوفية النسوية: الغوص عميق والصعود إلى السطح، تر. مصطفى محمود، ط01، دار آفاق، القاهرة، 2006، ص 43.

2- مرتضى الزبيدي وآخرون: اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، م 9، الطبعة الميمية، 2012،ص 576.

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عما سواكا

وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولا ترضى أن تمنح جسدها للرجل وما يتطلبه من زواج وإنجاب وأعمال منزلية وهذا يبعدها عن عبادة الله ولهذا أرادت أن تصنع عالمها الخاص وتكون منافسة وربما التفوق عليها.

6- عند علماء النفس: المرأة تعيش متعلقة بالرجل في صغرها بأبيها أو أخيها وشبابها ونضجها مع زوجها وهذا يجعلها تشعر بالنقص ولها الشعور الدائم بحاجتها بالرجل والمرأة خاصة لمحبوبها تحتاج إلى إبراز أنوثتها وعدم شعورها بالنقص خاصة البنت التي لم ينبت لها ثدي و لنتيجة حالة نفسية فتقوم بوضع صدرية لإخفاء تشوهها ويرى فرويد مهما بلغ أنوثتها تبقى تعاني من النقص "عقدة" الخصاء «**فإذا كانت المرأة ناقصة فإن يستطيع أن يعوضها عن ذلك بعلاقة جنسية، عن طريق امتلاكها لقضيبه ... فكل علاقة يتحكم بها الإغراء الجنسي إذا لم يستطيع الرجل أن يسقط هذا الحجاب ليكشف عن الصورة الإنسانية للمرأة أي يرضى بتكوينها والاقتناع بأنوثتها دون أن يثير في نفسه الخوف أو القلق أو النقيض**»[1]. إذ يشير أن الفتاة خلال تطورها النفسي والجنسي تكشف أنها له قضيب لتشعر الفتاة في النهاية أنها فتى مخصي فتصبح للفتاة رغبة للحصول على قضيب من أجل القوة والسيطرة التي يمثلها.

أما من الحب فهو لا يقوم على الأنانية ولا على التضحية والمرأة التي تضحي من أجل الرجل فهي لا تشعر بالحب فهي تضحي بهذه النفس بسبب واحد لأنها لا تمتلكه ولأن

1- عدنان حب الله: التحليل النفسي للرجولة والأنوثة من فرويد إلى لاكان، ط1، المركز العربي للأبحاث والتحليل، الفرابي، لبنان، بيروت، 2004، ص 244.

الإنسان وخاصة المرأة التي فقدت نفسها بسبب ضغوط المجتمع وهذا دليل على أنها لا تحب فالحب توكيد لثقة الإنسان في ذاته ودليل آخر على عدم ثقة المرأة هي تلك المساحيق التي تضعها على وجهها ليكون قناع تواجه به المجتمع والحب بالنسبة لها تجارة من أجل كسب حماية الرجل لحميها اجتماعيا أو نفسيا أو جسديا وكذلك ما تفعله من طاعة لزوجها فهي تعرف أنها تضع العادة والعادة حين تتمكن من السيطرة عليه فلا يتخلى عنها.

ثالثا: المرأة والكتابة

تعتبر الكتابة تيار ثقافي إبداعي واستجابة لنداء الحاضر ورفع الجسد من الحسي إلى التجريدي والانتقال من عالم الأسرار إلى عالم الأنوار، تتناول قضاياتهم المرأة مثلا حرية المرأة ومكانتها ووضعها في المجتمع.

إذ تعد الكتابة بالنسبة للمرأة ذلك السبيل أو الطريق أو النقطة التي تبدأ بها في تحقيق طموحاتها والقدرة على تحقيق مبتغاها وذلك عن طريق كتاباتها وقد تعددت التسميات لهذا النوع من الكتابات ونذكر:

1- الكتابة النسوية: تمثل المرأة نصف المجتمع وقد تمظهرت بأشكال مختلفة وقضايا متنوعة في الرواية العربية المعاصر وارتبطت بالواقع المعاش وهذا مدفع المرأة بالولوج إلى عالم الكتابة الروائية والتعبير عن كل ما تعانيه من ظلم وتهميش من قبل الرجل والمجتمع على حد سواء باعتبارها الأقدر على التعبير بما تحسه من معاناة «**لا يمكن لأي كاتب مهما بلغت مهارته الفنية التحدث والتعبير عن المرأة الكاتبة مع نفسها**»[1]. إذا فالمرأة هي وحدها تستطيع أن تظهر في كتاباتها ما تشعر به ومحاربة كيانها ووجودها

1- حسين مناصرة: المرأة وعلاقتها بالأخر في الرواية العربية الفلسطينية، بحث في نماذج مختارة، نقد أدبي، ط 1، دار فارس، عمان، الأردن، 2002، ص 117.

وعقلها بفضل الكتابة حتى صارت قادرة على تنفيس والتأقلم مع المحيط الذي تعيش فيه والتمرد وكسر تلك الصورة النمطية المتداولة عن المرأة في الكتابة الأدبية والتي تقدمها في صورتها الإيجابية على عكس صورتها في خدمة الرجل أو الرمز للخديعة والكيد والخيانة في صورتها السلبية «**السبب الذي جعلها تفجر مكبوتاتها كحل التحقيق انتصاراتها وتفريغ دواخلها نحو العالم الخارجي بالقلم والحبر وبذلك تصبح هي الأقدر على حمل لواء تحرير المرأة من الخضوع للسلطة الذكورية المتوارثة بين الأجيال والعاملة على اضطهاد النساء إنما تسعى بشكل من الأشكال لرصد واقعها المهمش والمعتم وكشف أزقتها المتقبلة وإضاءتها لتتحول بذلك إلى ذات نصية**»[1].

وهنا يجدر بنا القول أن تهميش المرأة ككاتبة ناتج عن وضع المرأة في المجتمع، لطالما حاولت تغيير هذه النظرة وذلك من خلال كتاباتها إلا أن هذه النظرة كانت شبه معقدة وصعب تغييرها وهذا ما أدى إلى رفض مثل هذه الكتابات كونه إشكالية في حد ذاته «**حيث تميل معظم هذه الآراء إلى الانتقاص من كفاءات النساء ورفض الإقرار بتميز كتاباتهن فلا شك في أن المواقف المتحيزة ضد المرأة وقدراتها الفكرية والإبداعية تقوم على أحكام مسبقة تعزز إقصاءها من فعالية الإنتاج والإبداع وتنظر إليها وفق المنظور الفيزيولوجي، أي باعتبارها جسدا عليه أن يكرر وظائفه تبعا لذاكرة مجتمعية تنظر بعين النقص إلى مؤهلات المرأة وقدراتها والواقع أن هذا الطرح لا يمكن تبريره علميا**»[2]. وهذا يعني أنه رغم سعي المرأة إلى تغيير وكسر تلك الصورة النمطية التي وضعها المجتمع وذلك عن طريق الكتابة واثبات وجودها كإنسانة لها طموح ورغبات

1- مشقوق هنية: المرأة بين سيطرة الآخر واثبات الذات، اكتشاف الشهوة أنموذجا، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، الندوات بندوة الصوت النسوي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 6-12-2012، ص 01.

2- نورة الجرمونس: الأدب السردي النسائي وإشكالية التنمية، مجلة الراوي، النادي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ع 23، 2010، ص 41.

وقادرة على أن تبدع وتنتج ماهو أفضل، كل هذا لم يجدي نفعا فهو غير مرغوب فيه كونها تبقى دائما ضعيفة لا تستطيع أن تصنع شيئا وليس لها الحق في الحرية ولا حتى في التعليم وهذا ما جعلها تعمل على إثبات وجودها وتفجير كل ما بداخلها من معاناة «**فقد كان التعليم هو الوسيلة الرئيسية التي توصلت النساء من خلالها إلى إدراك طبيعة وضعهن وإمكانية تغيير هذا الوضع**»[1]. فالوسيلة الوحيدة التي جعلتها تقوم بكسر ذلك القالب الذي وضعها فيه المجتمع والصورة التي رسمها لها هو التعليم قصد إثبات ذاتها من خلال كتاباتها.

2- الكتابة النسائية: تعد الكتابة هي السبيل الوحيد لتكوين النفس واسترجاع الكيان المفقود واكتساب الحرية كما فعلته المرأة وذلك يرسم طريق في الكتابة لتغيير نظرة المجتمع إليها بشكل علم والرجل بشكل خاص لتثبت مكانتها وجدارتها وذلك عن طريق الفن والإبداع وقد ركزت الرواية النسائية على المشاكل الذاتية للمرأة وقد تمكنت في تحويل الصراع من الواقع العربي العام إلى صراع داخل الذات جاعلة من أعماق الذات فضاء لمرايا متقابلة يتناسى فيها صور الدمار الذي تعاني فيه من شخصية الرجل العربي الغير سوي وقد اختارت المرأة الكتابة من أجل تحقيق ذاتها كمرأة قادرة على مواجهة الواقع بكل سلبياته وإيجابياته «**فمن أهم الأشياء التي تميز فن الرواية أنه يهتم بالتعبير عن مشكلات الإنسان الاجتماعية والنفسية وشخصية المرأة وظفت من خلال هذا الجنس الأدبي ليعكس من خلالها الكاتب واقع مجتمع ما في مرحلة تاريخية معينة وذلك لكونها مخلوق أو كائن بشري على وجه الأرض يعاني بشكل حاد وتظهر عليه هذه المعاناة في شكلها الواضح من كل المتناقضات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية التي يزخر بها مجتمع ما في مرحلة تاريخية ما خاصة به**»[2].

1- روجر آلن: الرواية العربية، مقدمة تاريخية ونقدية، تر: حصة إبراهيم المنيف، ص 149.

2- سناء طاهر الجمالي: صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية، ص 18.

لقد لجأت المرأة إلى الكتابة وذلك بغية الاحتفاء بالذات واثبات وجودها ككائن حي على وجه الأرض يملك طموحات ورغبات يريد تحقيقيها عن طريق الكتابة إذ تعد الكتابة النسائية «**مرحلة اكتشاف الذات**»[1]. لذلك يشترك على الكاتبة أن تكون على وعي بذاتها وبوجودها كمبدعة ومنتجة تستطيع تجاوز تلك الصورة التي وضعها فيها المجتمع إذا تعمل المرأة في كتاباتها على رسم صورة الرجل وغالبا ما تكون صورة سالبة لا تبتعد عن الرجل الشاذ المغتصب المتسلط الأناني والخروج عن دائرة الرجل وهيمنته «**الرجل هو المجتمع والمرأة ليس سوى فئة فيه**»[2]. وهذا يعني الخروج من ما تعانيه من سلطة الرجل وتشكيل ذاتها داخل اللغة من خلال إبداعاتها في الكتابة.

إذ يعتبره مصطلح الكتابة النسوية «**يتأرجح ما بين مؤيد ومعارض وفيما بينها تتولد أشكال التطرف**»[3]. وهذا يعني أن هذا المصطلح بين الرفض والقبول إذ لا يكون بالضرورة الكتابة النسائية أو الأدب النسائي هو كل ما تكتبه المرأة عن المرأة إذ يمكن أن يندرج ضمن ما تكتبه المرأة بصوت الرجل قصد التساوي واثبات القدرة على الإنتاج ومن الانتقادات التي وجهت لهذا المصطلح كون المرأة ضعيفة «**إن المصطلح يدل في العربية والآداب الأخرى على نقص في الإبداع وانتقاص من الاهتمامات النسائية المحددة**»[4]. فيما أن المرأة بطبيعتها فتنتج شيء ضعيف لذا تكون كل كتاباتها ضعيفة لن تتلقى أي اهتمام أو إعطائها قيمة كونها يعتريها النقص.

1- مفيد نجم: الكتابة النسوية، إشكالية المصطلح، التأسيس المفهومي لنظرية الأدب النسوي، مجلة نزوى الإلكترونية، ع 42، 22-7-2009.

2- نازك الأعرجي: صوت الأنثى، (د.ط)، دار الأهالي، دمشق، سوريا، 1997، ص 35.

3- شرين أبو النجا: عاطفة الاختلاف (قراءة في كتابات نسوية، ط 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998، ص 11.

4- عبد النور إدريس: النقدي الجندري، تمثلات الجسد الأنثوي في الكتابة النسائية، ط 1، دار فضاءات، عمان، الأردن، 2013، ص 28.

3- الكتابة المؤنثة: لقد ازدادت الساحة الروائية بكتابات متميزات استطعن الرقي بالمجتمع والنهوض بالفكر وإبراز فعالية المرأة في الفن منهم أحلام مستغانمي وآسيا جباري، هدى درويش ... إذ تعمل المرأة في كتاباتها المؤنثة على التعبير عن مشاعرها المجروحة وما تعيشه من واقع مرير تحت وطئه الرجل كون كتاباتها بمثابة مرآة عاكسة لما تعيشه، لذا أصبحت المرأة بتجاوزها لبعض الصعوبات والانتقادات التي مازال بعضها إلى حد الآن متواصلة فبامتلاك المرأة وعي وثقافة، جعلها ترفض ذلك التهميش والبقاء في الظل متخفية لتتيح لنفسها فرصة الارتقاء بأفكارها من خلال كتاباتها وهذا ليس بالأمر السهل لأن بمجرد الحديث عن الكتابة المؤنثة يصعب تعريف وهذا في تعريف سكسوس حيث قال «**من المستحيل تعريف ممارسة الكتابة المؤنثة، وستظل تلك الاستحالة قائمة، لأن تلك الممارسة لا يمكن تنظيرها أبدا ولا حصارها، ولا تشفيرها لكن هذا لا يعني أنها غير موجودة**»[1]. لذا تكون الكتابة المؤنثة وسيلة وسبيل للتعبير والدفاع عن كل ما يخص المرأة.

خلاصة: إذ يصعب علينا التمييز بين هذه المصطلحات الثلاثة (النسوية، النسائية، المؤنثة) فالأولى «**الكتابة من وجهة نظر نسوية سواء كان موضوع هذه الكتابة من إبداع امرأة، وهي الغالبة لأسباب مفهومة ومبررة أو من إبداع رجل وهي نادرة**»[2]. أما الثانية «**يعني ما تكتبه النساء من وجهة نظر النساء، سواء كانت هذه الكتابة عن النساء أو عن الرجال أو عن أي موضوع آخر**»[3]. أما فيما يخص المؤنثة فهي التي «**يحمل صفة المؤنث استنادا إلى آليات الاختلاف لا الميز، فهو لا يحتاج إلى مبدأ المقابلة مع المذكر لأنه يتموقع خارج الثنائيات والمقابلات التقليدية**»[4].

1- بام موريس: الأدب والنسوية، ص 185.

2- عبد النور إدريس: النقد الجندري، ص 21.

3- المرجع نفسه، ص 21.

4- المرجع نفسه، ص 20.

وهذا ما أكد أن المرأة لها فعالية كبيرة في الكتابات كونها تختلف عن المذكر لتبدع من وجهة نظرها وهذا ما وجدناه في الكتابة النسائية أما النسوية فتكون من إبداع كلا الجنسين وفق منظور نسوي أما الأخيرة المؤنثة يتعلق بالصفة (المؤنثة) ولا يرتبط بالتمييز بين الجنسين.

الكتابة الجندرية (النوع الاجتماعي):

لقد خلق الله عز وجل ثنائية الذكر والأنثى (جنسين مختلفين) والإنسان، بطبعه له رغبات وطموحات يريد تحقيقها فمثلا كل من هاتيين الثنائيتين تريد تقمص أدوار الجنس الآخر مثل هذه التغيرات تنتج عنها اضطرابات خارجة عن سيطرة الإنسان وكل منهما يمتلك ميولات إلى الآخر وهذا داخل في اللاشعور فهناك من يذهب إلى عدم التمييز بين الرجل والمرأة «**لا توجد فوارق طبيعية على الإطلاق بين الرجل والمرأة أوما يسمى بطبيعة الأنثى والذكر سوى الفروق البيولوجية بالطبع في ثلاث مجتمعات بدائية قامت بدراستها، وأن المسألة ترد بكاملها إلى التربية الاجتماعية، فضلا عما نشاهده في بعض الرجال من سيطرة لانفعالات، وغلبت للشهوات، قد لا نجدها عند بعض النساء**»[1]. وهنا يمكن القول أنه يوجد رجل مخنث مثله مثل المرأة خاصة في السلوك الذي يكتسبه بالتعلم ولا ننسى كذلك المرأة كون لديها ميولات للجنس الآخر (الذكر) «**إن الإنسان ثنائي الجنسية، فالأنثى تمتلك بداخلها جنس ذكوري يسمى بـــ الأنيموس وهو ميل للرجال وكذلك الرجل يمتلك إنيما ويميل إلى الأنثى التي تحقق له التوازن بين صورتها في نفسها والواقع الملموس له**»[2]. إن الذكر والأنثى بطبعهما جنسين مختلفين إلا أنهما يكملان بعضهما البعض ومن خلال ذلك ظهر ما يسمى بالجندر وذلك قصد التمييز بين هاتين الثنائيتين والذي لطالما ساهمت هذا المصطلح (الجندر) في تكوين الهوية والتي

1- إمام عبد الفتاح إمام: أرسطو والمرأة، ص 112.

2- أمينة فراري: مناهج دراسات الأدب الشعبي (تاريخية، الأنثربولوجية النفسية في دراسة الأمثال الشعبية)، ص126.

تسمى بالهوية الجندرية «**شعور الإنسان بنفسه كذكر وأنثى وفي الأغلب فإن الهوية الجندرية تقابل الخصائص العضوية، لكن هناك حالات لا ترتبط فيها شعور الإنسان بخصائصه العضوية، ولا يكون هناك توافق بين الصفات العضوية وهويته الجندرية أي شعوره الشخصي بالذكورة أو بالأنوثة**»[1]. يرتبط الجندر بالأصل أو بما يولد عليه الإنسان سواء ولدت المرأة كمرأة والرجل كرجل إذ يوضع مصطلح الجندر الطرق بين الرجل والمرأة على الصعيد الدولي والدور الاجتماعي والمنظور الثقافي والوظيفة لتلك الفروق النابعة كنتاج لعوامل دينية وثقافية وسياسية واجتماعية وغيرها من العوامل المختلفة.

صور المرأة في كتابات الرجل:

رغم إسهام المرأة وتقديمها لتضحيات ووقوفها جنبا إلى جنب مع الرجل إلا أنها تغيرت النظرة من الإيجابية إلى السلبية بالنسبة لنظرة الرجل وقد تم تجاهلها واستضعافها وتهميشها «**الرجل بثقافته المتوارثة وسيطرة على اللغة حرم المرأة من حقوقها الإنسانية، وقمة هذا الحرمان وسببه وخلاصته كانت في حرمانها من حقوقها اللغوية ومنعها من الكتابة**»[2]. ومن خلال ذلك وضعت المرأة في إطار سلبي والعيش في جلباب الرجل وفق ما يلائم العقلية الذكورية وذلك بسلب حقوقها في الكتابة وعدم مطالبتها في التعبير عن آرائها وأفكارها «**سجنها في حدود منزلها مع ما يتضمنه من حرمان لفرص التعامل مع الواقع والتدريب على السيطرة الفعلية عليه، واستلابها ارادتها وقدرتها على الاختيار، هو الذي أدى إلى تفشي الخرافة في وجودها وممارستها ونظرتها للعالم وأن حرمانها حرية التعبير عن الذات هو الذي يلجأها إلى الوسائل الملتوية، وإن وضعها في موضع المهددة الفاقدة للسيطرة على مصيرها، لا يترك لها مجال سوى الشعوذة**

1- بد النور إدريس، النقد الجندري، ص 80.

2- عبد الله محمد الغذامي: المرأة واللغة، ص 9.

والتطير سوى جبروت الفكر السحري والسيطرة الخرافية على المصير»[1]. هذا ما جعل المرأة تخرج من الصورة النمطية التي وضعها الرجل فيها والتمرد على كل تلك القيود وكسرها والخروج من هيمنته النابعة من تلك الأعراف والتقاليد عن طريق كتاباتها ولطالما جعلها الرجل مقيدة ومهمشة ومحتقرة في انتاجاته وإبداعاته «**إن الرؤى والجماليات التي أنتج فيها الرجل بشخصية المرأة في كتاباته لم تتجاوز نماذج الشيء والرمز والدوينة وبعض ملامح الإنسان فتعد أشكال المرأة الأم، الأنثى، والمومس والعرض والشاذة والأجنبية والملاك والشيطان والحرمة والمثقفة والثورية والعاملة وربة البيت والعانس، أشكال واقعية انتقلت إلى الكتابة الذكورية فتقمصت بها شخصية المرأة بوصفها نموذجا مستلبا في أدنى المجتمعات وأرقاها»**[2].

أي أن المرأة تستخدم في الكتابات الذكورية وغالبا ما تكون في صورتها السلبية وقليلا ما يكتب عنها على أنها بطلة أو محابة أو مضحية ....

ولهذا قد حاولت المرأة أن تعبر عن ما تتحمله من إهانة وتعصب ضدها وقهر وكذلك العجز عن التصدي بمثل هذا الآلام والمعاناة والتقصير في حقها وحق حريتها «**تعد قضية المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة، جزءا من قضايا الإنسان الجزائري كفرد في المجتمع، فرض عليه شروطه واختار له مسار حياته، وفي الغالب حدد له مصيره المعروف مسبقا بحكم الحتمية الاجتماعية القاهرة»**[3].

وبالكتابات استطاعت المرأة أن تتفوق بجدارة وأن تعيد الاعتبار لشخصيتها وشخصيات بنات جنسها كامرأة وإخراجها من القالب الذي وضعت فيه على مدار السنين

1- مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، م. إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط09، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص 201.

2- حسين مناصرة: المرأة وعلاقتها بالأخر في الرواية العربية الفلسطينية، ص 36.

3-الشريف حبيلة: الرواية والعنف، ص 211.

العديدة وتحقيق كلما تطمح له المرأة ككاتبة ورغبتها في كسر ذلك القالب الذي وضعها الرجل فيه وتغيير الصورة التي وضعها فيها في كتاباته وذلك قصد إثبات ذاتها وقدرتها في الإبداع.

بالإضافة إلى الكتابات فالمرأة تحتل مساحة كبيرة في كل المجالات كما يقول الدكتور صالح مفقودة «**أما وجود المرأة في ميدان الأدب فيحتل مساحة كبيرة، فقصائد الشعر العربي تنوء بوصف النساء، ولوحات الرسامين تعتمد على هذا الموضوع وكذا الأفلام والإشهار وأسواق المتعة**»[1]. أي أن قضية المرأة قضية مهمة متناولة في شتى المجالات منذ الأزل إلى حد يومنا هذا.

المطلب الثالث: المهمش الاقتصادي والجغرافي:

أولا: الفقير (الصعاليك):

يعرف العنف على الذين لا يعرفون الرحمة ولا الشفقة اتجاه الآخر أو على تلك الفئات ذوي السلطة إذ لا يقتصر أعمال العنف على القتل وحده، بل يتعدى حتى إلى العنف اللغوي والنفسي وكذلك التهميش الأسري والاجتماعي ضد الفقراء والمساكين وذوي الاحتياجات الخاصة، وهذا ما يولد لهم الكراهية والحقد ويطبقون مقولة ما يؤخذ بالقوة لا يسرد إلى بالقوة وأخذ العنف كطريق لاستيراد حقوقهم المسلوبة منهم، وكذلك يعد الفقر والعوز والبطالة من الأمور التي تستدعي العنف الذي كان نتيجة لرفض الواقع المعاش واستخدام العنصرية اتجاه الفئات التي استغلت الفقراء والضعفاء بسلب حقوقهم وحريتهم «**هناك دلائل متزايدة على وجود العنف العنصري في المناطق الريفية والحضارية على حد سواء وهذا يوضح أن هذا النمط من السلوك ليس مقصور على**

1- صلاح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائري، ط 2، دار الشروق للطباعة والنشر، 2009، ص 9.

المناطق الفقيرة داخل المدن فحسب وربما تكون النزاعات المحلية، والهويات المحلية والشبكات غير رسمية عوامل ذات صلة تؤثر في معدلات التعرض للعنف العنصري في مختلف المناطق»[1]. إن أكثر شيء يسبب العنف الفقراء لأنهم ضعفاء لدرجة لا يستطيعون الدفاع عن حقوقهم كذلك الأطفال والشباب والمسنين وليس لديهم أي دافع سوى التعنيف «**توصف مجموعة المجرمين الصغار بأنهم المشتبه بهم المعتادون، وهم أولئك الذين يتكرر القبض عليهم من قبل رجال الشرطة وهم في الغالب شباب فقراء ومهمشون اجتماعيا ومحطمون وقابلون للاختراق ولديهم الاستعداد الداخلي للسلوك العنيف»**[2]. إذا فكل عنف سواء كان جسدي أو لفظي فهو ناتج عن تهميش أو فقر أو بطالة وكون الفقر أكثر الأسباب التي تؤدي إلى العنف «**الفقر للإشارة إلى الحرمان من القدرة البشرية على التمتع بالخيارات والفرص الأساسية اللازمة لسعادة الفرد أو الأسرة أو المجتمع»**[3]. وإن خير مثال على الفقرة وعلى وجوده منذ الأزل نجد مصطلح الصعاليك الذي أطلق على «**فئة من الفقراء اتخذوا لأنفسهم طريقة خاصة في حياتهم فسلكوا سلوكا له سمات معينة، أهمها: الأنفة والأباء والترفع عن الصغائر والدنايا وحقير الأعمال، معتمدين في حياتهم على القوة والبطش وانتهاز الفرص وخفة الحركة وسرعة الجري والهجوم الخاطف والسلب والنهب والفتك بالأعداء مع الحرص على البر والاهتمام بالمرضى والضعفاء والمحتاجين»**[4]. حتى كبير الصعاليك فقيرا لقسوة الحياة عليهم وعدم استقراهم نتيجة فقرهم «**الصعاليك الذي كانوا يلجئون إليه كلما قست عليهم الحياة ليجدوا عنده مأوى لهم حتى يستغنوا فالرواة كانوا يذكرون أنه (كان صعلوكا**

1- إيان لوو: العنصرية والتعصب العرقي من التمييز إلى الإبادة الجماعية، تر: عاطف معتمد وآخرون، ط 1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص 308.

2- إيان لوو: العنصرية والتعصب العرقي من التمييز إلى الإبادة الجماعية، ص 311.

3- راي بوش: الفقر والليبرالية الجديدة، الاستمرارية وإعادة الإنتاج في جنوب العالم، تر: إلهام عيداروس، وليد سليم، ط1، المركز القومي، للترجمة، القاهرة، 2015، ص 21.

4- علي الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي، د ط، دار غريب، القاهرة (د ت)، ص 438.

فقير مثلهم)»[1]. ويقصدون عروة ابن الورد سيد الصعاليك، إن كل ما يفعله الصعاليك هو تغيير أوضاعهم التي يعيشونها من السلب إلى الإيجاب فمثلا هم يريدون تحقيق رغباتهم أما من الجانب المادي أو المعنوي وذلك بتحقيق ثأرهم فالصعلكة «**مجال قد حوى فيما تحالف في طرائق تحقيقها نواميس القبيلة ولكنها مبنية عن تصور ذاتي خاص لكسب القوت أو الأخذ بالثأر وهما الدافعان الأساسيان لخروج الصعلوك غازيا**»[2]. ولوصولهم إلى المبتغى المقصود تشكل جذر العنف لديهم تمردوا على المجتمع القبلي أي ذوي السلطة التي كانت سببا في تولد الفقر لدى الصعاليك.

وقد جاء الإسلام ليرفع بعض من العبء على الفقراء ولذلك «**وضع نظام الزكاة وعدت كما قدمنا ركنا أساسيا في الدين، فواجب كل شخص أن يقدم من ماله سنويا فرضا مكتوبا عليه للفقراء وللصالح العام، وبذلك أصبح للفقير حق معلوم في مال الغني**»[3]. فقدمن الله عز وجل على الفقير بأن يعيش عيشة كريمة لقوله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[4]. وبهذا أنعم الله سبحانه وتعالى على الفقير وعلى المتصدق بأمواله لتكون أجرا وثوابا في الجنة.

ثانيا: اللاجئ:

تعد الهوية هي الأصل الذي ينتمي إليه الإنسان منذ ولادته أو الانتماء الذي يعرف به الشخص وإثبات وجوده الحقيقي على وجه الأرض، إن بمجرد ذكر لفظة الهوية يحيل مباشرة إلى الإنتماء فالأولى تحقق الثانية و«**مشكلة اللامنتمي هي في جوهرها مشكلة حية، ولهذا فإن ولن يعود من الأدب إلى الحياة نفسها، فيعتبر فان كوخ وت ي لورنس**

1- يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط 3، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص 28.

2- محمد زروق: صورة الجاهلية، ص 346.

3- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص 19-20.

4-سورة الحديد: الآية 18

ونجنسكي لا منتمين، إنه يختارهم باعتبارهم نماذج ثلاثة للامنتمي يتميز كل واحد منهم بمميزات خاصة ينافس بها الآخرون في اللانتمائيته»[1]. واللامنتمي هو عدم رغبة الإنسان في الانتماء من خلال الهوية الشخصية للإنسان فهناك من لا يريد البقاء في المنطقة التي ينتمون إليها نتيجة للاستبداد السياسي والقصر والظلم الذي يعانون منه ليكونوا لاجئين في دول أخرى «**باعتبارهم مواطنين في دولة ما يتقرر أنهم قابلون للاستعباد، فيرحلون أو يجبرون على الترحيل، وهنا يتحولون إلى أغراب في الدولة التي تأويهم، وكلمة لاجئ قد أصبحت كلمة سياسية تشير إلى أسراب من الأبرياء الحائرين الذين يحتاجون إلى مساعدات دولية ملحة**»[2]. فاللجوء هو بمثابة الهجرة من مكان مليء بالظلم وعدم الاستقرار والأمان إلى بلد يتوفر فيها كل ما كان غائب في المنطقة المنتمي إليها والبحث عن الأمان والعيش باستقرار.

لطالما كان الإنسان يشعر بالتوتر والقلق في مكان وجوده لاسيما عندما لا يجد الاحترام المتبادل ولا الحرية التي كان يحلم بها وكذلك الاستقرار النفسي، فكل ما يعيشه الإنسان من حياة مؤلمة لا أمان ولا حرية ومقابل ذلك العيش باستمرار فيما يسمى بالاضطراب والغربة حتى ولو يعيش في منطقته بين أهله وأصدقائه «**إن مشكلة اللاجئين لم تكن مشكلة اقتصادية مطلقا لم يتخلوا عن حقهم في وطنهم و كانت مشكلتهم تكمن في اقتلاع جذورهم اجتماعيا عن طريق قطع صلاتهم الشخصية والتقليدية بعائلتهم وأقاربهم ووطنهم ومجتمعهم**»[3]. لقد أصبحت فكرة الانتماء إلى قبيلة ما والتقيد بعاداتها وتقاليدها المعروفة تشكل أزمة وقلقا داخل الذات الإنسانية خاصة الذي يطالب بحقوق كالحرية في كل ما يفعله، وهذا مرفوض من قبل القبيلة عامة والمجتمع خاصة الذي يعيش معه وهناك من لجأ إلى منطقة أخرى خوفا من الاستبداد والهيمنة أو عن طريق الإجبار وخير مثال عن ذلك المنفيون «**المنفي هو ذلك الشخص الذي أجبر على**

1- كولن ولسون: اللامنتمي، ط5، دار الآداب، بيروت، لبنان، 2004، ص 6.

2- محمد الشحات: سرديات المنفى، الرواية العربية بعد عام 1967، ط02، أزمنة عمان، الأردن، 2006، ص 21.

3- إبراهيم الجندي: اللاجئون الفلسطينيون بين العودة والتوطين، ط 1، دار الشروق، عمان، الأردن، 2001، ص 22.

مغادرة وطنه أو على الخروج منه خوفا من الاضطهاد أما لأسباب العرق أو الدين أو الجنسية أو نتيجة لآرائه السياسية فإن أصل العودة لن يفارقه في منفاه الذي يعتبره وضعا مؤقتا لا يدوم»[1]. ويعتبر هذا النوع ما يسمى بالتهميش وهو طرد وإخراج فئات معينة من بلادهم وعزلهم عزلا تاما لتلك المنطقة كما تعرض إليه الفلسطينيون «**في لبنان في شكل عام إلى أشكال عدة من التهميش، التهميش المكاني الذي حول المخيمات الفلسطينية إلى جزر شبه معزولة عن محيطها السكاني تقوم باحتواء اللاجئين بوصفهم مصدر خطر وتهديد محتملين للمجتمع المضيف والتهميش الاقتصادي الذي يفرض قيودا صارمة على حق الفلسطينيين في العمل ولضمان الاجتماع، وكذلك التهميش المؤسساتي الذي يستبعد الفلسطينييننمن مؤسسات الحياة الاجتماعية والثقافية**»[2]. وهذا لا يعني أن الرجل هو المعني فقط بالتهميش والنفي والهجرة فالمرأة كذلك تهمش من قبل قبلتها أو منطقتها أو مجتمعها كذلك استعمال العنف ضدها، وهذا ما يجعلها تفضل العيش أو الهجرة بعيدة عن كل ظلم وقهر يلحقها ومثال ذلك الفلسطينية أم صالح حيث تقول بأنها: «**لازمت منزل عائلتها ولم تتعلم القراءة والكتابة غادرت فلسطين من دون ذويها عندما كانت في الرابعة عشر من عمرها، هم ذهبوا إلى الأردن ولم تلتقي بهم قط منذ ذلك التاريخ، تزوجت في لبنان وأنجبت خمس بنات وخمسة ذكور، أمضت العائلة حياتها في مخيم تل الزعتر في شرق بيروت وفي عام 1976 قتل زوجها وثلاثة من أبنائها خلال الحصار والمجزرة التي دمرت المخيم ... وبعد الحرب المخيمات انتقلت إلى مبنى غزة**»[3]. كل هذا يكمن سبب هجره اللاجئون إما ناتجة عن ظلم وقهر وسلب للحريات وأما جراء الحروب.

1- محمد الشحات: سرديات المنفى الرواية العربية بعد عام 1967، ص 66.

2- آري كنودسن وساري حنفي: اللاجئون الفلسطينيون في المشرق العربي، تر: ديما الشريف، ط 1،/ المركز العربي، بيروت، لبنان، 2015، ص 27.

3- المرجع نفسه، ص 341.

ثالثا: المدينة/ القرية:

لقد كانت المدينة عبارة عن ريف إذ يعود هذا الأخير إلى لجوء الناس إليه وتوافدهم وبذلك يزداد عددهم تدريجيا يتسع المكان شيئا فشيئا إلى أن يصبح مدينة «**إن البدو أقدم منالحضر وسابق عليه وإن البادية أصل العمران والأمصار مدد لها**»[1]. لقد أصبحت المدينة مركز لما تتوفر عليه من مراكز خدمات عمومية وثقافية وغيرها على عكس الريف الذي أصبح هامش لهذا المركز رغم أنه المكمل الأساسي له كون المركز لا يمكنه أن يحايدون هامش إذ تحول الريف إلى مكان خال من كل المرافق الحياة بدل المركز الذي يشكل ويتكون من وعاء للقيم الحضارية والثقافية.

إذ يعد الهامش الجغرافي «**أهم الأسباب التي يصنف الناس على أساسها ومن خلالها إلى المركز وهامش فحتما لكل مجتمع مهما كانت هوية هذا المجتمع، ومهما كانت الفترة الزمنية التي ينشأ فيها ليكون له مركز يتمركز فيه الحاكم والسلطة وكل آليات التحكم في هذا المجتمع، كمما يكون له أطراف أو هوامش تقترب أو تبتعد عن المركز بحسب اهتمام ذلك المركز بها**»[2]. ان تهميش الأفراد جغرافيا ينتج عنه التخلي عن العادات والتقاليد، باعتبار أن الريف منبت للكرم والأخلاق الرفيعة أما المدينة اعتبروها عالم تمرض فيه الأرواح والشعور بعدم الاستقرار النفسي من روائح كريهة وأصوات صاخبة ولهذا رغم أن الريف مهمش إلا أنه لا يمكن الاستغناء عنه.

المطلب الرابع: المهمش الديني

1- عبد الرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر "مقدمة العلامة بن خلدون" د ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2007، ص 136.

2- هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، ص 190.

أولا: الحجاب والنقاب: تتعرض الفتاة خاصة المحجبة لضغط والإهانة والعنف من قبل المسلمين إخوانها وهذا الغريب في الأمر ومن جهة أخرى الغرب خاصة في البلدان الأجنبية فتجد العرب يقولون لها لماذا تلبسين النقاب والحجاب هنا أن تشوهين صورة الإسلام والمسلمين وبهذا الشكل تحسيهم أننا متشددين ورجعيين وغجريين وإرهابيين .... فهم يرون أن هذا اللباس في السعودية سيلقى الاحترام لأنها بجانب الحرم ولكن هنا المجتمع لن يفهم هذا، ولكن هل هذا يعني أن الإسلام في السعودية فقط!

ارفعي رأسكي فأنتي مسلمة والمرأة عليها الافتخار بهذا اللباس الطاهر النقي وهذا لا يعني أن بقية الملابس لا تصلح ولكن هنا حرية لهذا النوع من اللباس أيضا إذ لا يمكن أن ننظر نظرة خوف وغرابة اتجاه هذا اللباس خاصة العرب أنفسهم قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾[1]. والأسوء من فكرة العرب أنها ترفض فكرة المرأة المحجبة أو الحجاب خاصة الغريب نجد أن النساء أنفسهم في الدول العربية يرفضونه فمثلا امرأة لبنانية كتبت «**لاحظت أن الأمم التي نبذت الحجاب هي الأمم التي تقدمت في الحياة الفكرية والمادية، فالأمم غير المحجبة هي التي كشفت من خلال البحث والدرس أسرار الطبيعة والسيطرة على عناصر الطبيعة كما نعلم ونرى أما المحجبة فلم تتكشف أي سرور ولم تسيطر على أي من العناصر الطبيعية ولكنها تكتفي بالتغني بأمجاد الماضي والتراث العريق**»[2]. إذ يرون أن الحجاب دلالة على التخلف وجعلوه في إطار سلبي.

1- سورة الأحزاب، الآية 59.

2- كاثرين بولوك: نظرة الغرب إلى الحجاب، تر: شكري مجاهد، ط02، العبيكان والكلمة أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص 25.

ولكن الحجاب من أكثر الأمور شجاعة وبهذا يمثلن أنفسهن ويعبرن عن التواضع ويجعل العلاقة بين الرجل والمرأة أكثر خصوصية كأنها تترك حبالها لزوجها وتظهر كثير من الانضباط والتهذيب والإخلاص وهذا يجعل ثقافتنا الإسلامية أكثر ثراء.

أما بالنسبة للغرب فهم يسخرون من المحجبات، لماذا تغطون رؤوسكم هل بدى شعرك بالتساقط لغطيته «**هؤلاء النساء يغطين شعرهم لأنهن لا يملكن تكلفة الذهاب إلى مصفف الشعر! أو إنهن يتحجبن ليخفين دمامتهن**»[1].

إن أصبحت المرأة المسلمة نموذج التخلف والاضطهاد ويرون أن المرأة يجب أن تتخلص من الحجاب الذي يغطيها في رأسها حتى قديمها وعلى هذا يجب رفع وصاية الدين على المرأة وينعتونها بالأشباح السوداء وأنها مصنفة بمسحة الأرض وكانت هذه النظرة الدونية قاسية جدا لها.

فالناقدة بينارد «**تنتقد بعض وسائل الإعلام الأمريكي وبعض السياسيين في إظهارهم أو ظهورهم مع النساء المحجبات، وتنتقد موقع وزارة الخارجية الأمريكية على الشبكة العالمية للمعلومات في تظمينه معلومات عن حياة المسلمين في أمريكا تظهر اثنتين وثلاثين صورة لسناء وفتيات محجبات وبعضهم يرتدين حجابا يغطي الوجه أيضا بينما لا تظهر سوى ثلاث عشرة صورة لنساء سافرات**»[2]. لم يتقبل الغرب فكرة المرأة المتحجبة لأنه يراها تمثل فكرة الإرهاب فقط لأنها مسلمة فتتعرض إلى الاعتداء الجسدي واللفظي، ونزع الحجاب بالعنف فأصبح التجول لدى المرأة يشكل خطرا عليها وأكثر من كل هذا تتعرض لعنصرية الداخلية وذلك عند استخدامها لاسمها الإسلامي أو لباسها فمثلا

1– فدوى الجندي: الحجاب بين الحشمة والخصوصية والمقاومة، تر:سهام عبد السلام، ط01، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ص 335.

2– عبد الله بن محمد المديفر: المرأة وذرائع الاسترقاق في السياسات الغربية، ط 1، دار الوعي، الرياض، 1436هـ ، ص 95.

عند طلبها لوظيفة وبحكم حجابها فهي لا تصلح لأن المحجبة لا يمكن أن تجلسمع أي كان في مكان أو في المقاهي.

وهناك من يرى أن المرأة ارتدت الحجاب تحت ضغط الأهل أو الزوج وأكثر من هذا خوفا من معتقدهن الديني وهناك من يجدن الحجاب دلالة على الحشمة والستر واتباع ما يرضي الله عن قناعة ومحبة قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

إذ لا يوجد أكثر جمالا من المرأة المسلمة وهي تلبس الحجاب عندما تنظر لنفسها في المرأة تتأكد أنها ترتدي بشكل لائق تتأكد أن الله راض عنها وأنها مستترة كلما كبرت أكثر كلما درست أكثر كلما زاد إيمانها زاد انصرافها عن بعض الأمور الدنيوية لدينا حب الله لدينا حب النبي صلى الله عليه وسلم لدينا القرآن الكريم لدينا كل شيء في قلوبنا.

رؤية الغرب للمسلمين: إن الدين الإسلامي لا يشكل خطرا أو تهديدا الدول والديانات الأخرى أو رفض لقوانينهم وممارسة التمييز السياسي ضدهم فهم يعممون الإرهاب على المسلمين لتحقيق مصالحهم الاقتصادية والسياسية فهم يغذون الشباب بأفكارهم فكلمة الإرهاب لم تكن قديما ظهرت لأول مرة بعد حرب أفغانستان بين أمريكا والاتحاد السوفياتي هذا لم يكن في الإسلام مطلقا «**شكل موضوع العنف والإرهاب محور السياسات والنقاشات حول منطقة الشرق الأوسط منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر**

1- سورة الأحزاب: الآية،ص 53.

2001 وحتى الآن»[1]. إذا أصبحوا يظلمون الإسلام ويغذون أطفالنا من التلفاز بهذه الأفكار أي أن هذه الأفعال هي فعلا إسلامية وأنها جزء من ديننا ولكن القرآن الكريم ينص بوضوح قال الله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[2]. أي من قتل شخصا واحدا بغض النظر عن جنسيته وعرقه بمثابة قبل البشرية جمعاء عند الله وتكلم النبي صلى الله عليه عن هذا أيضا حيث قال: «**حدثنا عبد الرحمن بن مبارك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار، قلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه**»[3]. ولهذا علينا التفريق بين الجريمة والدين ولهذا علينا تغيير الصورة النمطية السلبية للإسلام والمسلمين باستخدام الإعلام بشكل صحيح حيث يقول داينالبايبس «**إنه لمن الخطأ أن يلام الإسلام ديانة عمرها أربعة عشر قرنا من الزمن على الشر الذي يجب أن ينسب إلى التطرف الإسلامي إيديولوجية استبدادية لا يتجاوز عددها مائتي سنة**»[4]. أي أن الدين الإسلامي بريء من التهم المنسوبة إليه.

هناك من يستخدم القرآن الكريم في بعض آياته لتأكيد وجهة نظرهم قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ

1- د. معتز الخطيب: العنف المستباح «الشريعة» في مواجهة الأمة والدولة، ط01، دار المشرق، القاهرة، 2017، ص15.

2- سورة المائدة، الآية 32.

3- عبد القادر شيبة الحمد: الجامع الصحيح البخاري، رقم 30، باب المعاني من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، ص 58.

4- د. معتز الخطيب: العنف المستباح، ص 117.

كُلَّ مَرۡصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ ﴾[1].

أي إعلان الحرب على أعداء الله حيث كانوا وإن رجعوا عن كفرهم ودخلوا الإسلام والتزموا شرائعه فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام، إن الله غفور لمن تاب وأناب رحيم بهم «**إن القرآن، شأنه شأن كل الكتب المقدسة، يمكن أن يكون مصدرا غنيا بالأقوال التي تدعم وجهات النظر المتعارضة**»[2]. إذ وردت آيات أخرى يكون فيها الإسلام أكثر اعتدالا قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝١٣ ﴾[3].

فالغرب ليس مغفلا بل هو مفكر ناجح ولكنه يستغل الأخطاء التي يقوم بها المسلمين لوضع نظرة شاملة على الدين الإسلامي والمسلمين بأنهم إرهاب وأنه ليس دين سلام هناك أسباب أخرى كثيرة تجعل الغرب تكن الكراهية للمسلمين وهو أدعية المسلمين على الكفار وما يفعلونه في المساجد ولهذا علينا الاقتداء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم فهو لم يدع على الديانة من الديانات الأخرى، فهو يدعوا بالهداية، وقد يكون هذا سبب في هدايةالبعض واكتساب احترام البعض ومسح الصورة السيئة عن الإسلام فهو دين تسامح وهداية وهذا لا يعني المبالغة في حبهم أو رحمتهم أثناء الحرب وهناك سبب آخر في نظرتهم السلبية بسبب الطقوس التي يقومون بها من ضرب أنفسهم بعنف ولكن هل خوف الغرب من المسلمين مبرر برغم مما سبق سابقا! هذا ليس مبرر لها يفعله الغرب تجاه المسلمين فأكثر المكروهين من العرب هم المسلمين الذين يتبعون سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقصد به في الحقيقة.

1–سورة التوبة: الآية 5.

2– د. معتز الخطيب: العنف المستباح، ص 118.

3– سورة الحجرات: الآية 13.

الأفراد بل الإسلام في حد ذاته لما يفعل الإعلام الصهيوني في ألمانيا من تحريض على الإسلام والمسلمين وخوفهم من غزو الإسلام فالغرب لديهم قواعد في عدد الإنجاب وهو طفل لكل زوجين وهذا يقلل من نسبة انتشار الحضارة على عكس المسلمين لهم حرية الاختيار وهذا رفع من نسبة الحضارة الإسلامية وهذا يعني أننا لا تحتاج للإرهاب بل إلى أفراد المسلمين، وبعد مدة ستصبح كل الدول الإسلامية دون عمليات انتحارية هذا ما جعل الغرب يخاف فالكنيسة الكاثولوكية صرحت متأخرا أن عدد المسلمين تجاوز الحدود في الولايات المتحدة والدراسات تثبت أنه إذا حافظ الإسلام على معدل انتشاره الحالي فإنه في خمسة إلى سبعة أعوام سيكون الدين الإسلامي هو الحاكم في العالم كله، بالإضافة إلى المهاجرين.

فمهما حاولنا فلا يمكن إرضاء الغرب قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٢٠﴾[1]. مهما حاول المسلمين إرضاء الغرب فلن يرضوا حتى تقبل بدينهم فالله سبحانه وتعالى علمنا أن المحصلة الأخيرة لن يرضوا عنا حتى يردون عن ديننا.

ولكن لا يمكن ظلمهم جميعا فهناك من يرى أنهم بشر هناك السيئ وهناك الطيب ومنهم من يرى أن الدين مفصول عن العمليات الإرهابية.

1- سورة البقرة، الآية 120.

المبحث الثاني: المركز

تمهيد: اعتبر المركز صانع الحضارات ومبدعها على عكس الهامش الذي يقوم على الاستهلاك والركود والتبعية وكلما زادت هيمنة وسيطرة المركز بمختلف تجلياتها اختزل دور الهامش وقلت فعاليته كون المركز قوة فعالة لا يحاول بل يسيطر ويهدد بفرض سيطرته وهيمنته على السلطة والثورة إذ يمارس التهميش على ما هو غير المركز ويؤدي إلى عدة نتائج سلبية أثرت تأثيرا سلبيا في التقدم والاستمرارية بقيام الحروب.

المطلب الأول: مفهوم المركز.

1- لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور «"**ر ك ز، ركز المركز، غرزك شيئا منتصبا كالرمح ونحوه تركيزه ركزا في مركزه وقد ركزه، يركز ويركزه ركزا وركزة غرزه في الأرض ... ومركز الرجل موضعه ... ومركز الدائرة وسطها**»[1]. ويقصد بالمركز أنه ثابت وتلك النقطة التي ينتج عنها أمواج تنزاح أفقيا إلى أبعد حد لينتشر منها إلى محيط الدائرة، وله دلالات معنوية ومادية، وهذا المفهوم شبيه بما ورد في القاموس المحيط.

2- اصطلاحا: ثنائية المركز والهامش موجودة في كل مكان وأي مجال وهي مسألة قديمة منذ الزمن، تصنع انتاج سياسي وثقافي واجتماعي واقتصادي فالمركز «**دلالة على العلاقات القائمة بين قلب القوة والثقافة لمجتمع ما ومناطقه المحيطة**»[2]. أي بصلاح القلب سيصلح المجتمع والعكس صحيح فيعتبر هو الوحدة المركزية التي تقوم عليها أي دولة «**إذا غلب مركزها فلا ينفعها بقاء الأطراف والنطاق، بل تضمحل لوقتها، فإن**

1- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ص 214.

2- ميشيل مان: موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري، د ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999، ص 99.

المركز كالقلب الذي تنبعث منه الروح فإذا غلب القلب وملك انهزم جميع الأطراف»[1]. ويقصد ابن خلدون أن المركز والهامش وجهان لعملة واحدة وعلى كلا الطرفين البقاء من أجل الاستمرار.

وبالنسبة للقضية المركزية التي تم إهمالها من أجل قيام بالصراعات الفكرية وهذا ما أدى إلى إلحاق الضرر بالشعب في ظل انصراف أصحاب الهيمنة من أجل صراعاتها الخاصة.

المطلب الثاني: السلطة والسياسة

تعد السلطة أمانة وخلافة الله في الأرض وليست ملكة خاصة وفساد ولكن بهذا المفهوم تم أخذ السلطة بمثابة أنها الحاكمة، والهامش الطبقة المحكومة كون الأولى يتحكم ويسيطر عليها المركز ويتمثل مفهوم السلطة في «**تعد السلطة ضرورة في الحياة الاجتماعية لأن الفرد لا يستطيع العيش منفردا ولا بد له من العيش مع الجماعة وهذا يؤدي بالضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات ونظرا لتضارب المصالح بين أفراد المجتمع وسعي كل واحد لتحقيق مصالحه وقضاء حاجاته على حساب الآخر مما يؤدي إلى التنازع والصراع فقد كان لا بد من وجود سلطة تكون حكما بين الجميع وهو أمر طبيعي**»[2]. إن القوة والهيمنة والسيطرة والتوسع تخلق عند الجماعات العرقية القائمة بها إحساس بالتفوق والتفرد والتمايز والاستعلاء والترفع كل هذا يحس به أصحاب السلطة حيث يفرض المركز سيطرته على السلطة اتجاه أفراد المجتمع (الهامش) أما السياسة

1- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة العلامة بن خلدون، ص 174.

2- أسماء أحمد معيكل: الأصالة والتغريب في الرواية العربية: روايات حيدر حيدر نموذجا، دراسة تطبيقية، ط 1، عالم الكتب الحديث، اربد، أردن، 2011-ص218.

فهي قوة متحولة لأنها تتبني على العلاقات الخارجية تجمعها بمختلف الدول وتكمن هذه العلاقات في التعايش والصراع والتعاون.

في الجاهلية: لقد عرفت السلطة في العصر الجاهلي من خلال سلطة المركز (القبيلة) وذلك بعيش أفراد القبيلة تحت سيطرة أصحاب النفوذ والمركز وتكريس نفسه لخدمتها فقط «**يكفعن أن يصبح نفسه ويعتنق تماما نوع الشخصية المقدم من جانب النماذج (القبيلة)، ولهذا فإنه يصبح تماما شأن الآخرين وكما يتوقعون منه أن يكون ... والشخص الذي ينازل عن نفسه الفردية ويصبح آلة متطابقة مع ملايين الآخرين من الآلات المحيطة به لا يحتاج إلى أن يشعر بأنه وحيد وقلق بعد هذا وعلى أي حال فإن ثمن الذي يدفعه غال إنه فقدان نفسه**»[1]. إن علاقة السلطة بالمجتمع وعلاقة القبيلة بأفرادها كعلاقة السيد بعبده وان تنازل عن هذه العلاقة فهو ليس منها ويجبر على الخروج كون العبد تابع لأوامر سيده فإن خالفه فسيلقى عقابه إما تهميشا أو طردا نهائيا، كذلك أصحاب السلطة يأمرون (القبيلة) والهامش (الفرد) ينفذ الأوامر دون تكلف أو تصنع «**تستند السلطة على امتياز النفاذ إلى الموارد الاجتماعية القيمة مثل الثروة والوظيفية، والمكانة أو في الواقع والنفاد إلى الخطاب والتواصل العام**»[2]. لقد عملت السلطة على السيطرة والهيمنة وفرض أوامرها على غير المركز وهذا ما أدى إلى أمور سلبية جعلته ينطوي تحت صراعات مما أدى إلى معاناة الأفراد نتيجة سوء استخدامها «**سوء استخدام السلطة أو النفوذ العام بهدف الانحراف عن غايته وذلك لتحقيق المصالح الخاصة أو الذاتية بطريقة غير شرعية، ودون وجه حق**»[3]. وهذا ما جعل الوضع يتدهور نتيجة لتحقيق المصالح الذاتية والخاصة أما في السياسة فهي ترتبط بالسلطة أصحاب المال والقوة إذ يكمن الحكم

1- أريك فروم: الخوف من الحرية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1972، ص 18.

2- توين فان دايك: الخطاب والسلطة، ص 150.

3- الشريف حبيلة: الرواية والعنف، ص 166.

السياسي على الاندماج بين المركز والهامش كون السلطة قوة سياسية للدول تعمل على التعاون وفق قوانين محدد بغية بناء قوى مركزية تساعد على التطور واستمرارية السلطة المهيمنة.

في الإسلام: عرفت السياسة في الإسلام من ناحية الحكم «**قام الإسلام على تقرير السيادة الإلاهية وسيطرتها على أمور المسلمين الدينية والدنيوية، سيطرة تنهض على مبادئ الحق والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذلك فرض الإسلام على كل مسلم أن يشترك في الحياة العامة للجماعة ونشاطها السياسي وهو نشاط ينبغي أنيقوم على مبادئ الدين ومقاصده السامية**»[1]. وهذا القول جاء قصد تحسين الأمور السياسية للدولة على عكس القديم يرى فيه أن السلطة تمارس نوع من الصراع على الطبقات التي لا تملك سلطة (الهامش) وتكمن هذه الصراعات في التنافس السياسي والدمار والاستعمار، بغية استنزاف خيرات الدول والمناطق غير المركزية (الهامش).

وقد عرفت السياسة في العصر الأموي «**تحولت الخلافة إلى معاوية وبيئة الأموي وأصبحت وراثية في هذا البيت، وكان الأمويون في نظر الكثير لا يمثلون الحكام الجديرين بالدولة الإسلامية ...وأيضا فإن عمالهم ظلموا الناس**»[2]. لقد استخدمت السلطة السياسية للوصول إلى أهداف وهي رغباتهم الدنيوية والدينية وبهذا فقد ألحقت السلطة ما يسمى بالظلم تجاه الفرد الذي يتسم بالعجز وتهور جعلته يعتمد على السلطة في كل استهلاكه كونها تعتمد على المال والنفوذ والقوة.

وهذه الأوضاع لا تختلف عن وضعنا الحالي أي من فساد للسلطة وتعديها على حقوق شعبها فظهر بما يعرف بثورات الربيع العربي وهو انتفاضة الشعب على الحكام وعلى استبدادهم ويدل هذا على أن الاستبداد السياسي والسلطوي ويتجاوز كل الحدود.

1- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص 173.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المطلب الثالث: فساد السلطة والسياسة

تستخدم السلطة القوة للتأثير على مجموعة من الأفراد وذلك عن طريق التحكم بإصدار القرارات وفق مجموعة من القواعد، كذلك تقوم بتوجيه السلوك لأشخاص من خلال التأثير عليه وفق تطبيقات وإحكام تحصل عليها بناء على موقعها «**المراكز الرأسمالية المهيمنة لا تسعى بالضرورة إلى فرض سلطتها السياسية لأن لها القدرة الفعلية على ممارسة هيمنتها بواسطة الوسائل الاقتصادية أما الدول في الحقب السابقة فإنها لم تكن واثقة من الحصول على منافع التبعية الاقتصادية التي تفرضها على "الأطراف" التي تريدها ما دامت هذه الأطراف خارجة من مجال نفوذها السياسية**»[1]. لم تعد السلطة تفرض هيمنتها من خلال الجانب السياسي فقط بل تعدت إلى الجانب الاقتصادي وهذا ما ولد رأي وموقف مضاد من الشعب لما يعانيه من فقر ليكون سببا في الفساد فينتج عنه العنف فيدفع الكثير من الفقراء والمهمشين للانضمام في حركات دينية تستعمل الدين استعمالا شاذا فتدعو لحمل السلاح ليصبح هؤلاء الأفراد سجناء التعصب الفكري والديني نتيجة لفساد السلطة.

فالفساد ظاهرة قديمة حديثة مرتبطة بالبشرية لما يقترفوا من طغيان وتجبر كما في قوله تعالى:﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2]. والمقصود النعيم في الدار الآخرة للمتقين والدين لا يريدون تكبرا عن الحق في الأرض ولا فسادا فيها.

ويختلف الفساد من إداري إلى مالي وكله يكون في سوء استخدام السلطة للكسب الخاص أو الانحرافات المخالفة لقواعد وأحكام الدولة ويكون عن طريق المحسوبية،

1- الهادي التيمومي: مفهوم الإمبريالية، د ط، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، 2004، ص 14.

2- سورة القصص، الآية 83

الرشوة، الوساطة، التزوير وغيرها من الانحرافات وهذا ساعد على انتشار الفساد في كل الدول.

وعلى هذا يجب توعية الشعب أولا من مخاطر وأثار سلبية للفساد والتعاون مع السلطة في البلاد من مبادرة وإصلاح ومكافحة والحد من هذه الظاهرة، والتعاون أيضا مع بعض الدول الأخرى من أجل التقليل ن نسبة الفساد من الجانب المالي والإداري وتقديم خطة من أجل محاربته وأهم شيء العمل بكل شفافية.

المطلب الرابع: هيمنة السلطة

1- السلطة والإرهاب: وتقصد بالسلطة هنا الاستبداد السياسي أي انتهاك حقوق الغير أما الإرهاب ونقصد به الإخافة والترويع والعلاقة بينهما «**السلطة بوصفها محفزا من محفزات الإرهاب، فممالا شك فيه أن للسلطة بريق يعمي ويذهل الأبصار ومكانة يطوق الناس الوصول إليها**»[1]. أي أن بيئة الاستبداد السياسي بيئة مريحة وحاضنة طبيعية لتنشأة ونماء واستمرار وبقاء الإرهاب والاستبداد السياسي يتمثل في العديد من الصور منها كراهية الحاكم لنقد والمناقشة فالحاكم لا يرى إلا نفسه ولا يسمع إلى صوته وكأنه في مكان من مرايا كلها استدار رأى نفسه فيها وهذا النوع يلغي العقول والضمائر أي تغيب العقل محاولا إلغاء الحكم الرشيد وترشيح الأفكار الخاطئة.

هناك صراعات ظاهرية بينهم ولكن تنسج وتتشابك فيها مصالح الساعين لسلطة «**تكون بعض أطراف السلطة محفزا للعنف، وتتواطئ مع الإرهابيين ولكن في المواقف**

1- سعاد عبد الله العنزي: صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دراسة نقدية أطروحة مقدمة لكلية الدراسات العليا لاستيفاء جزء من متطلبات درجة الماجستير جامعة الكويت، 2008، ص 25.

الأخرى تكون متوجهة لردع العنف وحل هذه الأزمة»[1].وبالرغم من هذا فالاستبداد موجود في مكان.

2- السلطة والمثقف: من المعروف أن السلطة لا تعطي أهمية لمثقف ربما لأن المثقف من واجبه معارضة السلطة أو على الأقل يفضحها ويشكك فيها ومعظم الناس يخشون ذلك وهنا يكون مثقف الوطن وقضية الدفاع عنه وعن حقوقه أما مثقف السلطة قضية السلطة والتبرير لها، فالمثقف الوطني يعبر عن تطلعات المواطن في الحرية والكرامة ثابت واضح لا يخشى لومة لائم يتقلب بين المعتقلات والسجون بالرغم من علمه ومكانته يناهض الظلم وتعريته يعمل على توعية الشعوب وتحريكها يقف مع العدل لا يأجر قلمه ولا يبيع ذمته مهما كانت العاقبة يكتب ما يملي عليه ضميره، بين مواقفه على أساس عرفي وأخلاقي وعلى عكسه يكون مثقف السلطة الذي يكرس رغبة الحاكم في الظلم والاستبداد ينشر الانحراف والانفلات يساهم في تزييف الحقائق قلمه مأجور وذمته معروضة للبيع بأبخس الأثمان ويبني مواقفه على أساس مصلحي أو براغماتي.

الثقافة التي لا تجعل من صاحبها مترفعا لا داعيا لها فالمثقف الحقيقي لا يرتمي في أحضان السلطة من أجل أن يبقى معارضا ولقول الرأي بحرية فتحاول السلطة إسكات المثقف بحجة أن الرئيس أدرى بحماية شعبه، يتعرض المثقف إلى أسوء المواقف «**فحين نجد المثقف المغمور يصارع الحياة من أجل لقمة العيش، وقد يضطر للعمل في أعمال لا تليق به، توجه يد الاتهام نحو السلطة التي لا تقدم الرعاية الكافية للفكر والثقافة وحين يجد نفسه مضطرا لخيانة مبادئه والتجسس على أصدقاءه لحساب الأمن لا بد أن تقودنا هذه الرؤية لفهم تآمر السلطة على اتفاقه وسعيها لهدم كيانها**»[2]. ومن جهة أخرى نجد المرأة المثقفة التي لا تأخذ حقها سواء مثقفة أو في البيت رغم أن المرأة المثقفة تعتبر

1- سعاد عبد الله العنزي: صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص 58.

2- أحمد كريم بلال: الرؤية الثورية في القصة والرواية، ط 1، دار المناهج،عمان، 2015، ص 137-138.

الحصن الحصين الذي يعتمد عليه في تأسيس أهم أركان المجتمعات ألا وهو الأسرة فأي مجتمع قوي لا يهزم ذلك الذي تثقف جميع عائلاته «**المرأة المثقفة الواعية تكون مؤهلة موضوعيا لتكوين أسرة ناجحة ومتوازنة وعند انجابها ستؤهل أبناءها تأهيلا ناضحا ليتبوؤا مراكز هامة في المجتمع**»[1]. ومع تقدم وتطور الحياة وحركات التحرر والنضال الذي قامت به المرأة في العصور الحديثة، أصبح ومما لا بد فيه وجود العديد من النساء المتعلمات بدرجات علمية عالية فقد كانت المرأة منذ القدم لها فاعلية في السياسة فمثلا نجد ملكة سبأ تحدث عن رصانتها وتعلقها وأنها امرأة كانت تشاور الناس ولذلك عندما جاءها الكتاب جمعت قومها وقالت ما كانت قاطعة أمرا حتى تشهدون ، ولم تكن مستبدة هذه المرأة حينما توضع أما رجلين، أمام صاحب إبراهيم الذي كان يقول أنا أحيي وأميت، أوفرعون الذي كان يقول ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد فالفرق واضح فهاذين الرجلين استغلا السلطة وكانا مستبدين ظالمين غاشمين وأن هذه المرأة مثلت التعقل والحكم الرشيد.

من الضروري القول بأن ثقافة المرأة ثقافة إنسانية واجتماعية ووطنية قصوى قبل أن تكون طرفا فكريا وثقافيا.

وفي النهاية القول أنه من الأفضل أن تكون هناك علاقة بين السلطة والمثقف والأخذ برأيه أملا في قيادة المجتمع إلى الإصلاح دون أن يتماهى معها.

3- السلطة الاجتماعية: هناك أشخاص مؤثرين في حياتنا دون أن ندري وغالبا ما يكون سلبي ولأننا نخاف من العزل الاجتماعي والوصل الاجتماعي فتنقاد خلفهم «**تعرف السلطة الاجتماعية في ضوء ممارسات مجموعة ما ومنظمة ما وأفرادها لسيطرة على افتعال مجموعة أو عقولها، مما يحد من حرية عمل الآخرين أو التأثير في معارفهم أو**

1- ليلى محمد بلخير: قضايا المرأة في زمن العولمة، د ط، دار الهدى، عين مليلة،الجزائر، 2006، ص 118.

توجهاتهم أو ايدلوجياتهم»[1]. فنظر أننا ننتمي لتلك لجماعة أو نملك السلطة ولكن إن استطعنا أن نتجاوز هذه السلطة الوهمية التي يمارسها الآخرين فبهذا كسر دائرة التأثر بالآخرين فالإنسان يجب أن يكون مسؤولا تجاه نفسه «**تتميز السلطة الاجتماعية بخاصية العلاقة بين الجماعات، والطبقات، أو المكونات الاجتماعية الأخرى، أو بين الأشخاص بوصفهم أفراد اجتماعيين وعلى الرغم من أننا قد نتحدث عن أنماط السلطة الشخصية، فإن هذه السلطة الفردية أقل ارتباطا بتفسيرنا المنهجي لدور السلطة في الخطاب بوصفهم تفاعلا اجتماعيا»**[2]. فالعلاقات بين الأفراد تولد ارتباطات اجتماعية أما السلطة الفردية فهي أقل.

الفرد ولد حر وله حق طبيعي ولكن الحقوق الطبيعية تنازلوا عنها لصالح المصلحة العامة التي تنشأ عنها السلطة والحكومة وهذا عقد بين الفرد والشعب.

4- السلطة الأبوية:

المرأة ناقصة وأقل من الرجل، والأنوثة عجز دائم وهذا العجز يحتاج إلى تقويم «**فالرجل في التاريخ البشري كله كما يقول "ول ديورانت" لم يقيدوا أنفسهم بالبكارة أو العذرية ولست تجد جماعة في التاريخ كله قد أصرت على عفة الذكر قبل الزواج، بل لست تجد في أية لغة من اللغات كلمة معناها الرجل البكر»**[3].

فالسلطة الأبوية انعكاس الواقع البنية الاجتماعية عادة وهو نظام اجتماعي نشأ على طبيعة العادات والتقاليد وهو قائم على المرجعية الأساسية رب الأسرة أو العشيرة فالرجل «**هو الذي يقاتل دفاعا عن الدولة ولا تقاتل المرأة إلا دفاعا عن صغارها ويمحض اختيار** «أي متطوعة» **أما الرجل فهو ملزم بالدفاع عنه، وعن المجتمع كله، ثم هو الذي**

1- توين فان دايك: الخطاب والسلطة، تر: غيد إ العلي، ط 1، المركز القومي لترجمة القاهرة، 2014، ص 150.

2- المرجع نفسه، ص 81.

3- عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة، ص 16.

يسن القوانين وهو الذي يدير دفة الحكم، ويمارس الحياة السياسية البالغة الأهمية عند اليونان، ثم هو بعد هذا وذاك مالك الأرض والأسرة»[1]. فالسلطة الأبوية داخل الأسرة حيث يكون الأب متسلط «**على اعتبار أن العقلية الذكورية كانت هي العقلية الثقافية المهيمنة على المجتمع وغابت في المقابل عقلية المرأة المؤثرة»** [2]. فالسلطة الأبوية هي تقدم ثابت أكيد مقابل علام نظام سلطة الأم، فالعصبية طبيعة للبشر وهي موجودة منذ الأزل وضرورة لاستكمال هذه الحياة وهنا العصبية ارتبطت أكثر بالرجل لما أعطوه القوة وأخطر ما في هذا الموضع قناعة الإنسان في النظام وهو النظام الأفضل فكان عوض مبدأ المساواة «**يعتقد أرسطو أن من الطبيعي أن يأمر الزوج وأن تطيع الزوجة، لأن جنس الذكر أصلح للرئاسة من جنس الأنثى، ومن ثم تسلط الرجال على النساء مسألة طبيعة جدا»**[3]. إضافة إلى هذا ظلم المرأة للمرأة عندما تميز ابنها الذكر على الأنثى فقط لأنه ذكر، وعلى هذا تنشأ تلك الفتاة على هذا فتربي وتميز ابنها على ابنتها فيسلط عليها وبها يتقبلون هذه الفكرة كون نفسيتهم على هذا وأما من ناحية الطفل يتدرب من أبوه فلا يسمح لأمه أن تتحكم فيه فتتقبل الأم هذا الخوف فقدان محبة ابنها أو ربما لأنها تعرضت للعنف الجسدي والمعنوي فأرادت لابنها أن يعيش حياة مختلفة عن حياتها لتجعل الطفل خاصة في مرحلة المراهقة يتمرد على الوالدين ليكبر على أن يحمل الكثير من السلطة وعدم تقبل رأي الآخر خاصة تجاه الجنس الآخر.

أما من ناحية الكتابة «**المرأة معنى والرجل لفظ، فهذا يقتضي أن تكون اللغة للرجل وليست للمرأة فالمرأة موضوع لغوي وليست ذات لغوية»**[4]. ومن هنا نجد أن ليس للمرأة الحق في امتلاك على عكس الرجل لامتلاكه السلطة فيرسم المرأة كما يشاء ويعبر ويحلل وفق رؤيته للعالم وحده لتكون المرأة مستودع يوضع فيه كل مذموم وسلبي.

1- إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، ص 97.

2- عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة، ص 12.

3- إمام عبد الفتاح إمام: أرسطو والمرأة، ص 81.

4- عبد الله محمد الغذامي: المرأة واللغة، ص 8.

الفصل الثاني:

الهامشي في رواية "منتجع الساحرات" وتأثيره في المركز

- رواية منتجع الساحرات بالنظر إلى عنوانها نجده رائعا ومن يقرأه يتخيل أنه مكان فاخر يحتوي على كل أنواع الرفاهية والراحة، ولكن المضمون كان عكس ذلك تماما، لغتها رائعة وساخرة للروائي والطبيب أمير تاج السر(*)، الصادرة مؤخرا عن دار الساقي للنشر والتوزيع في بيروت.
- تتحدث الرواية عن فئة مهمشة خاصة اللاجئين في مكان يسوده التسلط والتجبر والسيطرة في مجتمع لا يرحم، تحمل في ثناياها ملحمة جمعت العشق والضياع والفساد والمؤامرات والظلم... وشخصيات منها البسطاء والفقراء والحقد الذي بينهم من أجل لقمة العيش ومنها المتسلطون الذين لا تهمهم سوى مصالحهم الشخصية وتلبية رغبتهم على حساب هؤلاء الفقراء.
- تحكي قصة فتاة فائقة الجمال هربت من بلادها الذي أصبحت تعمه الحرب ولا أمل في العيش فيه فضلت الهرب وترك أحلامها وعائلتها من أجل العيش لتكون لاجئة في بلد آخر، وربما نزلت في المكان الخطأ لم يقدر جمالها ولا أنها أنثى ضعيفة، بل على العكس ظهر آخرون لتذكيرها أنها مجرد بائعة شاي ومن حق كل من هب ودب استغلالها، وأيضا سرد لنا أحداث تعبر عن الحب الصادق الذي دفع لص تفنن في ممارسة السرقة والتشرد والعيش في الشوارع واستخدامه كمأوى إلى التغيير من أجل لاجئة إيريتيرية صاحبة الجمال الفاتن وتكريس حياته كلها من أجل خدمتها وحمايتها، صارع الحياة وكان سندا لها.

*– أمير تاج السر (1960) تلقى تعليمه في السودان، تخرج من كلية الطب من جامعة طنطا بمصر، بدأ ممارسة الكتابة في مراحل مبكرة جدا من حياته، كانت أولى أعماله الروائية "رواية كرمكول" عام 1988، ترجمت بعض رواياته إلى اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية واللغة الإيطالية، ومن بعض أعماله: (سماء بلون الياقوت 1996، صائد اليرقات 2010، ذاكرة الحكائين 2015...، رواية 366في 2013 فازت بجائزة كثارا للرواية العربية لعام 2015 عن فئة الروايات المنشورة، الموقع الإلكتروني: www.kataranovels.com بتصرف.
تم الاطلاع عليه بتاريخ 25–04–2019 على الساعة 14:30

- تناولت موضوع اللجوء إلى أوطان فقيرة وعبء تحملها للاجئين فيضيع حقهم ويتم التقصير والتقاعس في توفير ملجأ جيد ومدى معاناتهم وكيف يتم ظلمهم واستغلالهم في عالم يملأه الرعب والقلق والقسوة، زمن العنف والقمع.
- وفي الأخير رسم لنا صورة مأساوية لنهاية اللاجئة لما تعرضت له من اغتصاب وقتل كونها امرأة مهمشة ولاجئة لا تملك حقوقها فقط لأنها لم تستغل جمالها وتمردها رغم بؤسها وما تعانيه من حرمان فكان جمالها جريمة تم عقابها عليه بالموت.

المبحث الأول: المهمش اجتماعيا

المطلب الأول: المرأة... اللاجئة:

تمهيد: من حق أي إنسان التمتع بالهوية والحرية في حياته ووطنه الأم، لأن الوطن هو الأم الحنون الراعية لأولادها وأن يشعر بالأمان، ولكن إن حرم من هذا الحق فما يفعل هل يهرب من واقعه، نعم هذا ما فعلته بطلتنا في هذه الرواية وهو هروبها من الحرب القائمة في بلادها التي لم تشعر أنه بلدها وأيضا عدم الإحساس بالأمان على الرغم من الحياة التي كانت تعيشها كانت شبيهة لحلم الجميل لتكون الحرب الكابوس الذي أرادت أن تستيقظ منه ذات يوم، ولكن لم تسمح لها قسوة الحياة لتنأ بها إلى مكان آخر لا تعرف عنه شيئا على أمل أن تجد حياة آمنة بعيدة عن الحرب ولكنها لم تعرف أن هذا المكان سيكون الجحيم المنتظر وأن جمالها أكبر جريمة ارتكبتها ليكون سببا لموتها.

في التركيز على المرأة والرجل والعلاقة بينهما يحتل الحب الحيز الأوفر في السمات التي قاربتها هذه الرواية، ليتخذ الحب تجليات متعددة سواء كالحب العذري أو الجنسي، فيرى حازم الأندلسي أن طبيعة العلاقة بينهما يولد الاتصال حب وعشق بين الطرفين «**إن أوله هزل وآخره جد دقت معانيه لجلالها على أن توصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة وليس بمنكر في الديانات ولا بمحظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عزل وجل**»[1]، يقصد بذلك أن القلب غير مسؤول عن اختياراته فهو غير مقيد بالديانات وغيرها، فالبشر عاجز أمام هذا القلب ولكنه اختلف وتغير مع تغير الأزمة والأمكنة، فالحب موجود منذ الأزل، يعرفه أفلاطون «**الحب قوة توطد العلاقات بين**

1- ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق إحسان عباس، ط02، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987، ص 04.

المخلوقات وأن ابتسامة الحب تلمع بين السماء والأرض، وأن الحب إرادة ثابتة جذابة تجذب الجنسين وتجعل الاثنين واحدا»[1]. وصولا إلى هذا نرى أن كلا من العالمين عرفا الحب على أنه عذري طاهر.

أما الحب الجنسي فهو النوع الثاني للحب «**ذكر صاعد في كتاب الطبقات العشق طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمو ثم يتربى... وكلما قوي زاد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي... ويكون احتراق الدم عند ذلك استحالة السوداء... ومن طبع السوداء إفساد الفكر ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون...**»[2]. وغالبا ما يكون هذا النوع من الحب هو الأكثر توغل في الروايات أو ربما لتعلقه بما يعرف بالشرف وهو أهم أعراف المجتمع يعتبر من المحظورات خاصة في عالمنا العربي الإسلامي، حيث «**يندرج الحديث عن تيمة العذرية ضمن المسكوت عنه في البيئة العربية الإسلامية إذ يعد من المحرمات التي ينهى عن الخوض فيها، لأن في ذلك خدشا للحياء وإطراحا للحشمة واختراق للمحظور، خاصة وأن العذرية تقترن بقيمة جوهرية في المنظومة الأخلاقية العربية الإسلامية وهي الشرف**»[3]. لترتكب جرائم إن تم مثل هذا الشيء أو ما يطلق عليها جرائم الشرف وغيرها.

دائما ما تكون المرأة هي الضحية وكأنها مخطأة لوحدها حتى وإن كان رغما عنها، ربما التعصب القبلي لا يزال موجودا إلى حد هذا اليوم وما يطلق عليه وأد البنات لم ينتهي وتفضيل الرجل عن المرأة، حيث «**شكلت المرأة في تاريخ الثقافات البشرية موضوع للجدل والاختلاف وليست هذه الموضوعية بأهم من موضوعة الرجل، وإنما لأن المرأة كانت وما زالت في التصور غير العادل هي الأقل الأهمية في ثنائية الرجل/**

1- عمر رضا كحالة: الحب برهان، سلسلة البحوث الاجتماعية، ط01، مؤسسة الرسالة، 1978، ص 08.

2- المرجع نفسه، ص 204.

3- بوشوشة بن جمعة: الرواية النسائية التونسية، ط01، المغاربية للطباعة والإشهار، 2009، ص 61.

المرأة»[1]. بالرغم من التطور العلمي والتكنولوجي إلا أن العصبية القلبية لا تزال موجودة ومع هذا لم يمنع ولم تكن له القدرة على إيقاف الحب والذي كما ذكرنا سابقا أنه نابع من القلب ولا يمكن السيطرة عليه لذلك «**حظي الحب باهتمام الأدباء، إذ يستحيل أن يخلو منه عمل أدبي بطريقة أو بأخرى على اعتبار أنه ليس مجرد عاطفة بين الرجل والمرأة، وإنما هو عند الأديب ذي النظرة الشمولية بؤرة تتلاقى فيها أشعة وجودنا الإنساني وتكتسب الأشياء بعدا ميتافيزيقيا**»[2]. ليكون هذا الإحساس قوة دافعة للإبداع.

لتكون روايتنا مليئة بالحب بنوعيه وربما غلب الحب الجنسي وهذا حسب الأحداث للرواية لتظهر بطلتنا أبيا تسفاي في المحطة أو ما يطلق عليه منتج الساحرات هربا من الحرب واللجوء إلى هذا المكان بالرغم من جهل المصير إلاأنها تحلم كغيرها بالاستقرار «هبطت من باص قادم من حدود إريتيريا، بلا زاد ولا حقائب ولا أفكار معينة، ولكن بوجل وحيرة أخاذة»[3]. حاملة معها حلم تأسيس حياة جديدة وحلم اللجوء بالنسبة لها الماضي انتهى بالحرب والحاضر مؤلم صعب شاق، أما المستقبل مجهول فهي ضائعة تبحث عن مأوى ولكن للأسف هي حصلت على استقبال مليء بالحب «كم عاشقا لأبيا تسفاي، هنا أو هناك أو في أي مكان حلت به تلك الزهرة ذات يوم؟... فمنذ أن بذرت بائعة الشاي الصبية، الهاربة من نار الحرب في إيريتيريا، رونقها في موقف باصات السفر، اختل توازن الأشياء بشكل مخيف كبر الصبيان فجأة في أفكارهم ونبضات قلوبهم ليعشقوا، وصغر المسنون...»[4].

ولكن هذا العشق مريض بهوس جمال اللاجئة فكانت نظرتهم مليئة بالشغف والشقاوة كلهم ادعوا حبها إلا أن شخصا واحدا أرادها حقا ربما أحبها حقا أو أنه رأى

1- عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة، ص 12.

2- حسين مناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، ط01، عالم الكتب، إربد، الأردن، 2008، ص 33.

3- أمير تاج السر، منتجع الساحرات، ط01، دار الساقي، 2015، ص 29.

4- الرواية، ص 27.

الضياع الذي كانت فيه فلم يرد لها أن تضيع مثله في هذا العالم الموحش الذي لم يرحمه لتغرس فيه أمل الحياة، ولكنه كغيره رأى أنها «**شهية جدا... وأشهى ما في وجهها عيناها المشعتان بنور الأمل برغم تشردها ولجوئها إلى وطن بديل، واحتمال أن تصبح ضحية في أي وقت**»[1]. ليكون عبد القيوم بطلها ومنقذها من هذه الوحوش ولكن ابيا اختار لها القدران تكون وحيدة وضائعة لاجئة لتضيع لها كرامتها ذاتها وحياتها، منذ لحظة وصولها كل شخص أراد استغلالها لغايته ولمصلحته ليتناسوا أنها كائن له حرية الاختيار لها حياتها ولكن نحن نعيش في غابة الغلبة للقوي.

المرأة اللاجئة تجد نفسها ضائعة سواء مع أقاربها أو مع أفراد جدد محاولة إيجاد مكان آمن بالرغم من أنه أمر صعب أو ربما مستحيل خاصة بالنسبة للمرأة لأنها أكثر عرضة للافتراس لانعدام الإنسانية وقتل البراءة.

من سنن الله على عباده في الكون أن جعل لهم التكاثر في الأرض لإعمارها، لكن بشرط الزواج في الحلال وهو تشريع ديني يتيح للإنسان لممارسة الجنس علنا دون تورية أو خوف ووسيلة لغض البصر وإحصان نفسها.

ولكن الآن فهي مجرد وسلعة مستغلة من الجنس الآخر سواء أكان الأمر برضاها «**حيا ساكناتها من الضعيفات المستهلكات بود، وتلقى ضحكات لن تكون أبدا ضحكات قلوب صافية لنساء لم يعشن المتعة قط، برغم ممارستهن طقوسها على مدار الساعة**»[2]. كل ما يعرف على هذا النوع من الفتيات أنهن يفعلن هذا برضايتهن ولكن هناك من كان الأمر إجباري عنها ولم تملك حرية الاختيار للدخول في هذا السلوك السيء كما حصل الأمر مع الخالة مستورة «**كانت عملت ماشطة في محل تصفيف شعر نسائي... ولا يعرف كيف انتصرت لنفسها أو لعلها انهزمت أمام تلك النفس، بتحولها**

1- الرواية، ص 28.

2- الرواية، ص 39.

إلى تاجرة عرق ومتعة، لكن من المؤكد أنها خاضت حربا ما، ضد شيء ما أدت إلى تلك النتيجة»[1]. هناك العديد منها من كنا في الماضي يعشن حياة كريمة «**يافعة كزهرة كتب عليها الذبول مبكرا جدا في تربة حي الصهاريج»**[2]. لم ترد فعل مثل هذا العمل كانت مجبرة لتفعل شيء لا تريده من تعيش في مثل هذا المستنقع تعيش قسوة كبيرة ومن تريد التوقف لا تستطيع فهي أصلا بلا مأوى.

أما من يحصل معها مثل هذا الشيء غصبا فهي لا ترحم من قبل المجتمع حتى وإن كانت مظلومة لأن المرأة لها فرصة واحدة للحفاظ على شرفها أما الرجل يحق له أن يخطئ كما يشاء ولا يعاقبه أحد لأنه في النهاية رجل «**قليل جدا من الناس من يدرك الأسباب الحقيقية وراء تلك الفروق الضخمة التي يضعها المجتمع بين المرأة والرجل ويدعي أن الطبيعة هي التي وضعتها ويتجاهل أن تلك الفروق من صنع المجتمع»**[3]. مع أن المرأة تسلب من أهم شيء في حياتها شرفها وكرامتها «**خنق ناهوم فتاة ليل في حي الصهاريج... وأسهب كثيرا في إيذاء طفلة من أطفال حيه، حيث اغتصب وشوه وأشعل النار وفر من دون أن أحد... لكنه ما لبث أن نسي وعاد إلى حياته، حين تأكد أن الطفلة شبه المعاقة، لم تعرفه»**[4]. يا له من ظلم ظلمالقدر والمجتمع لما على هذا الجنس الضعيف تحمل ما لم يقدر عليه الرجال لأنه ببساطة يقتلها لأنها أهانت شرفه، لم تكن الصغيرة فقط محل استغلال حتى الكبار في السن «وانطلق يمشي خلف امرأة عجوز نحيفة، ترتدي ثوبا رصاصيا... سمعه عبد القيوم يصفر بلحن إثيوبي شهير،ــ وسمعه يتغزل بلغة معروفة ومتداولة في الشوارع في قوام مكسور وملحن، لإمرأة في سن

1- الرواية، ص 41.

2- الرواية، ص 43.

3- نوال السعداوي: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، ص 50.

4- الرواية، ص 64.

جدته»[1]. مما يعني أن المرأة لا يمكن أن تلقى احترامها مهما كان عمرها فقط حكم عليها أن تكون في صور مختلفة «**من وجهة نظر الرأسماليين وملاك الأراضي المحليين، أرخص مصدر للعمالة في المزارع والزراعة والصناعة، ومن وجهة نظر السلطات الاستعمارية والمبشرين، كان يجب تعليم النساء المحليات ليكن زوجات وأمهات صالحات للموظفين المهنيين...**»[2].

وكما ذكرنا سابقا المرأة مهمشة وهي تحت سطوة الذكورية منذ الأزل ولا تزال بداية من طفولتها حتى شيخوختها «**تبدأ عملية البرمجة المنظمة للفتاة منذ نعومة أظفارها والقالب الصيني الجاهز حتى لا تخرج الفتاة عن حدود مقاسه، فهناك تقييم صارم للعمل في إطار الأسرة، فالكنس والطبخ والجلي وصنع القوة من مهمات البنت... فصوتها يجب أن يكون خافتا... نظرتها منكسة، ولباسها محتشما**»[3]. هذا هو مصير المرأة التقليدي وتلقيها شروط حياتها وكيف تتكون عليها من خلال تدريبها على كيفية عيش هذه الحياة منذ طفولتها ومرحلة المراهقة إلى آخر مراحل الحياة لأنها شكلت في العقلية الذكورية المهيمنة الكائن المستضعف الذي لا يستطيع حماية نفسه وهو ما ساهم في عبوديتها، فأصبحت المرأة ترفض أنوثتها وإحساسها بالدونية نتاج إيديولوجي راسخ في اللاشعور الذكوري، وبذلك ورثت هذه الدونية والخزي فأصبحت ترى نفسها وبقية النساء كأنهن قطيع، لتتبنى موقف معاد اتجاه الآخرين، فتتلذذ بتعذيب نفسها، وهذا نتيجة للتربية الاجتماعية، فكان لها هذ الأثر الكبير على نفسية المرأة لتعزيز الرجل «**فوجوده هو اعتراف بالتفوق، وموضع افتخار واعتزاز، سيما أن اسم الأدب وضمانة استمراره في**

1- الرواية، ص 53.

2- كوميريجايا واردينا: النسوية والقومية في العالم الثالث، تر: ضحوك رقية، عبد الله فاضل، ط01، الرحبة، دمشق، سوريا، 2016، ص ص 39، 40.

3- أبو نضال نزيه: الشرط الاجتماعي وقصور الوعي في الرواية النسوية العربية في خصوصية الإبداع النسوي، (د.ط)، وزارة الثقافة، عمان، (د.ت)، ص 215.

النسب مرتبط أصلا بمن يمتلك القضيب منذ الولادة»[1]. فالمرأة لم تستطع الخروج من هذه الحالة التي وضعها المجتمع فيها ليعتبرها الرجل الجنس الآخر الذي يقوم بخدمته، فالرجل فنان والمرأة موديل.

وبعيدا عن هذا نجد أن المرأة عدوة المرأة فهي بحد ذاتها لا ترحمها حيث نجد «**قريبا من أكشاك بيع التذاكر، كانت تجلس حواء وسعيدة سيدة الجيل، بائعات شاي مسنات، جافات، تخطين الخامسة والستين منذ زمن ولا يزلن صلبات إلى حد ما**»[2]. في حال ما تشعر المرأة أن امرأة أخرى تهدد حياتها سواء عاطفيا أو عمليا فهي تصبح تلقائيا عدوتها حتى وإن كان الذنب ليس ذنبها، إذ نجد أبا اللاجئة مصدر خطر بالنسبة لبائعات الشاي وأنها قاطعة رزق عليهن فشعرن أنهن «**مهددات بالمرض النفسي بما فيه الاكتئاب الحاد والوسواس القهري... إذا ما ضلت تلك اللاجئة أبا او "سخافة" كما أطلقن عليها في السر والعلن، تتمدد هكذا في المكان بمساعدة جلف صعلوك، يبدو أنه يعشقها**»[3]. فكانت مصدر خطر عليهن وعلى رزقهن فلكل واحدة منهن أسباب مأساوية أو صلتها لهذه الحالة المزرية لأن من المألوف في سنهن في بيوتهن معززات مكرمات ولكن هذا هو مجتمعنا يفرض عليها البقاء في المنزل لمصلحته وعند احتياجها يتركونها لتعاني قسوة الحياة لوحدها، أين ذلك المجتمع الذي يفرض عليها البقاء في المنزل؟ وربما تحت هذه الظروف القاسية تضطر هؤلاء النسوة إلى ارتكاب المعاصي أو الأمور الغير صحيحة كما فعلن بائعات الشاي ليبعدن عبد القيوم العاشق لأبا والذي ساعدها للنجاح في هذه المهنة فكان إبعاده عنها ربما هو الحل الأمثل لعودتهن لهذا المجال، فقمن بمساعدة شجر للإيقاع بعبد القيوم «**حتى بائعات الشاي العتيقات شاركن، ومن المؤكد أنهن من صففن شعر المرأة بحيث يبدو مبعثر جدا أو شبيها بشعر ناجية من حادث اغتصاب، ومن**

1- عدنان حب الله: التحليل النفسي للرجولة والأنوثة، ص 240.

2- الرواية، ص 15.

3- الرواية، ص 49-50.

المؤكد أنهن استخدمن من مقصا صدئا في تمزيق ثوبها، ليبدو ممزقا بالشكل الذي ظهر فيه»[1]. ربما بدت هذه المؤامرة ضد عبد القيوم إلا أنها في الحقيقة كانت ضد أبيا لتقع ضحية لشجر، فالمرأة «**الضعيفة المغلوب على أمرها، والرجل القوي الغالب في كل الأحوال، المرأة بلا ذنب سوى أن لها جسدا غاويا، والرجل المذنب لأنه هستيري في قراءة إغواء الجسد**»[2]. بالإضافة إلى الضحية الأخرى وهي المرأة المدسوسة وهي في سن 40 استغلوها من أجل مصلحتهم وهي وافقت لحاجتها «**إن عامل رش الجراد الصحراوي في موقف السفر، واسمه عبد القيوم، دليل هاجمها بعنف في أحد الأزقة غير المطروقة، ومزق ثيابها، وكاد يمزق عفافها، لكنها فرت في اللحظة الأخيرة**»[3]، وصلت هذه المرأة لدرجة أن تتهم رجل بالكذب على انتهاك ومحاولة استغلال شرفها فقط لأنها كانت محتاجة، والغريب أنها كانت تعرفه، فقد تعرف عليها عبد القيوم «**تلك المرأة بالذات... من الصعب مصادفتها في سكك الشر، وحتى في سكك الخير**»[4]. وصدم عندما تعرفت عليه ولم تغير من أقوالها بل بقيت على رأيها وثابتة على أقوالها مع أنها حاولت عندما تذكرت «**أن عبد القيوم كان أول من عاملها كأنثى ملهمة، في بيئة تعودت على اغتيال أنوثتها بوصفها ممرضة فقيرة وعمشاء وذلك عند إهدائها مانيكيرأحمر من ماركة "تي واي" المقلدة، ووقف أكثر من عشرين دقيقة يتأمل أظفارها بعدما أشرقت بالطلاء، ويتمتم: رائع... رائع... رائع**»[5]، ربما لأن حاجتها كانت أقوى من ذلك الإحساس حينها.

1- الرواية، ص 86.
2- الرواية، ص 85.
3- الرواية، ص 85.
4- الرواية، ص 84.
5- الرواية، ص 89-90.

كما أن الروائي أمير تاج السر ذكر رواية غادة السمان لأن كتاباتها لاقت اهتماما كبيرا من النقاد والكتاب، وهي في كل ما كتبت تحاول طرح قضية المرأة والتعبير عن إنسانيتها وحقها في المساواة وترى أن الحب هو حياة جديدة «**هو نضال ضد الموت وهو ولادة ثانية للإنسان، وإذا كان لا خيار له في ولادته الأولى، فإنه يستطيع إلى حد بعيد أن يتحكم في ولادته الثانية**»[1].

إذا أراد أن يفضح حالات الحب الصادقة والغير الصادقة مليئة بالمصالح الشخصية وأن المرأة أصبحت سلعة تباع وتشترى وفقا لغايات شخصية. حب الوطن شيء مغروس فينا منذ الصغر لكلا الجنسين ليكون هوية للمواطن والهروب من الوطن أمر صعب جدا خاصة من بلد جميل كإيريتيريابلد جميل وطبيعة خلابة ولكن أبى للحروب أن تخرب بها بالرغم من أنها بلد قوي له طبيعة جغرافية مميزة، ولكنها دمرت نفسها بنفسها بالحروب الأهلية، ومع هذا لم توفر الحكومة الإيريتيرية شيء للمواطنين لا حماية ولا غيرها ليصبح سكانها بلا مأوى وهذا يجعل معظم السكان تفضل اللجوء.

منذ القدم اللجوء للحرب من أجل تسوية الخلافات دون الاهتمام بالنتائج وغالبا ما تكون ضحايا الحرب النساء والأطفال، بالرغم من أن قوانين الحرب حماية الأشخاص غير المسلحين من أطفال ونساء وكبار السن وأصحاب الأوضاع الخاصة من إعاقات وغيرها.

ليكون ترك الوطن إجباري لأسباب سياسية محاولين الحفاظ على حياتهم حتى الأطفال يتشردون ويهربون لوحدهم ولا أحد يدري إن ماتوا أوعاشوا، كل الأطفال مازالوا يلعبون بألعاب الحرب ولكن هؤلاء الأطفال عاشوا واقع قاسي حتى أن حرقة الدموع لا تكفي لأنه لا يعلم متى سيموت، بعد دقيقة، ساعة، شهر.. إذ أن «**من الثابت أن للحروب**

1- بايزيد فاطمة الزهرة: الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، إشراف: الطيب بودربالة، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012، ص 244.

آثار خطيرة ونتائج بالغة السوء، فإنه مما لا شك فيه أن ما ينجم عنها من خسائر بشرية هو أخطرها على الإطلاق علما أن الخسائر البشرية لا تقتصر فقط على القتلى والجرحى والمعاقين وإنما تمتد أيضا لتشمل اللاجئين والمهجرين والمطرودين من ديارهم والمحرومين من حق العودة إلى وطنهم»[1]. وهذه أحوال مأساوية لشعوب تدمر إما عن طريق الآخر أو تدمر نفسها وهذا مناف للدين والأخلاق، وعمل غير إنساني، قال الله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٣٢﴾ ﴾[2].

وهذا دليل كاف على أن القتل بغير سب أو فساد في الأرض بأي نوع من أنواع الفساد كأنما قتل الناس جميعا، الله سبحانه وتعالى جعل الأرض لنسير فيها ونتمتع بخيراتها ونتدبر خلقه سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾[3]. فالإنسان يسير في هذه الأرض ليتعلم، ولكن أصبح الآن ليؤمن على حياته واغترابه ما هو إلا لجوء من أجل الحياة بالرغم من أن «**تاريخ اغتراب الإنسان هو تاريخ بحثه عن الحرية، ولكي لا يشعر الإنسان بالاغتراب تجاه تاريخه، فإنه يكون ملزم بتاريخ من الاغتراب... ضياع حرية الإنسان كان السبب باغترابه**»[4]. لأن التجول في الأرض من حق الإنسان وينتقل بحرية لأنه في البداية والنهاية إنسان حر غير سجين «**من المفترض أن الإنسان لا يشعر بالاستيلاب تجاه هويته عندما تكون هويته هي الهوية الإنسانية... الملاحظ أن العنف يكثر في المجتمعات التي يعاني فيها أفراد كثيرون من الشعور بالاستيلاب والإحباط بأنواع**

1- إبراهيم دراجي: مشكلات اللاجئين وسبل معالجتها، ملتقى علمي تنظمه جامعة نايف للعلوم الأمنية، كلية العلوم الاستراتيجية، اللاجئون في المنطقة العربية، قضاياهم ومعالجاتها، الرياض 03-4-10-2011.

2- سورة المائدة، الآية 32.

3- سورة التوبة، الآية 02.

4- رغد نصيف جاسم محمد: النظام السياسي والاستيلاب (العراق... أنموذجا)، مجلة دورية دولية علمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث الخاصة بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية، العدد 08، الجزائر، 2013، ص 178.

المختلفة»[1]. وغالبا ما تكون أسبابه سياسية لانعزال المجتمع عن الدولة وانعدام الشفافية لأن «**العلاقة التوافقية ما بين النظام السياسي والمجتمع هي الكفيلة بإيجاد الأمان والاستقرار في نفس المواطن**»[2]. ولكن أصبحت المصلحة الخاصة هي شعار السياسة، أما المصلحة العامة ما هي إلا شعارات يهتف بها لخداع المواطن لا أساس لها من الصحة، وهذا الأمر يحصل مع معظم دول العالم خاصة العالم العربي الذي شهد ثورات الربيع العربي، بداية بتونس وما يحصل الآن من تلاعب في الجزائر.

عدم اهتمام السياسيين خاصة والدولة عامة بمشاكل مواطنيها ما كان لهم إلا أن يرحلوا وفي أحد أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم أظهر حزنه الشديد على فراق خير البلاد وأحبها إلى الله وإلى نفسه صلى الله عليه وسلم، الابتعاد عن الوطن أمر يحزن ويكون بداية لشعوره بالغربة لتبدأ رحلته تجاه الآخر وفي سبيل الهروب يحصل للاجئ العديد من الأمور أثناء رحلته تبدأ بفقدان العديد من الأموال وربما المدخرات كلها ثم تليها مصاعب الرحلة من جوع وعطش وبرد وتشرد، والمشيء لآلاف الكيلومترات، إما على الأقدام أو عبر البحر بين الحياة والموت، الطريق بالنسبة لهم يشبه الكابوس فلا يمكنهم تصور ما قد يحدث قد يموت أفراد العائلة أو ضياعهم أو تعرضهم لتجار البشر وغيرهم وأسوأ ما قد يحدث هو الموت المحتم، وإن حالفه الحظ ونجا يتأمل في تجربة جديدة في وطن جديد آمن مع أشخاص جدد لا يعرف بعضهم بعض قبل الدخول ربما يتعرض لهم السلطات أما إدخالهم والانتظار خارجا أملا في الدخول على أنه لاجئ.

بعد اللجوء تبقى الأحلام ذكريات «**أحلام الهجرة إلى أوروبا، والزواج بفاتنة السينما صوفيا لورين، واكتساب شهرة لاعب الكرة المميز سقراط**»[3]. والآن أصبحوا

1- رغد نصيف جاسم محمد: النظام السياسي والاستيلاب (العراق... أنموذجا)، ص 179.

2- المرجع نفسه، ص 180.

3- الرواية، ص 17.

يحتاجون إلى مكان للنوم والشعور بالأمان والحنين إلى وجوه أخذتها الحرب، فكانت اللاجئة تتسفاي «**منهمكة في أحلام كثيرة، دأبت على الانهماك فيها مذ كانت مواطنة في وطنها، تملك بطاقة شخصية، ومشاعر سالبة وموجبة، وحصة في التموين العذائي، وشهادة من معهد اسمه معهد ميكائيل عفرتو، للتطريز والتنسيق، وفنون الديكور، تثبت أنها متخصصة في تنسيق الحدائق**»[1].ما هذه الأحلام البسيطة والتي لا يمكن لأحد أن يحلم بها لأنها من حقه أصلا من حقه أن ينتمي من حقه أن يعيش من حقه أن يتعلم، لو لم تقع الحرب لكانت أكملت دراستها وهي في بيتها تشعر بالأمان، ولكنه يبقى حلم ليصبح كابوس مع انكسار أحلامها «**لم تكن تنتبه إلى أنها في العالم الثالث، إن تطور ذات يوم فسيكون عالما ثالثا، متطورا لا أقل ولا أكثر، وعلى الأرجح سيكون هكذا ثالثا فقط إلى الأبد، لم تكن تنتبه إلى أن أمريكا بعيدة جدا**»[2]. هذا لن يحقق الأحلام بل سعى إلى تحطيم أحلام فتاة ليأخذها القدر إلى عكس ما حلمت به فهي «**غير محظوظة حق هذه اللحظة، لأن نهاية هجرتها، لم تكن بسعة الأحلام الكبيرة، ولأنها لن تنسق حتى حديقة البلدية العامة اليابسة، أو حديقة المستشفى المغطاة بالقاذورات في الوقت الحالي، وستصنع الشاي للعطاشى والمحبطين والمتعجلين بحقائبهم وآمالهم**»[3].

بالرغم من أنها حلمت أن تحيا في بلد على الأقل حياة كريمة تحفظ كرامتها بعدما عانته من حرب حتى وصولها «**حين قاومت إعصار الحرب ونفذت سليمة، والتحقت بالوطن البديل، كان ثمة درجة من درجات الحلم، أن يصبح وطنا بديلا حقا، وليس ظلا معوجا، تنهار تحته القيلولة**»[4]. أرادت على الأقل أن تعوض خسارة والدها الذي ما زالت تحلم به وأمها أيضا وإخوتها الذين ضاعت منهم لا تعرف أنهم ما زالوا على قيد

1- الرواية، ص 74.

2- الرواية، ص 74.

3- الرواية، ص 76.

4- الرواية، ص 110.

الحياة أو أخذتهم المنية «**أبوها تسفايمديتو، المدفون في قبر بعيدا جدا، يخطر لأن آثار أصابعه على وجهها وجدائل شعرها لا تزال موجودة، أمها هيلان القروية، المدفونة بقربه... أخوتها الثلاثة الذين لا تعرف إن كانوا أحياة أو موتى...**»[1]. فلا أحد يعرف ما تعانيه بل ولا أحد يهتم أصلا كل ما يهم جسدها ومفاتنها المغرية.

قبل كل شيء نقوم بتعريف موجز للاجئ أولا من الناحية اللغوية العربية «**اللاجئ: هارب من بلده إلى بلد آخر فرارا من اضطهاد سياسي أو ظلم أو حرب أو مجاعة**»[2]. أي الهروب لأحد هذه الأسباب إلى مكان محصن.

أما اصطلاحا حسب التعريفات القانونية المتضمنة في الاتفاقات الدولية التي تعالج مشاكل اللاجئين.

1- حسب اتفاقية عام 1951 وبرتوكول 1967: «كل شخص يوجد نتيجة أحداث وقعت قبل 01 جانفي 1951 وبسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية خارج بلد جنسيته ولا يستطيع أو لا يرغب بسبب ذلك الخوف أن يستظل بحماية ذلك البلد، أوكل شخص لا يملك جنسية ويوجد خارج بلد إقامته المعتادة نتيجة مثل تلم الأحداث ولا يستطيع أو لا يرغب بسبب ذلك الخوف أن يعود إلى ذلك البلد»[3].

2- حسب الاتفاقية الإفريقية الخاصة بمشاكل اللاجئين في إفريقيا 1969: «جاءت الاتفاقية الإفريقية لتحل مشكلة اللجوء بما يناسب مع خصوصية المشاكل التي تعاني

1- الرواية، ص 111-112.

2- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد 02، ط01، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص 1994.

3- الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين، اعتمدها يوم 28 تموز 1951 مؤتمر الأمم المتحدة للمفوضين بشأن اللاجئين وعديمي الجنسية، الذي دعته الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى الانعقاد بمقتضى قرارها رقم 429، (د-5)، لينا الطبال، الاتفاقيات الدولية والإقليمية لحقوق الإنسان، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس (لبنان)، 2010، ص 378.

منها دول القارة الإفريقية وقد تمثل جزء من هذا النشاط في شكل اتفاقية ثنائية أو متعددة الأطراف مثل السودان والكونغو كيطشاسا 07-02-1967 وإعلان رؤساء الدول (كونغو، بورندي، رواندا) بتاريخ 20-03-1967 بهدف تصفية مشكلة اللاجئين وضمان عودتهم إلى أوطانهم دون أن يتعرضوا لإجراءات انتقامية»[1]. نظرا لمشكلة اللاجئين والتي أصبحت من أكثر المشاكل خطورة وهي قديمة حديثة نتيجة لما تمثله موجات اللجوء الجماعي من أعباء ثقيلة على اقتصاد الدول المضيفة للاجئين بالإضافة إلى ما تهدد لأمنها الداخلي والخارجي، وهذا ما جعل دول العالم تدعو إلى عقد اتفاقيات ومعاهدات دولية من أجل إيجاد حلول فعالة للقضاء على أزمة اللجوء مثل الاتفاقيتين السابقتين وغيرها والإحاطة بخطورة هذه المشكلة الإنسانية.

الإنسان قديما كان حرا يسافر إلى أي منطقة ويغادرها عند إحساسه بالخطر أو شعوره بالاضطهاد ثم أصبح من يسافر لأحد هذه الأسباب يسمى لاجئا، فالإعلان العالمي لحقوق الإنسان ينص على حرية التنقل أحقية أي شخص في اللجوء إلى أي بلد هربا من الاضطهاد، ولكن بعض الدول شرعت بعض القوانين لتقيد حرية تنقل الإنسان.

اللجوء فكرة قديمة قدم الإنسانية ذاتها، ولم يكف عن التطور، وقد تغيرت فكرة اللجوء في الحاضر، فالمرحلة القديمة لا يمكن الاستغناء عنها بداية بالحضارة الفرعونية وهي «**من أقدم الحضارات التي عرفتها البشرية (الحضارة الفرعونية)، حيث كان حق اللجوء عندهم نظاما معترفا به، وموجودا لدى الفراعنة، وكان يمنح للمستضعفين ومرتكبي الجرائم غير العمدية**»[2]. فقد كانت المعابد تحمي الناس من متابعة العدالة والثأر الفردي، فكان يحضر دخول رجال السلطة فيها، مرورا إلى الحضارة الإغريقية بلغ

1- المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، مدخل إلى الحماية الدولية برنامج التطوير الذاتي رقم 01، ص 83.
http://www.reg.com

2- صلاح الدين طلب فرج: حقوق اللاجئين في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، م17، ع01، 2009، ص 167.

النظام الديني عندهم درجة من التطور لم تعرفها الشعوب القديمة، وكان يحمي الجميع دون تمييز بين مجرم وبريء، لتأتي بعدها مرحلة الحضارة الرومانية ليكون اللجوء لديهم «**عن طريق الاحتماء والتحصين في المعابد مثل بناء مدينة روما حول معبد الإله سمي إله الملجأ وجعل هذه المدينة ملاذا للهاربين جميعهم، إلا أنها لم تكن بالمرونة نفسها التي عرفتها عند الإغريق**»[1]، لتنتقل إلى أهم مرحلة حفظت وصانت حق اللاجئ واهتمت به وهي اللجوء في الشريعة الإسلامية مع العلم أن أول قصة لجوء كانت مع الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة للمدينة، صحيح أن اللجوء لم ترد صراحة بهذا اللفظ في القرآن الكريم وإنما بألفاظ أخرى لها معنى اللجوء، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ ۝٩﴾[2]، تضبط مدى اهتمام الله سبحانه وتعالى بقضية اللاجئين، فهذه القضية اهتم بها القرآن الكريم وأكد عليها الله سبحانه وتعالى، وأن لا يكون لك ضجر من هؤلاء اللاجئين واستسحان في استقبالهم أن يقدم غيره على مصلحته.

لا يتم التفريق بين اللاجئ الفقير والغني وأن الله يحرم رد اللاجئ إلى المكان الذي يتم اضطهاده فيه ويضر فيه دينه وعرضه وحياته.

لا يميز بين ذكر وأنثى، لأن اللجوء هو طلب اعتصامي طلب حماية من بلد معينة يطلبها الفرد بنفسه أو جماعات أو أسرة للحماية، ثم وضعت الشريعة حقه وحق الدخول إلى البلد والإقامة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ

1- عبد العزيز بن محمد عبد الله السعودي: حقوق اللاجئين بين الشريعة والقانون، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير، رضا متولي وهدان، قسم العدالة الجنائية، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2007، ص 27.

2- سورة الحشر، الآية 09.

ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦ ﴾[1]، وحقه في الحفاظ على دينه سواء مسلم أو غير مسلم لا إكراه في الدين، ثم الحفاظ على نفسه حتى مع غير المسلم، حق التعلم والشراء والبيع ومسكن ودواء ومشرب، حق الحرية الشخصية بالإضافة إلى عدم إعادته إلى بلد الاضطهاد بل علينا حمايته، ومن أساء إلى اللاجئ فهو دليل على ضعف الإيمان لأن الدين أعطاه حقه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧ ﴾[3].

هناك تشابه في التعريف مع القانون الدولي وهناك آيات تعزز مبدأ التعاون والأخوة ونبذ العصبية، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ ﴾[4]. وعلى هذا مر اللجوء بكل مصطلحاته عبر حقبات وصولا إلى اليوم بأنواعه الديني والسياسي وإقليمي، وهناك من يرى أنه نوعان: لجوء سياسي ولجوء إنساني، اللجوء السياسي يتضمن ناس يمارسون السياسة أو من الجيش أو أصحاب أحزاب، ممنوع من العودة إلى الوطن على عكس اللجوء الإنساني الذي يحق له العودة كما يشاء برغبته، وهذا النوع من اللجوء يكون تحت تأثير الحرب والفقر تحت الصفر أو الحرية أو التعرض لضغوطات مختلفة، هذا يعد من أهم أسباب اللجوء إلى أن هناك أسباب أخرى طبيعية كالأمطار والسيول والفيضانات والبراكين والزلازل والجفاف والتصحر إذ اختلفوا في الأسباب من ناحية اللجوء في

1- سورة التوبة، الآية 06.

2- سورة النساء، الآية 97.

3- سورة آل عمران: الآية 97.

4- سورة الأنفال: الآية 74.

الشريعة الإسلامية وبين اللجوء في القانون الدولي بالنسبة للأولى تتعلق بأمور دينية إنسانية، أما الثانية تتعلق بأمور إنسانية وسياسية وفيها الدين أيضا، ولكن هناك سببان رئيسيان هما الخوف والاضطهاد، يقصد بالخوف ما كان ناتجا عن التعرض للتعذيب والاضطهاد وهو حالة نفسية «**فهو شرط يعتمد على خلفية الفرد الشخصية والأسرية وخبراته الذاتية والطريقة التي يشرح بها الوضع، يعد أي تعبير عن عدم الرغبة في العودة كافيا في العادة لتعزيز توافر عامل "الخوف" ... تتطلب الأهلية للحصول على الحماية للاجئ بموجب اتفاقية اللاجئين للأمم المتحدة لعام 1951 وجود خوف حالي أو مستقبلي من الاضطهاد**»[1].

أما بالنسبة للاضطهاد يعني «**أي تهديد للحياة أو الحرية وأضاف أن الانتهاكات الخطيرة الأخرى لحقوق الإنسان ذاتها شكل اضطهادا**»[2]. أما بالنسبة إلى أزمة اللجوء في إفريقيا لهادة عدة أسباب منها الحروب والصراعات والعنف المسلح وهذا ما حصل في إيريتيريا «**ادخلوه أجواء الحرب والدم، وأخروه جريحا في قلبه وأمعائه الشعورية، واسمعوه عدة أغنيات تصلح في زعمهم لجعله متعاطفا مع قضيتهم إلى الأبد**»[3]. هذه الأجواء التي أصبحت تحكى في الأسمار لتكون ذكريات قاسية على كل من عايش هذه الحروب، أما السبب الآخر فهو التغيرات المناخية والفقر، خاصة أن نسبة الفقر في السودان تزداد بشكل غريب وأصبحت تشكل خطرا، فالفقر المدقع يعود أسبابه غالبا للحرب وفساد السلطة.

تستقبل السودان اللاجئين من كل المناطق «**أتاح موقع السودان المميز في القارة الإفريقية الفرصة للاجئين من دول الجوار للجوء إليه وذلك لمجاورته تسع دول وعدم**

1- المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، تحديد وضع اللاجئ برنامج التعليم الذاتي6، مطبوعات المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2005، ص 28.

2- المرجع نفسه، ص 28.

3- الرواية: ص 38-39.

وجود فواصل طبيعية... فكان السودان الملاذ الأول والأقرب للاجئ تلك الدول»[1]. لتكون هي البلد الثاني والأمل من أجل الخروج من بلد الحرب وتفتح أبوابها للاجئين في أماكن مختلفة مثل حي المرابيع الذي «**يقيم عدد هائل من النازحين تقاطروا من دول الجوار، في فترات مختلفة ولأسباب مختلفة أيضا كان فيهم أوغنديون، تشاديون، وإثيوبيون، لكن الغالبية كانوا إيريتيريين يسيطرون على المكان**»[2]. وهذا ما يوضحه الجدول:[3]

الجنسية	العدد	النسبة %
إثيوبيون	80.000	%12
إيريتيريون	412.650	%62
تشاديون	157.000	%24
كنغوليون (زائريون)	5.000	%01
يوغنديون	6.000	%01
المجموع	660.650	%100

صحيح أن السودان تستقبلهم ولكن كما ذكرنا سابقا السودان تعاني من فقر كبير فكان نزوح اللاجئين بهذا العدد الكبير أصبح عبء كبير في تسديد حاجات اللاجئين وربما تقاعس أيضا «**لهب النزوح الحارق، وسخرية الحياة التي تجعلك ممزقا في بلد لا يستقبلك بأدنى حد من الحفاوة، ولا يطرحك عن أرضه صراحة**»[4]. واستقبالهم كأنهم وباء ينتقل والمعاملة السيئة في الاستقبال ونقص وإهمال في تلبية حاجاتهم بل تدني كبير في مستوى الدعم بكل أنواعه من نقص في التغذية والماء الصالح للشرب والجانب

1- تهاني إبراهيم محمد: اللاجئون /الإثيوبيون في السودان وبند الانقطاع، دراسات إفريقية، ع32، 2004، ص 163.

2- الرواية، ص 38.

3- تهاني إبراهيم محمد: اللاجئون الإثيوبيون في السودان وبند الاقطاع، ص 164.

4- الرواية، ص 38.

الصحي، حيث هناك نقص كبير في الأدوية «**اللاجئون المكدسون في غرف الخشب والصفيح، وداخل الحفر، وفوق تلال الأوساخ، وتحتها بالقرب منها، بلا طعام منتظم، ولا رعاية ولا ظل تتكئ تحته الأحلام**»[1]. الكرامة الإنسانية مهدورة وهذا ما جاء به حقوق الإنسان فعليه التمتع بالمال الكافي لسد الاحتياجات والتعليم بالإضافة إلى أنهم مهددون لخطر الطرد الغير القانوني والاستغلال، وعند عجز الدولة عن توفير ما يلزم لضمان عدم انتهاك هذا الحق الأساسي يتوجب عليها أن تسمع الأطراف الأخرى بتوفير الإغاثة المطلوبة.

وعلى اللاجئ أن يتمتع بمجموعة من الحقوق التي تحفظ كرامته كالمساواة وعدم التمييز ولا أن ينظر لهم على أنهم متطفلون ومعاملتهم على أنهم الآخر الذي لا يحق له في العمل وغيره «**حواء وسعيدة، غل متطرف سلحهن بالعداء الظاهر ووظفهن عسكرا شرها في حرب الرزق التي اشتعلت بينهن وبين اللاجئة الجميلة، لدجة أنهن فكرن في قتلها، واستحين بعد ذلك من تلك الفكرة...**»[2]. بالرغم من العمل قد يساعد ويقلل من أزمتهم وحتى أزمة الدولة، فهناكعدد من اللاجئين أصحاب شهادات عليا إلا أن بسبب الحرب أصبحت حبر على ورق دون فائدة ولأن عليهم تلبية حاجاتهم يقومون بأعمال شاقة في الأسواق وغيرها، واستغلال طاقة الشباب بإعطائهم عمل شاق بأجر قليل جدا ودون تأمين ولكن هم محظوظين لأنهم حصلوا على عمل بالرغم من هذا الاستغلال «**لم يتألف الجهد العضلي. منذ أن خلقتا، ولا تفرقان كثيرا بين الرمل والحصى، والخشب، والجير والإسفلت، بنى لها ذلك الكشك الأزرق الأنيق لتنام فيه ليلا، وتمارس نشاط بيع الشاي أمامه في وقت العمل الذي يبدأ مبكرا، وينتهي في أول الليل عادة، لم هذا ما**

1- الرواية، ص 38.

2- الرواية، ص 28.

كانت تحلم به في الواقع ولكنه تقبلته وانتشت»[1]. خاصة وأنها امرأة فهي أكثر عرضة للفقر وعدم المساواة وقلة فرص العمل، ولأن تجار الدم والدعارة يتربصون بها مستغلين حاجاتها وعجزها عن توفير حاجاتها فهي الحلقة الأضعف، ولكن عليها الحفاظ على كرامتها وشرفها لأنها «**لو كانت تود الطرق الآخر للعيش في الوطن البديل لكانت الآن داخل قصر**»[2]. وهذا جعل اللاجئات يخفن من المساعدة لأن إما أن يقع احتكاك بينهما أولا مساعدة، هذا تحرش وانتهاك لكرامة اللاجئة، ولهذا يجب مساعدتهم براتب شهري، وعلى الوكالات المتخصصة بتثقيف المجتمع على ثقافة حقوق الإنسان مع إعارة انتباه خاص لضحايا العنف الجنسي والجندري والمتحولين مع الأسف هذه مأساة حقيقية وواقع معاش.

يعتبر مبدأ حفاظ العرض من المبادئ القديمة، والتي عرفت في الإسلام كما عرفت في الجاهلية، وقد أوجب منح اللجوء صيانة عرض اللاجئ فلا يصح الاعتداء عليه بالرمي، أو القذف من أي شخص كان سواء أكان اللاجئ مسلما أم غير مسلم قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٥﴾[3].

فاللاجئة مهددة في البلاد الحرب وأثناء هروبها لأن الأنثى مهددة في أي لحظة، ولكن هنا أبدا «**محظوظة لأن ناقلي المهاجرين من الحدود إلى الأوطان المجاورة، كان معظمهم عشاقا للنقود الخضراء، وحذرين من كمائن العسكر التي ربما تكون منصوبة**

1- الرواية، ص 33.

2- الرواية، ص 46.

3- سورة المائدة، الآية 05.

في الطرق والأحراش، فلا تشدهم تفاصيل المرأة»[1]. ولكنها كانت الدمية أو اللعبة التي يشتهيها أي رجل حيث «**التم حول رونقها الناس بجميع فئاتهم وأمزجتهم، وتنوع رغباتهم»**[2]. وبما أنها لاجئة لا تملك من يحميها فهي معرضة لكل أنواع الاستغلال ولن تلقى الاحترام «**أولئكالآخرون الذين لم ينقطعوا عن إجبارها على التعاسة، بإلحاحهم أما بكلمات الاشتهاء الركيكة، وأما بسلوك يوضح حجم نزواتهم، وأيضا يذكرونها بأنها مجرد بائعة شاي في موقف ضاج، خاضعة لقوانين الاشتهاء الفقير، يعشقها كل من هب ودب»**[3].

والأنثى ليس لها حل سوى الدعاء من أجل الحفاظ على نفسها وشرفها «**رفعن أيديهن، تمتمن بالصلوات: يا ربي... يا رب السماوات والأرض، اللهم اخلق لي قلبا نقيا، عفيفا طاهرا يسيطا لا يفكر بالشر وتأوي إليه الشهوات قلبا لا يعرف الظلم ولا يغتاب الآخرين... آمين»**[4]. الدعاء هو الأمل المتبقي لهن ليكون سلاحا ضد هذه الوحشية.

بالإضافة إلى حاجتهم إلى مكان للسكن تكون فيه الظروف الملائمة ولكن هناك أحياء للاجئين أوضاعهم سيئة جدا «**غرف الخشب والصفيح وتحت تلال الأوساخ وفوقها»**[5] مثل هذه الأماكن تجعل من اللاجئ لا يشعر بالأمان بالإضافة إلى التعرض للأمراض «**لم تكن في الواقع تنام عميقا، أو تتحمس لممارسة الحياة البيتية، من نعاس وتغيير للملابس، وضبط منبه، والاستماع لا غنية، في كشك غير آمن تماما»**[6]، وهناك

1- الرواية، ص 76.
2- الرواية، ص 31.
3- الرواية، ص 77.
4- الرواية، ص 118.
5- الرواية، ص 58.
6- الرواية، ص 78.

من يتشرد وينام خارجا في المحطات والحدائق وغيرها والتعرض للجوع والبرد والحرارة، فكل ما يطلبه اللاجئ هو مكان أفضل للبقاء وتوفير إقامة مستدامة للاجئين الأكثر ضعفا.

توقع اللاجئ أنه إذا هربوا من الدكتاتورية سيلقون الاحترام والأمان وبدء حياة جديدة لتبدأ مشاكلمن تقييد لحريته صحيح أن اللجوء سيمثل حل بالنسبة لهم، ولن هذه الرحلة تحمل مأساة نفسية لأن حياته تصبح منقطعة غير مسترة، فاللاجئ يعني لا وجود لشخص للاستناد عليه وكأنك في سجن والسجن واسع، رحلة من المعاناة والمأساة والحنين والأحلام المؤجلة.

هروبهم من الحرب ونجاتهم أثناء الحرب هذا لا يعني أنهم بأمان فهم أكثر عرضة للأمراض خاصة الأمراض النفسية، وتزداد حالتهم سوءا عند عدم تقبل الآخر لهم وهذا يزيد الضغط على اللاجئين ليتوصلوا إلى كره حياتهم «**ذلك المساء تملكها القرف كاملا، أحست ولأول مرة أن دور المعشوقة ممل ومؤلم إلى أقصى حد، وتلك النظرات معظمها أظفار تهرش الجمال وتدميه وتلك الاشتهاءات تحولها إلى طبق متبل على مائدة جياع، كانت تصنع الشاي وتقدمه، وتحس بأنهم يشربون أصابعها لاشايها، وحين أخذوا عبد القيوم أو بتروه عن يومها، كان ذلك من منطلق جوع المكان، الذي أحسته أشد خطورة وعبد القيوم بين يدي العسكر**»[1]. هذا جعلها تشعر بعدم الأمان لأن غياب مصدر الأمان بالنسبة لها وقوعها بين أيدي تود أن تنهش منها.

حماية اللاجئين أمر يسمو فوق اعتبارات الهوية يتجاوز الإيديولوجيات والعقائد وسياسات الأحزاب يعتبر تجسيد لتضامن إنساني متجذر فهو عمل إنساني بالفطرة، ويجب على الوكالات أن تستمر في تعزيز الاندماج الاجتماعي من خلال نشاطات المساعدة والحد من التمييز الذي يمارس اتجاه اللاجئين والدفاع عن حقوقهم وكرامتهم، وتسليط

1- الرواية، ص 113.

الضوء عن هذه القضية بكل ما يخصها، وأهم خطوة تكون في مساعدتهم على الاندماج والتكفل بتعليمهم لغة البلد الآخر وأخيرا الحفاظ على حياتهم.

المرأة ضحية ومن يعرف ما يحدث للاجئة مع هذا تصنع من الألم أمل لا تعرف ما يتربص بها «**لو أنها استيقظت لحظة واحدة فقط، لاكتشفت مغتصبا أكيدا وقاتلا تخييليا... إنها حياة ليست سعيدة قطعا في الوقت الحال، لكنها تملك مقومات السعادة المستقبلية كلها، حين انتصف النهار في حي المرابيع المتسخ، المتواطئ مع اللعنة... كان كل شيء قد انتهى، لم تكن ثمة لاجئة مشردة**»[1]. وكأنه لم يحدث شيء ككل مرة رجل يفعل ما يفعل ثم يختفي بعض الوقت ويعود لحياته وخاصة أن الأمر حدث مع لاجئة «**امرأة ميتة لكن بلا قاتل، لا وجود لقاتل في حي المرابيع أبدا**»[2]. هربت من الحرب لأجل الحياة فلماذا قتلت في بلد رأت أنه بلد يمكن أن تعيش فيه.

وقوع جريمتين الاعتداء والقتل مع غياب المجرم، أين حقوق اللاجئ؟ أين الحقوقيين أين المحامين الدوليين الذين يحملون ملفات حقوق المنتهكين، فكل ما نحتاجه هو وقوفهم وإلى أصوات الخطباء في المساجد وأصوات الأعلام وأصوات البرلمانيين.

المطلب الثاني: الفقير... اللاجئ

إن من الأسباب التي تجعل الإنسان ينحرف عن الطريق الصحيح وتجعله متشردا لا يعرف الصواب من الخطأ أو العكس في ما يفعله، هذا كله راجع إلى ما يعانيه من فقر وحرمان وافتقاد لحياة حرة كريمة فاضلة مما ولد الضعف في النفس البشرية لا تقوى على الوصول إلى غايتها، لأن لكل فرد له الحق في الحياة كباقي البشر على وجه الأرض وهذا ما ولد نوعا من الاضطراب والقلق في مسألة وجوده كإنسان له طموحات ورغبات يطمح إلى تحقيقها هذا الاضطراب ناتج عن اللامبالاة والتهميش من قبل رجال ذوي

1- الرواية، ص 168.

2- الرواية، ص 169.

السلطة، وكذلك الحروب جراء خلافات سياسية وكذا استغلال الفقراء والضعفاء لمصالح خاصة، وهذا ما ترك أثرا كبيرا في النفوس الضعيفة لا تستطيع المطالبة بحقوقها جراء ما ذاقتهمن مرارة الظلم والقهر، إن هذا الواقع الذي نعيشه اليوم هو واقع الترف والتهميش والسخرية من الضعفاء واستغلال ضعفهم في هذا الواقع المرير الذي يعيشون فيه، واقع يعيش فيه القوي بدل الضعيف فالأول يمثل السلطة والجاه والمال والثاني هو ذلك الفقير المحروم من كل شيء **(الحرية، العمل والكرامة والحياة الكريمة)** «**الفقر بأنه تعدي عن كرامة الإنسان وشكل من أشكال الحرمان هو الأكثر خطورة لأنه يكون مصدرا للحروب والصراعات والعنف**»[1]. وهذا ما أدى إلى ارتكاب الجرائم كالنهب والسرقة والتسول في الشوارع والمعاناة والقهر وهذا ما جعل الفرد يحس بنوع من الحرمان والظلم والقهر والتهميش جراء اضطرابات سياسية، مما ساهم في اتساع دائرة الفقر في أنحاء العالم وتهميش فئات متعددة وحرمانها من احتياجاتها الضرورية في الحياة اليومية «**اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه**»[2].

لقد تعددت واختلفت المآسي والمعاناة في النفوس الضعيفة مما أدى إلى التسول في الشوارع ونبش الغرابل والسرقة والانحرافات بكل أنواعها جراء الفقر والتهميش، مما أدى أيضا إلى تدهور في أنماط الحياة الاجتماعية وأثر سلبيا على مستقبل البشرية جمعاء، سواء من الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، وهذا ما أدى إلى تفشي وتنامي وانتشار ظاهرة الفقر «**تعتبر ظاهرة الفقر أحد أهم القضايا المجتمعية، وأكثر تداولا على الساحة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مختلف بلدان العالم كما تعد من أقدم المعضلات التي شهدتها المجتمعات البشرية على مر التاريخ**»[3]. لقد ظلت مشكلة الفقر

1- فيد بريكو مايور، وجيروم بانديه: عالم جديد، تر: خليل خلفات وعلي خلفات، ط01، دار المنار للنشر، بيروت، 2002، ص 65.

2- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 120.

3- طلعت حسيني إسماعيل: الفقر والتعلم، دراسة تحليلية لمؤشرات العلاقة التبادلية، دراسات تربوية ونصية، كلية التربية بالزقازيق، ع85، ج02، 2014، ص 242.

من أكبر المشكلات التي تعيق المسار الحياتي في العالم العربي، مما ولد عدم القدرة على الوصول إلى تحقيق رغبات وحاجيات الفرد، وقد تؤدي في النهاية إلى إحساس غالبية الأفراد المهمشين، ولاسيما الشباب بالغربة عن وطنهم وتطلعهم إلى الهجرة إلى أماكن قد تحقق الاستقرار والأمان بدل من العيش تحت ظل الفقر، ولكن لم يحدث كما ينبغي بل إن كثيرا من الفئات قد تم تهميشهم واستبدادهم في مكان لجوئهم كونهم محرومون من قبل في وطنهم الحقيقي أو الأصلي وقد اشتدت معاناتهم أكثر من قبل مما ولد لديهم نوعا من الانحراف كالسرقة والإجرام نتيجة العيش تحت تأثير ظروف مأساوية وهذا ما رصد الروائي "أمير تاج السر" في روايته "منتجع الساحرات" مجموعة من الشباب يعانون من الفقر والتهميش والبطالة كذلك «**عبد القيوم دليل جمعة في عهد الشقاوة الأولى، وقبل أن يبلغ العشرين، كان لقبه عبد القيوم النحيل، ولم يكن نحيلا قط في يوم ما لكنه لم يكن لدي كذلك، كان لقبه أيضا هايلا الإمبراطور (...) كان عبد القيوم أحد مجرمي سن المراهقة، أحد الذين خاضوها بعنف فنان مميز، وخرجوا إلى الصبا إما مطرودين أو مسامحين، وبالطبع ضائعين، وعاطلين عن العمل بجدارة**»[1].

ذلك الرجل الذي ذاقت به الدنيا وتفجرت في داخله عادات وأخلاق غير حسنة جعلته ينحرف جراء الحرمان والإنكار لحقوق اجتماعية يرغب فيها كل فرد «**يحارب في رأسه جيش من الأفكار المبهمة، وفي داخل عمره الذي تعدى الأربعين منذ فترة شقوق وحفر لم يستطع أن يردمها أو يزنقها قط، ولخطواته التي يجرجها في المدينة، عادة سيئة للغاية، هي أنها لم تعصه قط**»[2]. لقد عان عبد القيوم حالة من الحرمان والإحباط لدرجة لا مكان يأوي إليه كونه لا يستطيع تأمين مستوى لائق لحياته والعيش الكريم جراء الظلم والتعسف وانعدام الأمن والاستقرار والسلام في الحياة وعدم القدرة على إشباع الحاجات البيولوجية التي تتمثل في (**المأكل، والملبس والمسكن**) وكل الاحتياجات

1- الرواية، ص 26.

2- الرواية، ص 22.

الأساسية للفرد «**والهروب من الشوارع يؤدي إلى شوارع، ومنذ جاء في هجرته من الغرب، وتذوق تعاسة أن يظل بلا مأوى وهو ثابت**»[1]. هكذا حال اللاجئين والمهاجرين يعيشون تحت ظل التهميش والاستغلال والتجريد من القوة والحرمان وانعدام الأمن البشري وأساليب الحكم الغير السليم والعنف وسوء المعاملة وهذا ما يدفع الفقير إلى أساليب غير شرعية لكسب العيش كالإجرام والسرقة والعنف نتيجة الفقر المزري الذي يعاني منه الفرد «**الفقر نتاج الصراع بين الطبقات الثرية والفقيرة، إذ تبحث الأولى عن زيادة أرباحها من خلال استغلال طاقات الطبقة الفقيرة وتسخيرها لخدمتها، هذا الصراع مرده عدم تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية التي تولد فيها متصارعة بين الطبقتين**»[2]. إن الواقع الذي يعيش فيه عبد القيوم وهو واقع يعيش فيه القوي بدل الضعيف الذي يتم حرمانه حتى في صنع القرارات وإبعادهم وسلب لأراضيهم وخدمتها وتلبية كل رغباتهم لسد ثغرات الفقر هذه الظاهرة التي تتسبب في تدمير حياة الفرد وتولد الاضطراب في نفوس الضعفاء والغير قادرين على تحمل مشقات الحياة، وهو واقع مليء بالقسوة والآلام والهموم والإحباطات والأحلام التي ليست لها أي أهمية فوق هذه الأرض المحرومة، مما أدى إلى تفاقم الفقر وزج المجتمع في صراعات دائمة مما جعلت الفقراء لا يتمتعون بالحماية والعيش تحت وطأة الفقر والتهميش «**يعتبر الفقر نتيجة لعمليات سياسية واقتصادية واجتماعية تتفاعل إحداها مع الأخرى، وكثير ما تعزز إحداها الأخرى بطرق تؤدي إلى تفاقم الحرمان الذي يعاني فيه الفقراء**»[3].

لقد ساهمت الحروب في التأثير على المستوى المعيشي للمجتمع مما خلف آثار سلبية من دمار شامل وانهيار أفراد جراء الحروب سواء كانت أهلية أو أطراف خارجية تشن الهجمات بدعم المتمردين وهذا ما جعل الأفراد يفرون من بلادهم ويلجئون إلى أماكن

1- الرواية، ص 36.

2- معنى خليل عمر: علم المشكلات الاجتماعية، ط01، دار الشروق، فلسطين، 1998، ص 192.

3- طلعت حسيني إسماعيل: الفقر والتعليم، ص 243.

الأكثر أمانا وهذا ما تحدث عنه الروائي **أمير تاج السر** في الرواية عن اللاجئة الإيريتيرية الهاربة من بلد تعمها الحروب والمعاناة إلى بلد آخر، ولقد رآها عبد القيوم وهي لاجئة تحاول الهروب من المآسي «**بائعة الشاي الصبية، الهاربة من نار الحرب في إيريتيريا... أشهى ما في وجهها عيناها المشعتان بنور الأمل برغم تشردها ولجوئها إلى وطن بديل، واحتمال أن تصبح ضحية في أي وقت**»[1]. تعتبر إيريتيريامن أفقر بلدان العالم وذلك نتيجة حكم سياسي سلطوي، لم تشهد أي استقرار كما ينبغي وقد كان الشعب الإيريتيري بأمل بآمال والطموحات الكبيرة التي سيحققونها والعيش الكريم عقب الحرب التي كانت سلبا على شعب الإيريتيري في مرحلة الكفاح المسلح ولكن استمرت هذه الحروب حيث أكلت الأخضر واليابس، وحدث ما لا يكون في الحسبان وهو تجريدهم من بلادهم وأراضيهم.

لقد تأثر عبد القيوم وكان صاحب نظرة صائبة عند مشاهدته للاجئة أبيا تسفاي الإيريتيرية «**هبطت من باص قادم من حدود إيريتيريا، بلا زاد ولا حقائب ولا أفكار معينة، ولكن بوجل وجيزة أخاذة، تنشقها عبد القيوم الذي كان موجودا في تلك اللحظة كجزء من روتينه اليومي، شاهد هبوطها التعثر من باص السفر... كانت النظرة قد اصطادته لكنه لم يعترف قط بأنه تعثر بظرة صيادة وسقط**»[2]. لقد انبهر عبد القيوم الرجل الفقير الذي عانى طوال حياته وصنف في ظل المهمش، وعاش تحت وطأة الفقر والحرمان والتشرد، لا مأكل ولا مشرب ولا مكان ينام فيه إلا الشوارع، يعتبر من الطبقات أو الفئات التي غيبت عنها حقوق الحياة والعيش الكريم، صنف ضمن الطبقات المظلومة والتي عاشت من خلال السرقة والإجرام، حاول معرفة مأساة الأشخاص الذين مثله طردهم نوعا من الفقر والتشرد والضعف وعدم القدرة على العيش في بلد لا أمان فيه

1- الرواية، ص 28.

2- الرواية، ص 29.

ولا استقرار وذلك من خلال «**استعان بلاجئين قدامى من وطنها، يعرفهم وصادفهم في المكان، ليفهم مأساتها كاملة، وبشتى الرموز، ويعرض خدماته**»[1].

إن الضعف وقلة الحيلة وعدم الخبرة وعدم التغلب على الصعوبات التي تهدد الفقير والحاجة التي تدفع الفرد إلى اللجوء والبحث عن الأمان والسلام، ومن كل هذا يضطر الفقراء إلى العيش تحت ظروف غير ملائمة تدفع به إلى الانحرافات، ولكن بوجود شخص ليكن أن يغير كل شيء في الحياة وتفعل من أجله ما لا تفعله لنفسك «**آوى اللاجئة عندها حتى يتدبر أمر إيوائها النهائي، وسعى إلى خفراء وسعادة حكوميين، يملكون دراية ما في المجلس الشعبي البلدي من أجل أن يسعوا معه لمنحه أرضا صغيرة في موقف باصات السفر**»[2]. إن مشكلة الفقر هي مشكلة عويصة جدا تلامس كل نواحي الحياة اقتصاديا، اجتماعيا... وغيرها من الأمور التي تبعث في النفس الإحساس باليأس وفقدان الأمل والحاجة إلى التعبير عن أنفسهم لكي يتسنى لهم الخروج من دائرة الفقر والحد من التهميش والحرمان لحقوقهم والتمتع بها «**الفقر هو العوز والحاجة، فمن الناس من لا يملك إلا أقل القوت، فالفقر ليس الجوع إلى المأكل والعري إلى الكسوة فقط، ولكنه كذلك القهر، فهو وسيلة لإذلال الروح، وقتل الحب وزرع البغض**»[3]. كل هذا مر به الفقراء واللاجئون وما ذاقوه من معاناة ومآسي تئن له النفوس وتحرك مشاعر القلب من شدة الألم والأسف على المعنفين بالقتل والتعذيب جراء صراعات وخلافات سياسية تسببت في خسائر جراء الحروب، وهذا ما تأثر به عبد القيوم لما تعرض له الإيريتيريين «**اختتموا تعذيبهم أو تلقينهم الكيف، بتلك الملحمة التي سموها أوتارا وأوتارا وكانت زفيرا مرا، لكن بأصوات ملائكية، كان مشحونا جدا، لكنه لم يبك، واستغرب كيف أنه لم**

1- الرواية، ص 31.

2- الرواية، ص 32.

3- حسين عبد الحميد رشوان: أضواء على الحياة الاجتماعية، (د.ط)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص 94.

يبك، وخامات حلب البكاء المر جميعها اصطفت لعناقه»[1]. يعد الفقراء والضعفاء من الفئات المهمشة من ناحية النظام والمجتمع كذلك، مما ولد الحاجة إلى العيش في بيئة أكثر تمكينا والتمتع بحياة أفضل، ولكن الاضطرابات السياسية وقيام الثورات يرجع سببها إلى تفشي الفقر وزيادته «**كثرا ما لا يحصل على مزايا الاستثمار العام في التعليم والرعاية الصحية وكثيرا ما يكونون ضحايا للفساد والتعسف من جانب الحكومات»**[2].

رغم كل الآلام والمعاناة والتهميش والحرمان من كل الحقوق لكن بفضل الشجاعة والإصرار والمثابرة ومحاولة تجاوز الواقع المرير والمليء بالمآسي والتصدي له يمكن للفرد أن يعيش حياة كريمة بالعمل والمثابرة كما فعل عبد القيوم في إصراره على العمل «**فقد وافقت إدارة البلدية بسهولة شديدة، وبلا أي اعتبار لسمعته الكئيبة، وعدم جدارته على تعيينه عاملا لمكافحة الجراد»**[3]. هذا ما حاول به عبد القيوم أن يتقدم خطوة أولى من أجل العمل ولكن جراء المعاملة الجائرة من مؤسسات الدولة والمكائد التي نصبت لعبد القيوم كونه فقيرا ضعيفا لا يستطيع أن يدافع عن نفسه، لأنه يعتبر من المهمشين والفئات الضعيفة التي ليست لها مكانة في وسط عالم يعيش فيه الغني باستغلال الفقراء والمحرومين والكادحين المعدوين لا مكان لهم في عالم الثراء يملؤه الظلم والاستبداد والقهر واللامبالاة من قبل ذوي السلطة وأصحاب النفوذ الذين يعيشون على حساب غيرهم وذلك باستغلالهم واستبدادهم من خلال الاستفزاز والمؤامرة لما حصل لعبد القيوم كونه ضعيفا لا يستطيع المواجهة ولو بكلمة «**أراد بأنانية مفرطة، أن يبدو وغدا، محقونا بالعقل كلها، وفي هذه اللحظة بالذات كان وغدا فعلا، لأنه يكاد يعرف بالضبط في أي ركن من أركان غير الحجز الاحتياطي القذر المكتظ بالإجرام والنيكوتين، سيرقد عبد القيوم لياليه القادمة ابتداء من اليوم، وبأي عربة بيك أب من عربات أجهزة الأمن**

1- الرواية، ص 39.

2- طلعت حسيني إسماعيل، الفقر والتعليم، ص 243.

3- الرواية، ص 73.

الممزقة... أو أي ضابط من الضباط العصبيين يستولي مهمة إرهابه وخلخلة أسنانه وحشو خده بالودم»[1].

هذا ما يصيب الفقير الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه في حالة التآمر عليه وتحريضه بأسلوب غير مباشر للعنف، كل هذا ناجم عن الآثار السلبية التي تركها الفقر والحرمان في نفس الضعيف والتحدث معه بسخرية كونه يعيش ويتخبط في الفقر وقلة استخدام الحيلة «**وكي يكون منصفا في الشر، وليس ظالما فقد جهز عدة استفزازات مختلفة، قد يستخدم بعضها أو يستخدمها كلها إن اقتضى الأمر، ويتمنى في أعماق نفسه أن يعتبرها عبد القيوم استفزازات جادة، ويهتاج ويرتكب جريمة صغرى تدخله السجن»**[2].

يعد الفقر أو الحرمان من الأسباب التي تجعل الإنسان ينحرف كليا لدرجة ارتكاب الجرائم، وهذا راجع لعدة أبعاد تتمثل في البعد السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، وهذا ما ترك الأثر كبيرا في حياة الفرد وجعله يعيش تحت وطأة الفقر وفي مستوى معيشي متدني والرغبة في الانحراف من أجل سد حاجياته كإنسان لابد له أن يعيش حياة حرة وكريمة وعدم السخرية منه كونه فقيرا لا يستطيع مواجهة مصاعب الحياة وعدم التصدي للمؤامرات التي ستواجهه لقلة حيله وضعفه «**نجحت مرامرة عبد الباسط شجر، وتلميذه الإثيوبي ناهوم، وبعض الأوغاد في موقف السفر في إيصاله حتى أبواب السجن الاحتياطي، متهما هذه المرة بسرقة شرف إحداهن وهي من الجرائم التي يسهل اختراعها في أي زمان ومكان»**[3]. هذا هو حال المجتمع تفرض الطبقة القوية هيمنتها وسيطرتها على الطبقة الفقيرة وتجعلها ضحية لجرم لم ترتكبه عن طريق المؤامرة والخداع والعيش في حياة الاستعباد والقهر نتيجة للظلم والافتراء هكذا يعيش عبد القيوم

1- الرواية، ص 67-68.

2- الرواية، ص 68.

3- الرواية، ص 84.

في هذا العالم ووسط مجتمع مليء بالإساءة لضعفاء مثله وانعدام الإنسانية والحرمان عالم لا يقوى الفقير على العيش فيه لوجود أناس متجبرين ومتكبرين يريد أن التخلص من الذي لا فائدة منه ولا مصلحة بوضع مؤامرة كما فعل عبد الباسط شجر وناهوم الأثيوبي وغيره «**إن عامل رش الجراد الصحراوي، في موقف السفر واسمه عبد القيوم دليل هاجمها بعنف في أحد الأزقة غير المطروقة، مزق ثيابها وكاد يمزق عفافها، لكنها فرت في اللحظة الأخيرة**»[1].

إن استخدام القوة والاستغلال تجاه الفقراء والمعاملات الغير إنسانية والتعسف وفرض الأقوياء كونهم أصحاب نفوذ لا يقوى عليهم أحد إرادتهم وسيطرتهم على الضعفاء يعد ظلما وإساءة للذين لا يستطيعون حماية أنفسهم كونهم لا يملكون القدرة حتى على الكلام نتيجة الوضع المعيشي الفردي الصعب الذي يعيشونه وهذا ما ولد في المحرومين الشعور والإحساس باليأس والإحباط وفقدان الأمل جراء ما يتعرضون له عالم يتحكم فيه الذات الطاغية والمستبدة في الإنسان الفقير «**مستغلون اقتصاديا ومقمعون سياسيا وموصومون اجتماعيا ومستبعدون ثقافيا من نظام اجتماعي مغلق، وأنهم يسعون جاهدين لوضع حركاتهم الاجتماعية لطرح مطالبهم التي تقابل بالتجاهل**»[2]. بالنسبة للفقراء الحياة بلا معنى ما دامت الأوضاع المزرية تلاحقهم، حيث ما وجدوا لأنها بمثابة كابوس لا مهرب منه سوى أن تضحي بما تبقى وهذا شعر به عبد القيوم عند الافتراء عليه وإدخاله السجن دون أي سبب ضحية لمؤامرة وظلم لم يكن في الحسبان وهذا ما تعرض له عبد القيوم من قبل ظالم جائر، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٤٢**﴾[3]. إن التعدي على الناس وظلمهم عن قصد وتعمد من الأساليب الغير شرعية التي تجعل الفرد يحس ويشعر

1- الرواية، ص 185.

2- محسن عوض: قضايا التهميش والوصول إلى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، (د.ط)، القاهرة، 2012، ص 08.

3- سورة الشورى، الآية 42.

بالبغض والكراهية اتجاه الظالم الذي ينطوي في نفسه الإساءة وعدم الاكتراث بما يحدث حوله كاستخدام الحيلة لسلب والنهب والأنانية واستغلال النفوس الضعيفة لتحقيق مصالح وأغراض ذاتية لتكون سببا في معاناة وآلام لأناس أبرياء جرفهم الفقر إلى عالم الانحراف والاستثمار والإهمال والتشرد وارتكاب الجرائم وفقدان الاحترام والسطو والسرقة، كل هذا كان يعيش في وسطه عبد القيوم نتيجة للحرمان وقسوة الحياة في عالم لا يرحم وما ذاقه من مرارة الفقر والحرمان الذي لا يزال عالقا في فمه حتى وهو في السجن تلحقه المعاناة والمآسي والإحساس باليأس والضيق وخيبة الآمال في العودة إلى الحرية واستنشاق هواءها رغم قسوة الدنيا وآلامها رغم تعود عبد القيوم على السجن نتيجة لانخراطه في عالم الانحراف لم «**يكن السجن الاحتياطي الذي يقع مبناه قريبا من شاطئ البحر جديدا، على تذوقه عبد القيوم فقد دخله عشرات المرات من قبل وخرج منه أثناء تسكعه المزمن والحاد في سكة اللصوصية العظيمة**»[1]. إن الفقر يجعل الفرد في دوامة لا يستطيع الخروج منها بسهولة نتيجة العجز عن تحقيق الطموحات والعيش في الذل كون الفقر يولد الإجرام إلى سرقة والسلب والنهب نتيجة ما يعيشونه من قهر وإذلال ولا مبالاة وكذلك الإحساس الجارف بفقدان الأمل في عالم الاغتراب والوحدة والاستغلال «**هم يعيشون في الشوارع اضطرارا أو اختيارا، ويتكسبون رزقهم من الشارع، ويفتقرون إلى التغذية والسلع والخدمات الاجتماعية الأساسية ويتعرضون للاستغلال في كسب أرزاقهم وأحيانا للاستغلال الجنسي وهم أكثر عرضة للانحراف والإدمان على المخذرات**»[2].

لقد صارت حياة عبد القيوم خلف جدران السجن يعيش فيه بكل آلامه وقسوته ليصل لدرجة لا يكاد يفارقه لأنه دخل فيه عدة مرات جراء ما ارتكبه من انحرافات وهناك قد تعرف عبد القيوم على عدة شخصيات منها: «**تحياتي يا صديق،**

1- الرواية، ص 92.

2- محسن عضوف: قضايا التهميش والوصول إلى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، ص 27.

أناقمزقحايتيرسو... أنا منتج السينمائي، الرجل نفسه الذي قدم للاجئة أبيا، في حي المرابيع المنفتح بإخفاقات اللاجئين، بوصفه مفسرا أحلاما عالميا، وكان من الممكن أن تصاحبه كعشيقة أو زوجة، لولا أن جمالها لم يكن غبيا لهذه الدرجة يقدم نفسه الآن بمهنة أخرى بعيدة عن تفسير الأحلام»[1]. إن كل إنسان يطبعهيخطئ وجل ما لا يخطئ، فالإنسان الضعيف يحس دائما في نفسه بالوحدة والضيق كون المحتاج أو الفقير الذي لا ملجأ له ولا لقمة عيش تسد رمقه ولا عمل يكسب به رزقه يكون دائما محبطا وبائسا جراء الظروف المعيشية التي تزداد سواءا يوما ما بعد يوم جراء الظلم والقهر والاستبداد الذي يلحق به ولكن رغم كل هذا إلا هناك من انحرفوا جراء الظلم والقهر وتمردوا إلا أنهم في النهاية قد تابوا وتحلوا بخصال حميدة «**في بلاده كان التائبون من الإجرام بإرادتهم محظوظين، لأنهم يتوبون وفي أصابعهم أظفار لا تزال بعكس المضطرين الذين ربما تنزع عيونهم حتى»**[2].

إنما معاناة اللاجئين والفقراء لم تكن بالأمر السهل وإنما تصل لدرجة القتل والتعذيب رغم الهرب واللجوء إلى أماكن لعلها آمنة لكن على العكس فعبد القيوم قد عاش لاجئا مهمشا، فقيرا من قبل المجتمع عاش متشردا نتيجة لظروف قاسية للغاية جعلته يلجأ إلى العنف، وكذلك إلى التعنيف من قبل ذوي السلطة وأصحاب النفوذ الذين لا يرحمون ولا يملكون ذرة إنسانية لجعلهم الضعفاء، يعيشون تحت وطأة المطاردة والقهر واستخدام العنف ضدهم وهذا ما عانى منه عبد القيوم في مساره الحياتي وسرده لمعاناته «**أنا هنا لأنني اضطررت في الوقت الحال وتحت ضغط اللجوء أن أعمل متسولا ولم تكن مشكلة كبيرة، لولا أنني جلست في ركن كان يجلس فيه عادة متسولون راقون وذو نفوذ»**[3].

1- الرواية، ص 96.

2- الرواية، ص 98.

3- الرواية، ص 100.

إن من أسباب المعاناة والآلام إما أن تكون الحروب وآثارها السلبية، وعدم وجود الأمان والاستقرار وإما مطرودين كونهم مهمشين يتم سلب ونهب هويتهم وتعدي لكراماتهم كل هذا سببا في لجوء الأماكن الأكثر استقرارا لكن لم يجد لا الاحترام ولا الأهمية واللامبالاة بهم أحياء أم أمواتا وهذا ما يعانون منه اللاجئين «**لا اللاجئين تافهة جدا، بلا وزن ولا طموح أن تبتعد أكثر من بوصة عن الخلف الذي أطلقها إنما اللامهانة**»[1]. عدمالاكتراث وإعطاء أي قيمة للاجئين.

1- الرواية، ص 113.

المبحث الثاني: هيمنة السلطة (المركز)

المطلب الأول: السلطة والسياسة (المؤسسة)

تعد السلطة من الطبقات المركزية التي تقوم على السيطرة والهيمنة، وكذلك عمليات الإقناع بقوة لتفرض استبدادها السياسي الذي يتمثل في الهيمنة ونفي الآخر بطرق، وأشكال العنف الذي يتواجد في ثناياها، إذ تجعل فئة من المجتمعات خاضعة تحت هيمنتها وسلطتها القائمة على الإكراه للذين لا يستطيعون الرد عليها وإبراز قوتها عليهم (الخصوم) إذ لا تؤمن السلطة والسياسة المهيمنة من يخالفها في حكمها وذلك عن طريق تعاونها مع مؤسسات الحكم لإبراز هيمنتها وقيودها وضوابطها التي تقوم على وتيرة العنف المتبادل بين طرفي الخصام **(السلطة والمهمش)** مما ولدت الأولى **السلطة المهيمنة** معاناة للجماعة المهمشة وإقامة صراعات فيها بينهم مما ولد نوعا من صور الانحراف والخراب كون المؤسسة أو السلطة تمارس القوة تجاه الضعفاء وغلبتهم وقهرهم وذلك عن طريق التأثير بفرض الحرمان والضغط عليهم «**السلطة هي الوجه الآخر للمجتمع إنها القوة ضد الدين لا سلاح لهم ومعرفة الجماعة ضد المعرفة الخاصة والمشروعية ضد الرغبات الفردية**»[1]. تكمن هيمنتها وقوتها في هاجس المصلحة والغاية في التسلط وفرض قدرتها على العنف والسيطرة على المهمش والممارسة عليهم بسياسة ظالمة تقوم على كسر كل القيم وتحريضهم إلى العنف لما يعانون من اغتراب وسلب والتمرد عليهم خاصة اللاجئين الذي يتم استغلالهم وجعلهم تحت الخضوع التام لكل أمر دون التكلم أو تدخل وهذا ما ورد في الرواية من معاناة في السجن الاحتياطي «**الذي حدث أن عيد السجن انتهى، وكان المتوقع أن يأتي وفد من العاصمة، في أي يوم من**

1- محمد الشيخ: المثقف والسلطة (دراسة في الفكر الفلسفي المعاصر)، ط01، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1991، ص 122.

تلك الأيام الثلاثة، لتحية سجناء الاحتياط هنا، وتذكيرهم بمهمتهم الجليلة في البقاء عبيدا راقين لا همجا»[1]. في هذا العالم هناك من يرغب في التحكم والسيطرة وهناك من يرغب في التحرر من تلك السيطرة والرغبة في رد الاعتبار الذي سلب منه من الذات المقهورة دون رحمة ولا شفقة التي تحطمت كل آمالها وأحلامها في هذا الواقع الاجتماعي الأليم نتيجة لسلطة سياسية فاسدة تعمل على الترهيب من قبل الدولة «**مجموعة من الأفراد تستقر على إقليم معين تحت تنظيم خاص، يعطي جماعة معينة فيه سلطة عليا تتمتع بالأمر والإكراه»**[2].

إن حياة الفرد لا تقتصر إلا على مجرد التغلغل في سد الحاجيات وعلى البقاء على قيد الحياة، بكل أمان واستقرار ولكن بوجود جماعات بشرية مهيمنة كأصحاب النفوذ والمكانة لم تفتح مجالا سوى هامشا لا تستطيع فئات محرومة الخروج منه مهما بلغت قوتهم في التمرد وصراعهم من أجل رد مكانتهم كبشر، فتظل السلطة السياسية دائما مهيمنة بآلياتها التعارف عليه وبأشكالها وأساليبها المعتمدة عليها (**العنف والإكراه والغلبة والقوة**)، تمارسها المؤسسة بدوافع التأثير وجعل المجتمعات أو الطبقات المهمشة كاللاجئين تحت هيمنتها واستغلالهم خاصة منهم النساء مثل ما حدث للاجئة الإيريتيرية**أبيا تسفاي** من قبل أصحاب النفوذ والقوة **كالشجر وناهوم الحبشي** «**كان يوجد عدد من اللاجئين الإيريتيريين، زملاء العروس المفترضة، هناك أحضرهم ناهوم كذلك بإيعاز من شجر من إضفاء الصبغة العشائرية والطائفية على عقد القران»**[3]. ويكمن استغلال اللاجئة في زواج كاذب يملأه الخديعة والتسلط من قبل شجر الذي فرض أهواءه وغرضه دون احترام أو سماع رأي الضعفاء كونهم مهمشون ليس لهم أي رأي كون السلطة الحاكمة هي تلك القوة المؤثرة والمدمرة التي تفرض رأيها وتبرز هيمنتها بامتياز على

1- الرواية، ص 155.

2- نعمان أحمد الخطيب: الوجيز في النظم السياسية، ط01، دار الثقافة، عمان، الأردن، 2011، ص 14.

3- الرواية، ص 105.

عكس الطبقة المهمشة التي ترمي إلى الافتقاد إلى حياة كريمة فاضلة محترمة والأمن والسلام الذين يحلمون به والابتعاد عن كل الصراعات والنزاعات السياسية التي قد تهدم وتحطم لهم كل أحلامهم وآمالهم التي لطالما كانوا يحلمون بها طوال حياتهم، ولكن دون استجابة فقد هيمنت كل من السلطة والمؤسسات السياسية على أنحاء العالم ككل لا مكانة للاجئين المهمشين لأنهم بمثابة مشكلة تعيق سيطرة السلطة لا أكثر وذلك بعدم تقديم أي فرصة أو دعم لذوي الاحتياجات المهمشين للأشغال من أجل الاستفادة منها وسد الحاجيات وتوفير التأمين لهم، إن اللاجئين يعيشون في اغتراب دائم سواء في بلادهم أو بلاد اللجوء نتيجة لتدهور الوضع الأمني في البلاد من حروب وآثارها السلبية التي أصبحت هاجسا يتبعهم أينما ذهبوا «**كأن التدين سيف وخنجر، وساحة حرب، وكأن الإمساك بالسير الصالحة، جمر، والسير نفسها نتوءات حادة تحد من تذوق الحياة**»[1]. ما زال القهر والاستغلال والسيطرة تعم المكان بأسره ومعاناة اللاجئين وأصواتهم تتعالى في كل أنحاء العالم نتيجة الظلم والحرمان والتجبر عليهم ويلاحقهم في الواقع الأليم كل تجلياته وانتشار الحرمان والخوف والمنع وممارسة أنواع التعذيب عليهم كون المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها تزخر بالعديد من أشكال السلطة المهيمنة ومؤثراتها التي تجعل من الحياة شيء لا يطاق خاصة بالنسبة للاجئين المهمشين التي تجعلهم السلطة السياسية تحت خدمة أغراضها التي تتسبب في الانحراف «**يتمتع الحاكم على الأفراد بسلطة مطلقة ولا يحق للأفراد مخالفة هذا الحكم مهما استبد أو تعسف**»[2]. تمارس السلطة أساليب هيمنتها بشكل تريده دون تدخل أي شخص في ذلك سواء كان هذا سواء كان هذا الأسلوب سليم أم غير سليم الذي كان سببا في إنشاء نوع من التوتر والصراعات التي تدفع الفئات المهمشة إلى العنف من أجل إيذاع صيتهم بأي وسيلة كانت لما ذاقوه من معاناة وتهميش وتقليل لقيمتهم جراء هيمنة السلطة وسيطرتها وقهرها.

1- الرواية، ص 106.

2- نعمان أحمد الخطيب: الوجيز في النظم السياسية، ص 64.

إن قمع السلطات وتجافي السياسات هو السبب الوحيد في انتشار الفوضى والصراع الذي نتج عنه سوء الأوضاع الاجتماعية والتي كانت سببا في تفشي ونمو ظاهرة الفقر والتهميش والانحطاط وكذلك النهب والدعوة إلى التمرد والتصدي بكل أشكال العنف من أجل رفع القيم والانخراط في كل ما يعوض تلك المعاناة من الإقصاء والتهميش والتشرد «**في إحدى زيارتها المسروقة لحي المرابيع حيث مواطنوها الغرباء مع مواطني دول أخرى، يأكلون البؤس ويكتوون بالجمر**»[1]. لقد ازدادت معاناة اللاجئين في مكان لجوئهم وأصبح بمثابة جحين يلجؤون إليه فأصبحوا ضحية طموح جارف في الحياة التي ليست لها أي قيمة بعد ما لقوه من قوة وتحملهم لكل المعاناة والحرمان وعدم الاحترام بمثابة أناس لا قيمة لهم في هذه الحياة لم يصبح للحياة طعم بالنسبة لهم لما تعرضوا له وذاقوا مرارة الظلم والقهر «**ليست جناية المستبدة على أسيرة أنه سلب حريته بل جنايته الكبرى عليه أنه أفسد عليه وجدانه، فأصبح لا يحزن لفقد تلك الحرية ولا يذرف دمعة واحدة عليه**»[2]. إن الإحباط وفقدان الأمل يجعل في الإنسان نوعا من اليأس والقنوط نتيجة العيش الذليل الذي يشعر به كل فرد مهمش من قبل السلطة المهيمنة التي تبعث في النفوس الإحباط وتقوم بتحطيم الطموحات التي يرغب في تحقيقها كل فرد وكذلك تدفع إلى الانسحاب من الحياة بكل يأس وانهيار كذلك تقتل الأحلام التي لطالما يحلم ويتأمل به كل لاجئ في بلاد الاغتراب وأيضا ممارسة الظلم والتعسف والقهر تحط من إنسانية الفرد المهمش من قبل السلطة السياسية المهيمنة وممارسة العنف عليه «**عمر الكرباج، العقيد الرائع بالنسبة لرؤسائه في دائرة السجون... لكنه الحشرة الضارة بالنسبة للسجناء عامة، والذي شارك مع آخرين من دول العالم الثالث المختلفة في ابتكار جهازي واي 13 المتخصص بنزع الأظفار عن اللحم بكل قسوة واستهتار**»[3]. إن الصورة النمطية

1- الرواية، ص 113.

2- مصطفى لطفي المنفلوطي: النظرات، ج01، ط01، مكتبة الهلال، مصر، 1923، ص 185.

3- الرواية، ص 152.

لأصحاب السلطة المهيمنة ذات قوة دافعة إلى الإحساس بواقع أليم لا يستطيع أي فرد تقبله لكثرة المعاناة فيه واستعمال العنف بلا رحمة ولا شفقة واقع لا أمان فيه استخدام العنف وحده يكفي للسيطرة على الضعفاء كونهم لا يستطيعون مواجهة هذه القوة «**الحكم الديكتاتوري لا يمكن أن يستمر إلا باستعمال القوة والتهديد والعنف والتعذيب وشتى الوسائل التي تضمن سيطرة الدكتاتور على كافة مقاليد السلطة**»[1]. يعد اللاجئين من بين الضحايا الذين عايشوا الواقع بكل آلامه ومعاناتهم جراء ما تعرضوا له من استغلال ومحاصرة وإذلال النفس وعدم إعطائهم أي قيمة كونهم مهمشين وذلك بالتقصير في تلبية حاجاتهم الأساسية فقط (كالمكان، المأكل،المشرب)، ولكن السلطة السياسية المهيمنة جعلت الأفراد المهمشين في صراع دائم مع الحياة وذلك عن طريق استغلال النفوذ والغش وما يعرف بالانحرافات بكل أشكالها المتنوعة (الخراب والتدمير والثورة) واستخدام أساليب بشعة وهذا ما أدى إلى معاناة اللاجئين حتى وإنهم في السجن «**في وجود العقيد الكرباج، يعد خرقا للوائح السجن، وذلك العقد غير المكتوب، بين السجناء والسجانين، أن يظل السجناء عبيدا رائعين، والسجانين أسيادا غير رائعين بالمرة**»[2]. إن السلطة المهيمنة والمسيطرة توجد في كل مكان تسعى إلى فرض استبدادها على كل شيء عن طريق استخدام القوة المعبرة على العنف والتسلط، حيث أن **أمير تاج السر** في روايته **منتجع الساحرات** قد سرد كيفية ممارسة أساليب وطرق التعذيب والمعاناة التي ألحقت باللاجئين في السجن وبيان أن السلطة في كل مكان سواء في السجن أم خارجه كذلك الاستغلال الذي لاقته اللاجئة في إطارهاجس المصلحة وتحقيق الغاية المراد بها «**قمزحاي المتشرد كان يبحث عن حياة أفضل عند واحدة لديها صنعة، وقابلة للتطوير إلى أفضل من بيع الشاي، وحين فرت من مكان الصنعة، تعذرت المصلحة، وطلق رغبته في امتلاكها**»[3].

1- نعمان أحمد الخطيب: الوجيز في النظم السياسية، ص 222.

2- الرواية، ص 154.

3- الرواية، ص 162.

إن الواقع المرير الذي يعيشون فيه اللاجئون قد رسم صورة المعاناة والآلام والعيش في مخاوف وقلقل وهذا راجع إلى غياب السلطة الآمنة وجعل في مكانها سلطة سياسية مستبدة وظالمة «**تمارس بعدها سياسات عنصرية تعدت الاستيلاء على الأرض والموارد إلى العزل والقطيعة والحرمان من الحقوق الأساسية مثل السكن والموازنة... والتعبير عن آرائهم**»[1]. وهذا ولد أثرا كبيرا وبالغا على حرية اللاجئين في الحياة وعلى عامة الناس الذين ليس لهم قوة للدفاع على أنفسهم ورد كرامتهم وحريتهم التي سلبت منهم جراء الهيمنة وأصحاب النفوذ الذين يستخدمون السلطة بالخطأ، مما ترك أثرا كبيرا في خسائر جعلت المجتمع في ظروف سيئة لأبعد الحدود، إن استغلال السلطة والنفوذ والتعدي على حقوق الآخرين والبغي في الأرض لغير الحق من الأسباب التي جعلت معظم الناس يعيشون في أزمة كبيرة من الفقر والحرمان والتشرد وسلبا للحريات التي لطالما يحلمون بها المقيدين سياسيا واجتماعيا «**أن الحرية لا تزدهر إلا إذا قامت السلطة برعايتها والدفاع عنها، والسلطة يجب أن تباشرها الهيئات الحاكمة في حدود معينة لا تجاوزها**»[2].

إن بعدم وجود سلطة عادلة وآمنة تؤدي بالضرورة إلى تفشي وكثرة استخدام العنف كون أصحاب النفوذ يستغلون المكان والسلطة من أجل السيطرة والهيمنة وهذا ما أدى إلى معاناة اللاجئين وهذا ما نجده في الرواية «**لكن قمزحاي... كان مغبرا وجائعا ومسكينا جدا، حذاؤه ضيق، وسرواله يسع هيكلي رجلين بالعينين، وقد تبقت له سيجارة روثمانكينغ سايز، وحيدة قد لا يجد فرصة لتدخينها أبدا**»[3]. لقد استعمر العالم وذلك على يد أصحاب النفوذ وذوي السلطة المهيمنة، إذ قاموا بإساءة استخدام السلطة وذلك باستغلال

1- عريب هواري: بين الدين والنوع الاجتماعي والاستعمار: قيادات وناشطات في الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر عمران، العدد 25، 2018، ص 30.

2- حسن مصطفى البحري: القانون الدستوري (النظرية العامة)، ط01، كلية الحقوق جامعة دمشق، 2009، ص 57.

3- الرواية، ص 164.

والتسلط وفرضه في ثنايا الواقع، واقع مليء بالمهمشين والمظلومين والمقهورين من قبل السلطة السياسية الظالمة وهذا ما جعل اللاجئين الأكثر عرضة للأخطار والاستغلال والإساءة واللجوء إلى استخدام العنف ضدهم وقهرهم كونهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم لأنهم في بلاد غير بلادهم حتى لو كانوا في بلادهم فهم مهمشين ومظلومين إذ وجود سلطة تسعى إلى السيطرة على ثروات العالم من خلال إشعال الحروب والسيطرة على الشعوب وعلى العالم ككل عالم أو واقع يسوده الظلم والقهر والاستبداد لا يستطيع الضعيف العيش فيه ما دامت هناك قوة حاكمة وظالمة لا تعرف الرحمة.

المطلب الثاني: سلطة النفوذ (الفرد)

السياسة الداخلية، النفوذ، السلطة المسؤولية، السلطة هي الحق المعطى للمسؤول أن يتصرف ويطاع وفق هذا المنصب أما المسؤولية: الالتزام بتحقيق الأهداف، فكل سلطة يقابلها مسؤول وكلاهما مرتبط بالمنصب، أما بالنسبة لنفوذ هو نظام فردي يتصف بالقدرة الكبيرة من الملكية والسلطة وقوة النفوذ ويرتبط غالبا بكل ما هو مستبد ودكتاتوري وبعيد كل البعد عن الديمقراطية، «**إن السلطة بمعناها الواسع هي شكل من أشكال القوة، فهي الوسيلة التي من خلالها يستطيع شخص ما أن يؤثر على سلوك شخص آخر إلا أن القوة تتميز عن السلطة، بسبب الوسائل المتباينة التي من خلالها يتحقق الإذعان أو الطاعة، فبينما يمكن تعريفها على أنها القدرة على التأثير على سلوك الآخرين، فإن السلطة يمكن فهمها على أنها الحق في القيام بذلك ، إن القوة تحقق الإذعان من خلال القدرة على الإقناع، أو الضغط أو التهديد أو الإكراه أو العنف...**»[1]. طبقة أصحاب النفوذ ورؤوس الأموال هم مالكو السلطة على الطبقات الأخرى «**أخطأ في حق عبد القيوم دليل، صيره ندا له بلا أي مبرر كاف، وصيره على الأرجح منتقما كريها، سيعود**

1- اندرو هيوود، النظرية السياسية مقدمة، تر: لبنى الريدي، (د.ط)، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص 225.

من السجن ذات يوم»[1]. لكل صاحب سلطة الحق لوضع القوانين التي يراها مناسبة ويخضع الجميعلها ويكون مشرفا على تنفيذها «**حين نجحت مؤامرة عبد الباسط شجر، وتلميذه الإثيوبي ناهوم، وبعض الأوغاد في موقف السفر، في إيصاله حتى أبواب السجن الاحتياطي، متهما هذه المرة بسرقة شرف إحداهن**»[2]. نفذت هذه الخطة ضد عبد القيوم الفقير الذي لا يملك لا السلطة والنفوذ ليكون إحدى ضحايا القوة ولكن من حق الفقير أن يعيش كريما ولكن هنا الغلبة للسلطة وهي «**المرجع الأعلى المسلم له بالنفوذ أو الهيأة الاجتماعية القادرة على فرض إرادتها على الإرادات الأخرى**»[3]. النفوذ لا تتعلق بالمنصب وإنما بالشخص، فالنفوذ ليست لها علاقة بالهيكل ولا بالسلطات، فالنفوذ هي القدرة على إحداث تغيير ممنوع شيء مفروض ألا يحدث ولكن يحدث ولا يقدم للمساءلة إذا فهو تجاوز لنظام دون عقاب يأتي النفوذ جزءا منه من الوراثة لأنه يملك نفوذ يورثه وهو أحد مصادر النفوذ وأيضا العلم بالإضافة إلى العلاقات داخل وخارج البلاد والإعلام وأهم مصدر هو المال.

السلطة بالمال قوة تجعل الشخص يفعل أمور دون رضاه من أجل الحصول على بعض المال لتلبية حاجاته «**لأنها تتكون أساسا من حرمان المرء من مصادر العيش مقابل إجباره على الطاعة**»[4]. وهذا ما حدث مع المدسوسة من أجل الإيقاع بعبد القيوم دليل فقد دفع لها شجر، وأيضا فساد في المنظمات الحكومية من أجل المال «**ألقي القبض على داية في قسم النساء والتوليد، كانت تعرض مولودا غير شرعي للبيع كانت التقطته من أم صغيرة، طالبة في مدرسة ثانوية أنزلته في المستشفى على عجل وفرت في**

1- الرواية، ص 140.

2- الرواية، ص 84.

3- عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج03، المؤسسة العربية، ص 356.

4- إحسان عبد الهادي النائب، مفهوم السلطة وشرعيتها: إشكالية المعنى والدلالة، جامعة السايمانية، كلية القانون والسياسة، قسم العلوم السياسية، 2017، ص 73.

إحدى الليالي»[1]. إضافة إلى استغلال الآخرين من أجل المال باسم الحب، ليفعل قمزحايتيرسو مع اللاجئة استغلالها من أجل مالها «**لم يكن مهتما بأببا كامرأة عالية القيمة الجمالية... كان قد اهتم بها كصانعة شاي تملك مكانا جيدا في وسط المدينة، لا يهم كيف تصنع شايها... كان بحاجة لامرأة ذات دخل يومي منتظم... وتعويضها بادعاء الحب**»[2]. الكل يستغل بعضهم البعض من أجل مصالح خاصة، بالإضافة إلى آلية القمع ربما تكون ضرورة من أجل السيطرة ولكن تختلف في مجال استخدامها «**القمع مكون رئيس في بنية خطاب السلطة، وقد يكون قمعا يأخذ الطابع المادي والرمزي، والقمع من الآليات التي توظفها السلطة وشبكتها الانتاجية لفرض الرقابة والعقاب**»[3]. إذ يحاولون إبقاء الأفراد في حالة رعب دائمة، فتكون الحياة قاسية على أفراد المجتمع خاصة الطبقة السفلى وهي الفقراء، فالسلطة تفرض سيطرتها على الأفراد وإخضاعهم، فرض شجر على اللاجئة رغبته بالزواج منها ولم يتوقع منها أي شيء لأنه لم يسألها حتى «**أرسل لها جزءا من مهرها، وغبار عبد القيوم لا يزال يملأ الجو... أرسل إسورة وخاتما... وحين أرادت أن تضحك أو تسخر من غبائه، فوجئت بابتهاجات، ومقدمات عرس حقيقية، وبوجود شهود، وخبروها عن شيخ سيعقد القران**»[4]. لتكون السلطة وسيلة لخدمة التسلط ومصالحه حتى يصل إلى اختزال موضوع السلطة في ذاته، فهو الحاكم والسلطان والأمير وسيد، والسيادة لفظة تدل على السلطة والشرف، لتصبح السلطة لعبة يسعى إليها الجميع لفرض قوته دون اللامبالاة للقواعد الأخلاقية خاصة وأن السودان تعاني العديد من الصراعات، صراع الهوية، صراع كراسي السلطة وصراع المعرفة، وصراع الاقتصاد.

1- الرواية، ص 13.

2- الرواية، ص 134.

3- الهادي بوذيب: المدينة والسلطة في الرواية الجزائرية، الخطاب، ع24، جامعة بجاية، ص 205.

4- الرواية، ص 113.

أصحاب النفوذ يقومون بإخفاء نواياهم الخبيثة والتأثير على الأفراد، ولكن هناك أساليب نفوذ بعضها أخلاقي وبعضها سيء والنظرة العامة للنفوذ على أنها غير أخلاقية خاطئة، قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ٨٥﴾[1]. ولكن أغلبها سيء كتلاعب بحاجة الناس لتحقيق رغباتهم خاصة قلوبهم وعقولهم «**لقد تعاونت المدسوسة، المرأة الأربعينية، التي عثر عليها ناهوم، هكذا مصادفة في إحدى البؤر الفقيرة... وسردت ما أمرت أن تسرد تماما... الشهود الذين وصفوا زقاق التحرش الوهمي...**»[2]. جعل الجميع يتعاون معه ويقومون بما يريد هو واستغلال حاجاتهم وفرض سيطرته دون مراعاة أي شيء من أي جهة لا الأخلاقية ولا القانونية لأنه من الأصل الحكومة لا تسيطر عليهم «**انتفخأحدهم بالعرق الرخيص، في حي الصهاريج، ذلك الطرف البعيد من المدينة في الجانب الجنوبي، منها، حيث الخمارات العشوائية، وبنات الهوى المستهلكات، وتجار مخدر البانجو التي لم تستطع السلطة إجهاضها قط، ثم جاء إلى المكان مفتعلا مشكلة أو متحرشا بامرأة**»[3]. وأصحاب النفوذ يقومون بالسيطرة على عقول الأفراد والتأثير فيهم لما يملك من كاريزما وهي السلطة التي تعتمد على عبادة الناس وتقدسيهم لشخص قائد والمجتمع يخضع لسلطته والقائد الكارزمي «**عرف بشكل واسع في العصر الحديث، وهو يطلق على كل قائد له صفات مميزة تميزه عن غيره من القادة السياسيين أو الدينيين أو غير ذلك...**»[4]. ولكن الكثير منهم يستغلها بشكل خاطئ ويؤثر في الآخر من أجل أن تقبل بأي شيء «**سأهديك خاتما ذهبيا شبيها بخاتم غلوريا ماقاودو وأرملة رئيس ساحل**

1- سورة النساء: الآية 85.

2- الرواية، ص 102.

3- الرواية، ص 17.

4- إبراهيم أبو الغار: علم الاجتماع القانوني والضبط الاجتماعي، ط01، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985، ص54.

العاج السابق، وقلادة عنق ذهبية على شكل جواد عربي أصيل... وأربع أساور مميزة... ستسكنين بيتا جيدا، مؤثثا بذوق وفن في حي جيد، وتمتلكين حياة بعيدة عن التشرد، ويمكننا أن نتزوج غدا إن أردت»[1]. أراد أن يؤثر عليها بالمال والمجوهرات لتقبل به بل أراد استغلال حاجاتها لتلبية حاجته ولكنها تتعرض لمثل هذا الموقف عدة مرات وكل مرة بطريقة مختلفة «أبا...! كنت غير مخطوبة، أو مرتبطة بعبد القيوم، أريد الزواج منك فورا، سنفر من هنا إلى مكان آخر، أكثر جمالا، وسنعيش شهر عسل دائما، هل تقبلين؟... أعني... هل؟»[2]. وأيضا ناهوم عرجا «**ذلك ان الإثيوبي المراهق مساعده النحيل نهوم عرجا، طلب الزواج من أبا ذات يوم**»[3]. واستغلتبطريقة مختلفة «**لم يطلب الكثير، فقط أن تلهمه بنظرة أوابتسامة، كلما شاهدته بالجوار، وحتى لو أسعدها الحظ وتزوجت، وانتقلت لمكان أكثر ملاءمة لامرأة مثلها، فقط فلتخبره، وسيدفع أجرة المواصلات لأي مكان توجد فيه، من أجل الإلهام والإلهام فقط**»[4]. ما على الفقير، إلا أن يكون عرضة للاستغلال خاصة المرأة في مجتمع أبوي.

السلطة الأبوية هي ضرورة للعملية التربوية قائمة بين الرجل والمرأة لمساعدة الطفل حدود وعلاقة ذاتية لشعوره بالثقة والأمان، تضع حدود للأطفال ونموهم التربوي بشكل سليم فيوجد السلطة التربوية بطريقة مشروعة القائمة على الاتفاق والحوار لأن انعدام الاتفاق والحوار يؤدي إلى سلطة التسلط «**حين نجحت مؤامرة عبد الباسط شجر**»[5]. يريد أن يكون كل شيء كما يريد هو ويفرضه على غيره، في حال غياب السلطة الأبوية يؤدي إلى سلوك عنيف بأنواعه في كل مراحل حياته ليؤثر في واقعه الاجتماعي وهو يعيش بتأنيب الضمير منذ ولادته «**أخطأ في حق أمه، حين تأخر عن**

1- الرواية، ص 60.
2- الرواية، ص 61.
3- الرواية، ص 63.
4- الرواية، ص 62.
5- الرواية، ص 84.

الخروج من الرحم كما أخبروه، وماتت هي أثناء الولادة، في حق أبيه حين أراده نساجا للأسرة، ليرث عنه المهنة ويطورها»[1]. عندما تسحق صورة الأب يصبح الابن نساجا غير قابل لتقبل آراء الأب «**أراده نساجا... لكنه أبى وتعلم وأصبح معلما في المدارس، والآن مزروع في موقف السفر، تتأرجح انفعالاته بتأرجح المكان»**[2]. ليصبح متأزم أكثر ويفرض سيطرته على غيره ويخطأ في حق غيره «**أخطأ في حق فتاة اسمها البتول صادفها في حفل تخريجالدفعة التي كان فيها من المعلمين، وتخرجت أيضا معلمة، وأعطاها وعدا قاطعا بالزواج، ولم يكن صادقا أبدا، لتظل الفتاة حزينة، وصديقة للعزلة حتى اختفت»**[3]. هذه الحالات النفسية يتعرض لها الأطفال منذ الصغر لتكبر معهم وتؤثر في سلوكياتهم وتنعكس على المجتمع وغالبا ما تكون آثار سلبية.

العدل هو أساس العلاقة بين السلطة والشعب وهو لفظ يراد به المساواة والحق والقسط بين الناس، قال ابن منظور «**والعدل ما قام في النفوس أنه مستقيم وأنه ضد الجور، عدل الحاكم يعدل عدلا وهو عادل من قوم عدول وعدل، والعدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجوز في الحكم»**[4]. والعدل في القرآن أهم دعائم المجتمع وقاعدة من قواعد الإسلام الثابتة، العدل الشخصي والعدل القانوني والعدل الدولي والعدل الاجتماعي، فهو لفظ واسع في مدلولاته قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧﴾[5]. وقوله أيضا: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾[6]. وقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ

1- الرواية، ص 139.
2- الرواية، ص 139.
3- الرواية، ص 139.
4- ابن منظور: لسان العرب، مادة عدل، ص 514.
5- سورة الرحمن، الآية 07.
6- سورة النساء، الآية 58.

وَإِيتَآيِ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1].

كلما حكم بالعدل بين الناس كانت لتكون الأمور في أي بلد عادلة ومسالمة ونقص في الحروب فتتوزع السعادة ويعيش كل مواطن في بلده ويعيش بكرامته وهويته.

1- سورة النحل، الآية 90.

المبحث الثالث: تأثير الهامش الاجتماعي على المركز

المطلب الأول: تأثير المهمش على المهمش

تعتبر نشأة الفئات المهمشة اجتماعية نشأة غير طبيعية كونهم لا يستطيعون العيش بسلام وأمان والتمتع بحياة كريمة وأفضل وهذا ما جعل الطبقة المهمشة تحت سيطرة أصحاب القوة والسلطة التي تستخدم بطريقة خاطئة وحرمان كل من المهمشين من حقوقهم وحريتهم وسلب لكرامتهم وهذا ما ولد الافتقاد إلى الإحساس بالذاتية والاستقلالية والحرية التي لطالما يحلمون بها وقتل تلك الآمال وهدم كل ما يكسبهم الإحساس بالاطمئنان والأمان وانعدامه باستعمال القوة المسيطرة (المركز) كذلك بعث الإحساس بالاعتراف في نفوس اللاجئين المهمشين والافتقاد إلى المعاملة الحسنة ومن بين هؤلاء اللاجئين المهمشين المرأة التي لطالما عانت من تهميش واحتقار والتعرض إلى المعاملة السيئة والاستغلال كونها ضعيفة لا تستطيع الدفاع عن نفسها «**لقد عانت المرأة العربية عبر العهود السابقة والرهنة من تحديات مجتمعية كبيرة وخطيرة وضلت ترزخ تحت نير الظلم والثورات والمطاردات والسجون والتعذيب والنفي والتشريد ... كأنها صورة لكائن كتب عليه أن يظل هامشيا غير فاعل ومعطل عن تأدية دوره الريادي**»[1]. إذن تبقى المرأة دائما بمثابة ضحية لسوء المعاملة وتحت ظل الاستغلال كونها الذات المقهورة والمسلوبة من كل حقوقها ولكن الكثير من الأشخاص يتجاهلون دور المرأة في الحياة وكيفية مساهمتها في بناء المجتمع وتطوره نحو الأفضل إذ تتسم بقوة تأثيرية تساهم في انبعاث الحياة والاحساس بعاطفة في قلب الرجل وهذا ما رصده "أمير تاج السر في روايته" تحدث عن مدى تأثير اللاجئة في نفس عبد القيوم لدرجة أنه يساعدها وينفذ لها

[1]– نادية هناوي: الجسدنة بين المحو والخط، الذكورة الأنوثة، ط01/ مقاربات في النقد الثقافي لبنان، بيروت، 2016، ص06.

كل ما تطلبه ويفعل لها ما لا يفعل لنفسه «**بنى لها ذلك الكشك الأزرق الأنيق لتنام فيه ليلا، وتمارس نشاط بيع الشاي أمامه في وقت العمل الذي يبدأ مبكرا وينتهي في أول الليل عادة، لم يكن هذا ما كانت تحلم به في الواقع**»[1].

لقد عاشت المرأة على مر العصور نوعا من التهميش والحرمان بسبب ضعفها وقلة حيلتها وقد عانت وتعرضت إلى الظلم واللامبالاة ولكن بفضل تميزها بالتأثير الغير العادي على الرجل باتت لها مكانة في قلبه، وهذا ما تركته اللاجئة في نفوس اللاجئين المهمشين خاصة عبد القيوم الذي جعل لها مكانة خاصة في قلبه كون اللاجئة بعثت في نفس عبد القيوم الحب والأمان والرغبة في العيش «**سمعته يغني حين صحبته أول مرة للتنزه قرب شاطئ البحر، كان الليل جذابا، وكانت السفن الملونة بأضوائها الكشافة ... وثمة موسيقى حالمة تنبعث من مكان ما، ورسام فاتن بفرشاة رشيقة يرسم الليل والبحر وغموض السفن كان يغني وكان صوته مشبع بإحباطات شتى**»[2]. إن كلما كانت المرأة جميلة ومؤثرة كلما كان الرجل أكثر انجذابا لها وهذا ما ترك في نفس عبد القيوم أثرا كبيرا يجعله يخضع لكل أوامرها حتى ولو كانت لا تقصد ولو مزاحا وهذا ما شد انتباهه وأثار اعجابه في جمال اللاجئة التي لطالما صارعت الحرمان والتهميش وحدها ولكن بوجود للطرف الآخر عبد القيوم شعرت بالاطمئنان والأمان بوقوفه معها ومساندتها لها رغم ظروفه القاسية التي مر بها كونه مهمش «**طلبت منه أن يستعيد لها أسورة من الذهب .... انتزعها واحد من حرس الحدود من معصمها ... كانت تمزح بلا شك في ذلك اليوم ... كان عبد القيوم متفانيا في خدمة جمالها، أو لعل الجمال اخترع منه خادما مطيعا لن يعصي الأمر حتى لو كان مزحة، لم يكن يحلم قط بامرأة تخصص نفسها وكثير من وقت فتنتها، له وحده، بعيدا عن نساء الأزقة ... امرأة لها جمال وردة**

[1]– الرواية، ص 33.

[2]– الرواية، ص 35–36.

ورائحة وردة أخرى»[1]. إن ما يصيب الرجل عند رؤيته لمرأة جميلة وفاتنة هو ضعف الإدراك والإحساس بنوع من الاهتمام والانجذاب إليها كونها تأثر فيه لما فيها من صفات وملامح تبعث في النفس الرغبة في التحدث والاهتمام بها «**المرأة هي الوجود والحقيقة واللغة والكينونة وهي الكتابة والقراءة وهي الجمال والأدب**»[2]. لقد بين "أمير تاج السر" في روايته منتجع الساحرات، مدى التأثير الكبير الذي تركته اللاجئة، أبيا تسفاي" في نفس اللاجئ عبد القيوم، ولكن لم يقتصر التأثير على عبد القيوم فقط ولكن على عدة مهمشين كـ "عباس الموت" وكذلك "الشاعر قنديل" وكذلك "ناهوم عرجا" وأيضا "قمزةحاي" وذلك عند رؤيتهم إياها إعجابهم بها وقد حرص أمير تاج السر على إبراز شخصيات مهمشة اجتماعيا وبيان مدى تأثير المرأة المهمشة على هؤلاء المهمشين «**عباس الموت لا يحب الأناقة، أو بالأصح لا يعرفها، ومهنته كعامل في الصحة، تفرض عليه الانساخ الدائم بموارد رش الحشرات ... قال مباشرة بلا أي ابتسامة بعدما حك أنفه، وتلفت في حذر خوف من قدوم عبد القيوم فجأة: أبيا ... إن كنت غير مخطوبة أو مرتبطة بعد القيوم أريد الزواج منك فورا، سنفر من هنا إلى مكان آخر، أكثر جمالا**»[3]. لطالما كان ينظر للمرأة نظرة احتقار واستغلال كذلك التقليل من شأنها وحرمانها من كل حقوقها حتى في العيش الكريم والتمتع بحياة أفضل ولكن تبقى دائما لها مكانة في قلب الرجل ليس كأي رجل إلا الذي يستحق ويقدر قيمتها ويحميها دون أن يستغلها ويستغل مشاعرها أو لأنها جميلة ولكن كونها إنسانة تستحق أن تعيش بكرامة واحترام وتقدير مشاعرها «**تستطيع بقدرتها العاطفية والشعورية أن تستميل قلب (الرجل) ولكن ليس أي رجل وإنما الرجل (الحازم)، وهذه الميزة العاطفية الجياشة**»[1]. إن المرأة بوجود شخص بجانبها يساندها

---

[1]– الرواية، ص 37–38.

[2]– نادية هناوي: الجسدنة بين المحو والخط: الذكورية الأنثوية، ص 10.

[3]– الرواية، ص 61.

[1]– مثنى أمين الكردستاني: حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ط 1، دراسة نقدية إسلامية، تقديم محمد عمارة، منتدى سور الأزبكية، دار القلم، القاهرة، 2004، ص 219.

ويحميها ويتعامل معها بكل دفئ وحنان وعفوية كل هذا يبعث فيها الإحساس بحب الحياة والرغبة في امتلاكها والتصدي لكل مصاعبها على عكس المعاناة واللامبالاة والاهمال والاستهانة بكرامتها التي تجعلها دائما محبطة وتجعلها تتمنى أن لو تجد حلا أو مخرجا يخلصها من تلك القيود التي حرمتها من حريتها وجعلتها في دائرة المسؤولية وتنفيذ الأوامر والخضوع لكل طلب سواء فرض أو بغير فرض «**اقتصر دورها الريادي ذلك على ناحية من نواحيها الطليعة وهي الأمومة ورعاية الذرية والانجذاب كأرض تلقي فيها بذور ... حتى إذا أتت أكلها ونضجت ثمارها، قطفها ليتمتع بأكلها وليركنها من ثم إلى حين يحتاجها مرة أخرى**»[1]. لقد تأثر العديد من المهمشين بجمال "أبيا تسفاي" لدرجة حب الامتلاك الذي يراود أنفسهم والرغبة في الزواج بها أو حتى مجرد الاهتمام فقط بهم إن اللاجئة تمتلك جمال فاتن يجعلها تكسب قلب أي رجل ولكن كانت عكس النساء الأخريات فقد كانت تحافظ على جمالها لوحدها ا لاستغلال الشباب بفضل جمالها لأن الجمال نعمة من الله تعالى لذا يجب الحفاظ عليه وعدم استخدامه في التأثير سلبيا على الرجل لتحقيق مصالح ذاتية ولكن اللاجئة لم تتعمد التأثير على الشباب المهمشين ولكنها تبحث عن من يحميها ويأويها مثل عبد القيوم فقد ارتبطت به كونه يساعدها ويحميها ويساندها في كل الظروف التي تمر بها وقد أثارت اللاجئة في الكثير من المهمشين إعجابهم بها والرغبة في زواجهم وبها «**شاعر الأغنيات قنديل الذي أتي من حيث لآخر ... وكتابة أغنية خفيفة ومزعجة في أوصاف أبيا ... أسمعها الأغنية بصوت لا يصلح لتنغيم الأغنيات ... لم يطلب الكثير فقط أن تلهمه بنظرة أوابتسامة، كلما شاهدته بالجوار وحتى لو أسعدها الحظ، وتزوجت وانتقلت لمكان أكثر ملاءمة لامرأة مثلها،**

[1]– نادية هناوي: الجسدنة بين المحو والخط: (الذكورية الأنثوية)، ص: 6–7.

فقط فلتخيره، وسيدفع أجرة المواصلات لأي مكان توجد فيه من أجل الإلهـــام والإلهـــام فقط»[1].

إن المرأة باعتبارها كانت بشري لها قلب مليء بالعاطفة والأحاسيس رغم معاناتها ولكنها قادرة على النسيان، وذلك بوجود شخص يحميها ويبادلها الشعور بالحب والحنـــان وعدم الاستغلال كذلك إعطاءها حرية الاختيار لمصيرها والتمتع بحياة أفضل مع من تجد الراحة والاطمئنان معه «**على المرأة أن تخوض حربين: حربا ضد الاستعمار إلى جانب الرجل وحربا ضد عوامل الكبت والقمع التي يفرضها المجتمع على المرأة وفي طليعتها السفور والحجاب، ثم حرية اختيار المرأة لشريكها ولنمط حياتها بأن تتعلم وتشتغل**»[2]. لزالت المرأة العربية تعاني من الإكراهات وصعوبات التي تجعلها تحت سيطرة المعانـــاة في حياتها رغم آمالها وأحلامها التي تحطمت منذ تسلط القيود عليها بحيـــث لا تســـتطيع إبداء رأيها في التعبير عن مدى آلامها وإيصال صوتها المليء بالأحزان لمـــن يســـمعها ويفهمها ويساندها مثل ما تعرضت إليه اللاجئة التي تأثر بها عبد القيوم وتغير من أجلهـــا كونه كان لا يبالي بأي شيء ولكن بفضل اللاجئة وتأثره بها جعلته يعمـــل لكـــي يكـــون بجانبها ويحميها من كل الأعداء «**كون عدة وجهات نظر في مواضـــيع متعـــددة أهمهـــا موضوع السكني في مكان ما، والعمل إن عثر عليه، وإمكان أن يتزوج من أبيا تسفاي، ذات يوم ويهاجرا معا هجرة أفضل من هجرتها الحالية، إلى بلاد تقدر الجمـــال لـــديها وخفة اليد لديه**»[3]. إن إهمال دور المرأة وعدم الاعتراف بأهميتها والأخطاء التي ترتكب في حقها وهذا ما يجعلها في كثير من الأحيان عاجزة كل العجز عن التصدي والدفاع عن نفسها وعن كرامتها وحقوقها المسلوبة منها بالعنف واستخدام القوة ضدها وهذا ما جعـــل أمير تاج السر يرسم لنا في روايته صورة المرأة المهمشة، واللاجئين المهمشين بصـــفة

---

[1]– الرواية، ص 62.

[2]– بثينة شعبان: 100 عام من الرواية النسائية العربية، ط1، دار الآداب: بيروت، لبنان، 1999، ص05 .

[3]– الرواية، ص 45.

عامة وتحدث عن معاناتهم وهمومهم في بلاد اللجوء، ومدى تأثير اللاجئة في نفس عبد القيوم «**بنيت مشهد الرجل الشهم الذي يرعى امرأة ضعيفة، اللص الذي ينهب ليهب الاستقرار المتشردة، وظهرفي المشهد العام، وبحذر شديد، تغير ليس قليلا، في ملابس عبد القيوم وسلوكه لقد أصبح أكثر وعيا بجودة اللبس، وتنوعه وعرف الكثيرون أنه ابتدأ يستحم**»[1].

لقد تأثر عبد القيوم باللاجئة كثيرا لدرجة أنه قرر التغيير في كل شيء من حياته والعيش في حياة كريمة وأفضل دون أي انحرافات قرر أن يكون دائما متأنقا في ملابسه وعدم السرقة والبحث عن العمل وكسب سيرة حسنة تساعده في العيش واكتساب الاحترام والقبول في أي مهنة وعدم تضييع الفرص من أجل الحياة والتمتع بها وهذا ما ولدته اللاجئة وجمالها في قلب عبد القيوم ولكن بسبب المؤامرة التي وضعت لعبد القيوم صارت اللاجئة وحيدة عندما دخل السجن وبات بعيدا عنها وهذا ما زاد من معاناتها جراء الاستغلال وبسبب الظروف القاسية تحطمت كل أحلامها ولكن لا يزال أملها بعودة عبد القيوم الذي لطالما ترى فيه الإنسان والشريك الذي يحميها من كل مستغل ويرافقها في كل مكان ويساندها ويساعدها في كل ما تحتاجه ولكن عبد القيوم لم ينساها حتى وهو في السجن وبقي مخلصا لها وأمله أن يخرج ويبحث عنها «**عبد القيوم، أحب امرأة متشردة، أخلص لها، أواها في ظل وستر تشردها بمهنة ذات عائد وعاقبة عشاقها الآخرون بتلك الموسومة المرتبكة**»[2]. إن عبد القيوم قد أحب اللاجئة لمدى تأثيرها عليها لجمالها الفاتن الذي لطالما أثر في الكثير من المهمشين حتى صاحب النفوذ شجر لدرجة صمود ذلك الهاجس في اللباس ذات اللون الأصفر الذي ظل في مخيلته عندما لبسته اللاجئة، فكلا من عبد القيوم وعبد الباسط شجر غريمان ومتأثران باللاجئة الإيرتيرية أبا تسفاي التي ولدت

---

[1]– الرواية، ص 72.

[2]– الرواية، ص 97.

تأثيرا كبيرا في حياتهم «**الرجل فليس له أن يتصور المرأة إلا تابعة له لا الغيره وهي ملكه وحده وما من سبيل لكسر هذا النسق إلا بآخر هو غريم ومضاد له حتما وبدا**»[1]. إن المرأة فيحالة غياب الرجل تكون الأكثر عرضة للعنف والقهر والإذاء والاستغلال فلو لا وجود الإنسان الذي يحميها ويدافع عنها لما كانت ضحية للظلم والاستغلال والتعسف «**بغض النظر عن اللاجئة التي لم يمض وقت طويل على حضورها، وتكالب الناس على عشقها ووقوفه هو وعبد القيوم في الصف الأول، كل يحمل سيفه الخاص، لم يكن يحبه ولطالما كان يحس بابتهاج كبير، حين يختفي عن المكان ويعرف أنه في السجن، الآن وهو يقترب من الكشك المنطفئ، الواجم الثاني من النكهة**»[2]. إن ما يميز العلاقة بين عبد القيوم واللاجئة أبيا تسفاي هو ذلك اللقاء الذي حرك الوجدان والشعور والنظرة التي جعلته يتأثر بها واللجوء إليها بكل حماسة وعاطفة، وكل هذا جعل عبد القيوم يقاوم الطغيان والقهر الذي ذاقه في السجن نتيجة لمؤامرة كان ضحية لها دون أن يرتكبها ولكن عبد القيوم لم يفشل بل كان قويا لم يسرب منه ولو طرف من اليأس والخوف إلى كيانه القوي الذي استمده من حبه اللاجئة ومدى تأثره بها «**قصة طويلة ومعقدة، قصة لص ولاجئة ضحية وضحية أخرى، هاربة من قدر ولاصق بهذا القدر، حكاية قد تستغرق ساعة كاملة عن واحدة جالسة في قلبه، وسعيد بجلوسها، لكن هناك من حول هذه الدراما الطيبة القلب إلى جمر**»[3]. لقد كان قمزة حاي من الذين تأثروا باللاجئة وإعجابهم بها ومن الذين تمنوا يوما من الأيام أن تكون ملكهم وها هنا يصغي لعبد القيوم حيث يسرد ويعبر عن مشاعره تجاه اللاجئة ومدى تأثره بها واندهاشه لمعرفة أن المرأة التي يتحدث عنها هي نفسها اللاجئة أبيا تسفاي التي كان يوما من الأيام يتواعدها ومعجبا بها «**حين وصف السارد، الذي هو عبد القيوم، وجه اللاجئة بما فيه من شروق وغروب وادهاش**

---

[1]– نادية هناوي: الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية والأنوثة)، ص 31.

[2]– الرواية، ص 145.

[3]– الرواية، ص 99.

ولعنة جمالية، هتف قمزقحاي في سره، لكن ظلال من الهتاف ارتسمت في عينيه المطفأتين كأنها بائعة الشاي الإيرترية في منتجع الساحرات .. يا إلاهي، وحين انحدر ... إلى جسدها وذكر عبارات مثل: الملبن والحرير ... ولون البشرة، هتف قمزقحاي في سره ... وطرف لسانه.. اللعنة إنها أبيا تسفاي، إنها هي التي جلست معه ذات يوم»[1]. إن الفرق بين حب عبد القيوم واللاجئة وحب قمزقحاي لهذه الفتاة هو مدى تأثر عبد القيوم بها على عكس قمزقحاي الذي أعجب ببائعة الشاي أبيا تسفاي في إطار المصلحة شخصية والاستغلال «**لقمزقحاي المتشرد كان يبحث عن حياة أفضل عند واحدة لديها صنعة وقابلة للتطوير إلى أفضل من بيع الشاي وحين فرت من مكان الصنعة، تعذرت المصلحة، وطلق رغبته في امتلاكها**»[2].

إن المرأة بطبعها ضعيفة ودائما متعرضة للاستغلال سواء من شخص قريب أو من شخص لا تعرفه وتكون تحت سيطرة المجتمع الذي لا يرحم كونها ضعيفة الشخصية ومهمشة لا تجد القوة لدفاع عن كرامتها وحريتها مثل اللاجئة التي لطالما كان عبد القيوم يمثل لها الحياة والاطمئنان والأمان والحرية ويوفر لها العيش الكريم بدلا منه «**لأن المرأة عاطفية والمرأة (...)أحيانا تؤدي إلى خراب بعض الأمور حيث هنالك جوانب شرعية حكم الرجل أفضل فيها، لكن ليس أي رجل، إنما الرجل الثقة (العدل المثقف)**»[3]. تبقى المرأة دائما ضحية الاستغلال مهما علا شأنها واكتسبت مكانتها تبقى دائما مهمشة من قبل الرجال المستغلين الذين لا يعرفون الرحمة ولا يقدرون مكانة المرأة في بناء المجتمع وأهميتها في تطويره والسير نحو مستقبل أفضل كونها تمثل الأم والأخت والزوجة التي

---

[1]– الرواية، ص 129.

[2]– الرواية، ص 162.

[3]– عرين هواري: بين الدين والنوع الاجتماعي والاستعمار: قيادات وناشطات في الحركة الإسلامية، داخل الخط الأخضر، عمران، ع 25، صيف 2018، ص 45.

لطالما حلم بها أي رجل، إن ناهوم عرجا كذلك كانت رغبته في الزواج باللاجئة ويعد من المتأثرين بها والراغبين في الزواج والعيش معها والتأمل في ذلك الوجه المليء بالجمال الفاتن والجذاب رغم أن ناهوم يعد من رجال شجر صاحب السلطة والنفوذ، ولكن ناهوم «**تلك كانت ستكون مفاجأة مرة لعبد الباسط شجر، قد تحوله إلى قاتل أو مجنون، ذلك أن الإيثيوبي المراهق، مساعده النحيل ناهوم عرجا، طلب الزواج من أبيا ذات يوم**»[1].

إن الجمال الذي تتمتع به اللاجئة هو جمال فائق الذي تأثر بها المهمش في رواية منتج الساحرات، وقد صور لنا الروائي أمير تاج السرحالة اللاجئ المهمش عبد القيوم العاشق للاجئة كونها دائمة الحظور في مخيلته ومدى تأمل اللاجئة في رؤية عبد القيوم والعيش تحت حمياته كونه يعاملها بكل حنان وعاطفة مما جعلها دائما تأوي إليه كلما ذاقت بها الدنيا وصعبت عليها ظروف الحياة القاسية التي عان منها كل من اللاجئين المهمشين وكذلك الناس الضعفاء الذين لا يستطيعون التصدي لمثل هاته المعاناة كالتهميش والاستغلال التي تعرضت له اللاجئة أباتسفاي الملقبة ببائعة الشاي المرأة التي تحمل في قلبها قدرا ممكن من العاطفة والأحاسيس لعبد القيوم الذي يعد ضحية مؤامرة الشخص الذي يعيش على هامش الواقع والمصنف في خانة المهمشين ولكن ترك بصماته في الواقع المهمش وبالأخص في حي المهمشين «**عبد القيوم، أحد الذين منحوا المكان تاريخا مذهلا، مليئا بالأخطاء والتصويبات**»[2]. لقد تأثرت اللاجئة بغياب عبد القيوم كثيرا لدرجة أن لا تطيق العيش في مكان لا يوجد فيه عبد القيوم واحساسها بخيبات أمل في العيش الكريم مع إنسان يستحقها ويحميها من كل مستغل ومستبد «**ذلك المساء، تملكها القرف كاملا، أحست ولأور مرة، أن دور المعشوق ممل ومؤلم إلى أقصى حد وتلك النظرات معظمها أظفار تهرش الجمال وتدميه، وتلك الاشتهاءات تحولها إلى طبق متبل على مائدة جياع، وكانت تصنع الشاي وتقدمه، وتحس بأنهم يشربون أصابعها لا شايهاوحين**

[1]– الرواية، ص 63.

[2]– الرواية، ص 146.

أخذوا عبد القيوم، أو بتروه عن يومها كان ذلك من منطلق جوع المكان، الذي أحسته أشد خطورة»[1]. تعتبر المرأة ذلك الكائن البشري الذي يتميز بالجمال الفاتن لاسيما التأثير الكبير والذي يأسر قلوب من حوله، المرأة التي يحبها الجميع خاصة الجميلة والتي تستطيع لمس أعماق الرجل نفسيا وعاطفيا مما يجعلها متعرضة دائما إلى الاستغلال والتحرش من قبل الرجال المستغلين لعاطفتها ورقة مشاعرها كاستغلال ناهوم عرجا للاجئة التي كان كل أملها أن تلتقي بعبد القيوم والعيش تحت حمايته «**مؤكد أن عبد القيوم لن يظل حبيسا في السجن إلى الأبد من المؤكد أنه سيخرج في أحد الأيام، وسيفتقدها وسيبحث عنها وقد يمزقها إذ وجدها ضالة، وبعيدة عن السقف الذي أنشأه لها، وكان يقسم كلما جلس أمامها على أبسطة المحمل، أنه لن يرتكها تظل أبادا، بكت كثيرا، وتألمت كثيرا، وغسلت جزءا من خوفها»**[2].

لقد تألمت كثيرا وعانت كثيرا لغياب عبد القيوم وأيضا لتعرضه لمصاعب التي تواجهها في العيش دون الشخص الذي يحميها ويعتني بها كلما كان بجانبها ولكن ذهب الذي يحميها والذي يتصدى لكل المصاعب بدلا منها وقد كان عبد القيوم يسعى من أجل إسعاد اللاجئة وحمايتها ولكن لا وجود لمن يسعدها ويسعى من أجل العناية والاهتمام بها.

إن ما تعانيه المرأة من مصاعب الحياة وظروفها القاسية تجعلها دائما ضعيفة ومستغلة من طرف الآخر مهما بلغ تأثيرها وارتفعت مكانتها تبقى ذلك الكائن البشري الذي لا يستطيع الخروج من تحت وطئت المستغلين وتبقى دائما في إطار المستغلين والمهمشين والضعفاء وهذا ما فعله "ناهوم عرجا" للاجئة "أبيا تسفاي" باستغلال ضعفها وجوعها وقلة حيلتها جراء الظروف القاسية التي لاقتها في بلاد لجوعها وتكون نهايتها

[1]– الرواية، ص 113 .

[2]– الرواية، ص 121.

مؤلمة في هذه البلاد التي لا رحمة ولا شفقة فيها «**كان نهوم عرجا، كما يبدو ويدور بعض الأفكار في عقله ويضطرب بها ... أمسك أبيا من يدها، شدها بقوة إلى بيت طيني مقفر ومهدم تقريبا ... كان يعرفه، ويستخدمه باستمرار للأغراض المؤذية في الغالب**»[1]. دائما تبقى المرأة تحت استغلال الرجل الذي لا يعرف قيمة المرأة ويجعلها تحت سيطرته وهيمنته كونها ضعيفة وهذا ما فكر فيه ناهوم عرجا باستغلال ضعف اللاجئة وتنفيذ ما يدور من أفكار شيطانية في ذهنه كونه مجرما يستغلها من أجل تحقيق مصالحه الذاتية كما كان يفعل مسبقا، وقد صور لنا أمير تاح السر في روايته منتج الساحرات نهاية مؤلمة وقاسية جدا لأبعد الحدود، نهاية اللاجئة أبيا تسفاي الملقبة ببائعة الشاي على يد ناهوم عرجا المغتصب «كانت خائفة بالفعل، لكنها في شبه تسلسل لحواس الجمال الذكية ... ولكن يمكن لو أنها استيقظت لحظة واحدة فقط، لاكتشفت مغتصبا أكيدا ... وإنها حياة ليست سعيدة قطعا في الوقت الحالي لكنها تملك مقومات السعادة المستقبلية كلها»[2]. لطالما كانت اللاجئة تعاني من كل تهميش وفقر وحرمان وقهر واستغلال إلا أنها كانت دائما تحلم بحياة سعيدة وكريمة وعيش أفضل من قبل لكن نهايتها مؤسفة جدا لم تكن تتوقعها «**كان ناهوم مشوه الوجه بصورة مرعبة، خرج من بيت الطين يلهث، يبحث عن الهواء بجنون ... لم تسجل خريطة بيده اللتين استخدمهما في إنهاء طموح أعذب لاجئة طموحة ربما لا تتكرر مرة أخرى في الدنيا**»[3]. لقد عجزت اللاجئة بالدفاع عن نفسها لتكون ضحية مغتصبا وظالم ومستغل، كون المرأة ضعيفة مهما عظم تأثيرها إلا أنها تبقى دائما عاجزة عن الدفاع والتصدي لظروف قاسية ومجتمع قاهر.

---

[1]– الرواية، ص 167.

[2]– الرواية، ص 168.

[3]– الرواية، ص 168–169.

المطلب الثاني: تأثير الهامش على المركز:

جدلية الهامش والمركز قضية معقدة في مصطلحات ومجالاتها، ومن المعروف أن المركز غالبا ما يرتبط بالسياسة وهذه الأخيرة أصبحت أكثر تقديسا والجميع أصبح يريد الوصول إليها على حساب أخلاقهم وكرامتهم لتصبح الهدف الأساسي في هذه الحياة لأنها تمثل السلطة وبامتلاكها يمتلك كل القرارات «**وقد تصور بعض المفكرين، الميدان السياسي بمثابة البديل عن الديني، كما أتوا إلى تحليل الالتزام السياسي وكأنه شكل جديد للاعتقاد**»[1]. وهذا هو واقع العالم العربي.

يما أن المركز موجود فهذا دليل على وجود الهامش فبغيابه يغيب المركز، وهذا يؤول إلى وجود علاقة تكاملية بين المركز والهامش وكل منهما له تأثير على الآخر، كما قلنا سابقا المركز هو النقطة الأساسية أما الهامش فهو محيط الدائرة، إن تأثير المركز فهذا يؤثر تلقائيا على الهامش والعكس صحيح، بالنسبة للفلاسفة خاصة اليونان الفكر الأفلاطوني:

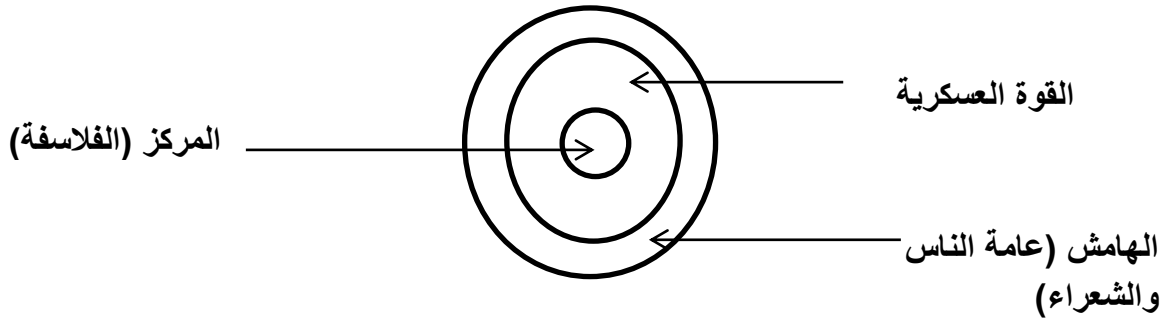

الشكل 01: تقسيم المركز والهامش في الفكر الأفلاطوني[2].

[1]–فرانسواز كريمو: من المقدس إلى القداسات، تر: محمد جديدي، مؤمنون بلا حدود، المقدس والسرديات الكبرى، 2016، ص 17.

[2]– الشكل 01: عن دليلة الباح: المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه "ل م د"، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016: ص 32، بالتصرف.

إذا كان المركز هو النواة والجوهر، فهو القلب النابض الذي يزود الهامش بمختلف الأنظمة والهامش محيط المركز والفضاء المهمل لهذا الجوهر «**في سبعينيات القرن الماضي داخل نظرية الأنظمة المتعددة، وسوسيولوجيا الحقل الأدبي، العلاقة بين المركز والمحيط هي علاقة الغالب بالمغلوب، يتميز بتبعيته للمركز وبأنه يشكل "نظام – أدنى أقل خطوة والمسافة بين المركز والمحيط هي زمنية وتتجلى عبر أنواع العجز عن المجاراة**»[1]. الهامش تابع للمركز.

ولكن أيضا هناك تأثير الهامش على المركز، ليعتبر الهامش المركز هامشا وهذا ما لوحظ في رواية منتجع الساحرات إذ ترى أبا تسفاي التي نظر لها على أنها لاجئة فهي مهمشة من ناحيتين بداية أنها امرأة في مجتمع أبوي ثم لاجئة أي دون سند خاصة في غياب حقوقها.

إضافة إلى اللاجئ عبد القيوم الذي ترك أثر كبير في نفس شجر الذي يملك كل شيء إلا أنه رأى عبد القيوم دليل عقبة في طريق تحقيق ما يريد وهو زواجه من أبا تسفاي، ولهذا حاول بكل الطرق ابعاده عن طريقه «**فقد جهز عدة استفزازات مختلفة، قد يستخدم بعضها أو يستخدمها كلها إن اقتضى الأمر، ويتمنى في أعماق نفسه أن يعتبرها عبد القيوم استفزازات جادة، ويهتاج، ويرتكب جريمة صغرى تدخله السجن، وتبعده عن المكان حتى ينتهي هو من استيلائه على اللاجئة، بطريقة شرعية وواضحة**»[2]. فهنا شجر استخدم الاستفزاز من أجل الإيقاع بعبد القيوم إذ نرى هذا الفقير الذي لا يملك شيء جعل من شخص من الطبقة العليا يسعى خلفه، حيث كان هذا التأثير بطريقة مختلفة وغير

---

[1]– بول أرون: معجم المصطلحات الأدبية، تر: محمد محمود، ط 1، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، 2012، ص1029.

الشكل 1: عن دليلة الباح: المركز الهامش في أدب عيسى لحيلح، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه "ل م د"، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016: ص 32، بالتصرف.

[2]– الرواية، ص 68.

مباشر فما كان من شجر إلا أن يحاول مرة أخرى «**كانت يده اليمنى في جيب سـروواله، تمسك بأداة حادة، وجاهزة لأي طارئ، ويحس بأنه انتصر في استفزاز ذكي، ولن يكون ردة الفعل أقل من صفعة من عبد القيوم على خده، وتمزيق قميصه أو سب بذيء يطال أباه وأمه، وكل ذلك سيصنف لدى السلطة اعتداء على موظف رسمي أثناء تأدية واجبه، وسيدخل المعتدي بموجبه السجن، ولن يعرف أحد على الإطلاق، ماذا اقترف الموظـف الرسمي قبل الاعتداء عليه**» [1]. إذ لم ييأس شجر من استفزاز عبد القيوم دليل حتى يبلغ مبتغاه، وإدخاله السجن والحصول على اللاجئة وقد نظم كل شيء من أجل أن يتخلص من عبد القيوم «**وفي هذه اللحظة بالذات كان وغدا فعلا، لأنه يكاد يعرف بالضـبط فـي أي ركن من أركان عنبر الحجز الاحتياطي القذر، المكتظ بالاجرام والنيكوتين، سيرقد عبـد القيوم لياليه القادمة، ابتداء من اليوم، وبأي عربة بيك أب من عربات أجهـزة الأمـن الممزقة من خشونة الاستخدام، سيتم نقله، وأي ضابط من الضباط العصبيين، يسـتولي مهمة ارهابية، وخلخة أسنانه، وحشو خده بالورم**»[2]. هنا المركز استخدام نفوذه مـن أجل التخلص من الهامش الذي ترك فيه أثر كبير ووجد بأنه يجب أن يتخلص منه لأنـه يؤثر في اللاجئة ويحوم حولها ولم يترك له المجال من أجل التقـدم، فـالمعروف علـى أصحاب الهيمنة الحصول على ما يريدون على حساب الآخرين خاصة الضعفاء، ولكـن هنا شجر تحت تأثير الهامش من اللاجئة التي أحبها وأرادها بجنون وعبد القيـوم الـذي يحول بينه وبين هدفه فحبك له خطة قديمة ولكنها ناجحة وذلك بـ «**إيصاله حتى أبـواب السجن الاحتياطي، متهما هذه المرة بسرقة شرف إحداهن، وهي من الجرائم التي يسهل اختراعها في أي زمان ومكـان**»[3]. هنا كانت علاقة بين الهامش والمركز أي بين عبـد القيوم وشجر وهي أبا التي كانت أثر كبير في نفس كلاهما وكل منهما أحبهـا بطريقتـه

[1]– الرواية، ص 70.

[2]– الرواية: ص 68.

[3]– الرواية: ص 84.

الخاصة، لم يكن هما فقط بل الكثير إذ كانت محل أطماع كل من رآها في محطة الباص وفي حي المرابيع.

تتعدد الصفات التي تملكها المرأة والتي تأسر قلب كل رجل، فهي كائن لطيف وحساس وبأنوثتها وجمالها تشعره برجولته إضافة إلى صفاتها الداخلية وشخصيتها، تبقى ملامحها الخارجية والجسدية أولى الخطوات إلى قلبه ومنها لا يستطيع مقاومتها كـ: شعرها، ابتسامتها، صوتها، وعيونها التي تعد من أبرز علامات الجال والجاذبية وأولى وسيلة للتواصل بين الجنسين، بالإضافة إلى صفاتها البارزة من جسمها كخصرها والتزيين والمظهر البسيط، لأن أكثر شيء يجذب الرجل أنوثتها ورقتها وابتسامتها، بصفة عامة تؤثر المرأة على الرجل وهو ضعيف أمامها ويحاول أن يكون لطيف أمامها «**وأشهى ما في وجهها عيناها المشعتان بنور الأمل ... نهب فيها الوجه والعينين والشفتين والصدر الممتلئ ايحاء ...**»[1]. المرأة دون فعل أي شيء تؤثر بشكل غريب على الرجل وهذا يعود لتأثير الغريزة على أقوال وأفعال الرجل «**شاهد هبوطها المتعثر من باص السفر ... ثم اقترب منها، كانت النظرة قد اصطادته، لكنه لم يعرف قط بأنه تعثر بنظرة صيادة وسقط، ورافق عدم اعترافه ذلك، عدم اعترافات أخرى عديدة ضمن بها العشاق والعابرون ما يمكن أن يسموا عاطلي الشبق والمتعة**»[2]. الرجل قوي جسديا في التعامل مع المواقف ولكنه ضعيف جدا في المواقف العاطفية والحسية، مع مشاهدة الرجل لجمال المرأة يتوقف عن التفكير لبعض الوقت لها تأثير مخدر عليه.

الألوان لها تأثير كبير على العيون وتسحر الناظرين خاصة اللون الأحمر الذي يعد من أكثر الألوان جاذبية عند الرجال، وهنا في روايتنا نرى مدى إعجاب شجر باللون الأصفر وهو لون جذاب للعين جدا «**هو سعي للاجئة، ويدرك تماما من دون أن يتشكل**

---

[1]– الرواية: ص 28–29.

[2]– الرواية: ص 29.

ذلك الإدراك في وعيه بصورة جدية إنه لم يسعى إليها، وإنما سعى إلى الأصفر المطعم بالذهبي، ذلك اللون المحرض لرغبته الهشة، الذي أعاد بناءها من جديد كما يعتقد»[1]. ليعكس هذا اللون تأثيرا اللاجئة على شجر ورغبته الجامحة لامتلاكها وفرض نفسه «**ذلك المساء تملكها القرف كاملا ... تلك النظرات معظمها أظفار تهرش الجمال وتدميه ... عبد الباسط شجر، أرسل جزءا من مهرها ... أرسل أسورة وخاتما ... فوجئت بابتهاجات، ومقدمات عرس حقيقية ...»**[2]. الرجل عند رؤيته لجمال المرأة يتسرع في اتخاذ القرارات المتهورة.

الإصابة بالغيرة المفرطة جراء النظرة الأولى للفتاة فتحدث مشكلات اجتماعية كثيرة «**أما الرجل فليس له أن يتصور المرأة إلا تابعة له لا لغيره وهي ملكه وحده»**[3]. فما كان لشجر أن يكون هوسه الوحيد هو أبا تسفاي ولم يتقبل فكره أن عبد القيوم يجاريه في أخذه فكان مصيره دخوله للسجن ويرى أن أبا هدف ورغبة يسعى للوصول إليها، دون مراعاة أنها إنسانة ولها الحق في اختيار مسار حياتها حيث تقول «**نوال السعداوي: المفروض أن كل إنسان يمتلك جسده، والمفروض أن تمتلك المرأة جسدها لأنها إنسان، فهذا أول حقوق الإنسان»**[4]. العلاقة تبنى على التضحية وليس على بناء المصلحة، لأنك أن أحببت إنسان عليك المحافظة عليه ولا تؤذيه والسعي على سعادته دون محاولة المتملك وهذا ما فعله عبد القيوم دليل، أما شجر يرى أن الحب هو علاقات متعددة.

للحب أثر كبير على صاحبه لا يؤثر على العقل فحسب وإنما على التفكير أيضا والقناعات، ربما أبا أحبت عبد القيوم ورأت فيه ملجأها الوحيد وأملها في الحياة من أجل حياة أفضل «**لا تستطيع خيانة عبد القيوم برغم أنه ليس زوجا وليس حبيبا كاملا، وإنما**

---

[1]– الرواية، ص 141.

[2]– الرواية: ص 113.

[3]– نادية هناوي: الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية/الأنثوية)، ص 31.

[4]– مثني أمين الكردستاني: حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندري، دراسة إسلامية نقدية، ص 239.

جسر في طريق الأحلام لا بد من تجاوزه ذات يوم، ولن تتزوج من شجر، حتى لو قلدها الجواهر ... مؤكد أن عبد القيوم، لن يظل حبيسا في السجن إلى الأبد، من المؤكد أنه سيخرج في أحد الأيام، وسيفتقدها وسيبحث عنها»[1].

ربما لأنها امرأة أولا ولاجئة ثانية فكانت ضعيفة جدا بعد مغادرة عبد القيوم ولكنها لم تستسلم ولم تسمح لشجر بالسيطرة عليها وتملكها بالرغم من أنها كانت تستطيع أن تكون السيدة الأولى إن قبلت بهذا العجوز ولكن رغبتها في التمرد والبحث عن حلمها جعلها تترك شجر وتجعله يخسر هذه اللعبة.

بقدر ما تكون السلطة المركزية قوية وقمعية تكون في موقع ما سلطة أخرى أقوى وأعظم.

إن الجمال نعمة من عند الله تعالى وقد وضع الله قوانين للفتاة للحفاظ على جمالها «**ولو كانت تودالطرق الأخرى للعيش في الوطن البديل، كانت الآن داخل القصر**»[2]. ومن المعروف أن الرجال يحبون الارتباط بالنساء الجميلات.

كل شيء متوفر لهذه اللاجئة لو أنها قبلت بشجر لكنها قررت التمرد عليه والوصول إلى ما تريد «**ولم يعد بإمكانه إثبات حضوره الفعلي بشكل ذاتي إلا بالتمرد الذي به تستكشف المرأة وعيها وتعبر عن مكنونات الأنا داخلها**»[3]. فقررت أن تهرب من عبد الباسط شجر والبحث عن حلمها «**اختفاء اللاجئة من المكان ليس لغزا على الإطلاق، ولن يكون لغزا عصيا في أي لحظة، التي تركت استقرارها المؤقت، واختفت في اللحظة الفاصلة بين كونها بائعة شاي عادية من نمط غير عادي، وكونها ربة بيت من نمط لا يعرف أحد حتى الآن... لن يكون اختفاؤها لغز لو انتبه المتعاطون مع الأمر، إلى بعض**

[1]– الرواية، ص 121.

[2]– الرواية: ص 46.

[3]– نادية هناوي: الجسدنة بين المحو والخط، (الذكورية/الأنثوية)، ص 6.

التفاصيل الصغيرة»[1]. وبعد اختفائها وضح لشجر أنه خاسر ولم تقبل به لاجئة لا سند لها، صحيح أنها أثرت فيه ولكن تمردها عليه كان انكسار كبير لشجر «**الآن خرجت من منتجع الساحرات، مسرعة، بعدما ساعدها عدد من مواطنيها ... حيث ستذهب إلى المرابيع، حي اللجوء المتوعك بأمثالها ممن شتمتهم الحرب في وجوهم**»[2]. لتكون اللاجئة تلك المرأة القوية العازمة على تغيير حياتها التي غيرتها الحرب والتي حاول أمثال شجر نهبها واستغلالها، فتقوم وتغير قواعد اللعبة وتحطم كل المقاييس.

[1]– الرواية: ص 109.

[2]– الرواية: ص 116–117.

خاتمة

من خلال ما تطرقنا إليه في دراسة هذا الموضوع في رواية "منتج الساحرات" والتي حاولت الكشف عن أهم جوانب الهامش الاجتماعي الذي أقامها أمير تاج السر في روايته محاولا الإلمام على عدة مواضع منها الفقر والمرأة واللاجئ، وبذلك توصلنا إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- يعد كلا من المصطلحين المركز والهامش من المصطلحات الأكثر غموضا لتعدد مفاهيم ودلالاتهم كونهم جزء لا يتجزأ عن بعضهما، إذ لا يمكن تصور هامش دون مركز أو العكس.
- لا تزال جدلية المركز والهامش في دائرة التساؤلات، هناك علاقة ترتبط بينهما، إن كان الهامش الجسم فالمركز هو القلب النابض لهذا الجسم، وقد اختلف الهامش بتعدد مفاهيمه ومجالاته، فهناك التهميش الاقتصادي والجغرافي والديني...
- لقد همشت المرأة في مجتمع أبوي لا يعترف إلا بالجنس الآخر كون الأول أضعف المخلوقات ولم تختلف هذه النظرة السلبية على مر العصور باستثناء صدر الإسلام الذي كرم المرأة في وجودها المادي والمعنوي.
- إن ما نعيشه من تهميش للمرأة جعلها تتمرد على هذه الأعراف التي لطالما وضعها المجتمع فيها ومحاولة كسر هذه القيود المتعارف عليها والخروج منها.
- الكتابة النسوية أو باختلاف تسمياتها ومفاهيمها ومدلولاتها جاءت كردة فعل على الصورة النمطية المرسومة لها لتجسد نفسها، وتثبت وجودها.
- الحب سمة عذرية ومشاعر صادقة متبادلة بين شخصين لتكون بمثابة عنوان لتضحية وربما نسيان الذات من أجل الآخر.
- الفقر واقع أصبح يسود أغلب المجتمعات العربية ويلتمسه الناس ليكون حجة على ارتكاب الجرائم واللجوء إلى الانحرافات بكل أشكالها.
- إن ممارسة التهميش على الفئات المستضعفة ولدت آثار سلبية مختلفة أدت إلى ظهور ردة فعل فكانت الحرب نتيجة لذلك.

- عدم الإتفاق بين السلطة والشعب ينتج عنه الحرب والخراب وعدم الاستقرار ليكون العدل والمساواة هو الحل الأمثل للوقوف بالدولة وشعبها.
- اللجوء ظاهرة قديمة حديثة بالرغم من وضع حقوق للاجئين إلا أنها ضاعت واستغلت لمصالح شخصية ليكون اللاجئ تحت ظل المعاناة والمآسي.
- كانت ولا تزال السلطة الركيزة الأساسية في المجتمع ويتم استغلالها لتحقيق مصالح ذاتية على حساب المصلحة العامة.
- أصبحت السلطة بديل الدين وكل الغلبة لها كونها القوة المسيطرة، وغالبا ما ارتبطت هذه القوة بالسياسية وما عرف على السياسة فسادها وهيمنتها وتعسفها على أفراد المجتمع.
- تختلف السلطة من شخص إلى آخر إضافة إلى أنها قد تكون سلطة سياسية أو سلطة فردية وأحيانا ما يكون سلطة النفوذ لها الغلبة على الدولة وهذا ما يحققه المال والشهرة، إن تم استخدامها بشكل خاطئ.
- يؤثر المركز تلقائيا على الهامش، فإن حدث خلل للمركز فسيتأثر به الهامش والعكس صحيح إذ يؤثر الهامش على المركز كتأثير المرأة على الرجل.

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد التمسنا جانب من جوانب الهامش التي أصبحت تسود المجتمع والسلطة التي أصبحت تمثل الداء.

قائمة المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

1- المصادر:

1- أمير تاج السر: منتجع الساحرات: ط 1، دار سافي، 2015.

2- المراجع:

2-إبراهيم أبو الغار: علم الاجتماع القانوني والضبط الاجتماعي، ط 1، كتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985.

3-إبراهيم الجندي: اللاجئون الفلسطينيون بين العودة والتوطين، دار الشروق، عمان، الأردن، 2001.

4-ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات للنشر، بيروت، لبنان، 1987.

5-أبو نضال نزيه: الشرط الاجتماعي وقصور الوعي في الرواية النسوية العربية، د ط، وزارة الثقافة، عمان، د ت.

6-إحسان عبد الهادي النائب: مفهوم السلطة وشرعيتها، كلية القانون والسياسة، جامعة السايمانية، 2017.

7-أحمد فرشوخ: حياة النص، دراسات في النص الأدبي، ط 1، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، 2004.

8-أحمد كريم بلال: الرؤية الثورية في القصة والرواية، ط1، دار المناهج، عمان، 2015.

9-آري كنودسن: اللاجئون الفلسطينيون في المشرق العربي، تر: ديما الشـــريف، ط 1، المركز العربي، بيروت، لبنان، 2015.

10-اريك فروم: الخوف من الحرية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهـــد، ط 1، المؤسســـة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1972.

11-أسماء أحمد معيكل: الأصالة والتغريب في الرواية العربيـــة، ط 1، عـــالم الكتـــب الحديث، اربد، الأردن، 2011.

12-إمام عبد الفتاح إمام: أرسطو المرأة، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.

13-إمام عبد الفتاح إمام: أفلاطون والمرأة، د ط، مكتبة مدبولي، د ت، .

14-الإمام مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج1.

15-أمير حلمي مطر: جمهورية أفلاطون، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.

16-أمينة فراري: مناهج دراسات الأدب الشعبي، ط 1، دار الكتاب الحديث، القـــاهرة، 2011.

17-اندروميوود: النظرية السياسية مقدمة، تر: لبنى الريـــدي، د ط، المركـــز القـــومي للترجمة، القاهرة، 2013.

18-إيان لوو: العنصرية والتعصب العرقي، تر: عاطف معتمد وآخرون، ط 1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.

19-بام موريس: الأدب والنسوية: تر: سهام عبد السلام، ط 1، المجلس الأعلى للثقافـــة، القاهرة، 2002.

20-بثينة شعبان: 100 عام من الرواية النسائية العربيـــة، ط01، دار الآداب، بيـــروت، لبنان، 1999.

21-بوشوشة بن جمعة: الرواية النسائية التونسية، ط 1، المغاربية للطباعـــة والإشـــهار، 2009.

22-توين فان دايك: الخطاب والسلطة، تر: غيد العلي، ط 1، المركز القومي للترجمـــة، القاهرة، 2014.

23-جون كوين: النظرية الشعرية، بناء لغة الشعر، اللغة العليا، ج 1، تر: أحمد درويش، ط 4، دار غريب، القاهرة، 2000.

24-حسن مصطفى البحري: القانون الدستوري، ط 1، كلية الحقوق، جامعـــة دمشـــق، 2009.

25-حسين عبد الحميد رشوان: أضواء على الحياة الاجتماعية، د ط، المكتب الجـــامعي الحديث، الاسكندرية، 1999.

26-حسين مناصرة: المرأة وعلاقتها بالأخر، ط 1، دار فارس، عمان، الأردن، 2002.

27-حسين مناصرة: النسوية في الثقافة والابداع، ط 1، عـــالم الكتـــب، اربـــد، الأردن، 2008.

28-راي بوش: الفقر والليبرالية الجديدة، تر: الهام عبد اروس، وليد سليم، ط 1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.

29-روجر آلن: الرواية العربية: تر: حصة إبراهيم المنيـــف، د ط، المجلـــس الأعلـــى للثقافة، 1998.

30-زينة أحمد: المرأة في التراث العربي: حب، جمال، نعمة، نقمة، طائف، مكائد، ط01، دار المناهل، لبنان، 1993.

31-سامي يوسف أبو زيد: الأدب الجاهلي، ط 1، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2011.

32- ساندي سالم أبو سيف: الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ط 1، دار الشروق، عمان، الأردن، 2008.

33-سعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2007.

34-سمير سعيد حجازي: النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، ط 1، مؤسسة طيبة، القاهرة، 2005.

35-سمير عبد الوهاب أحمد: أدب الأطفال، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ط 1ن دار المسيرة، عمان، الأردن، 2006.

36-سناء طاهر الجمالي: صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية، ط 1، دار الكنوز للمعرفة، عمان، الأردن، 2010.

37-سيغموند فرويد: تفسير الأحلام، تر: مصطفى صفوان، د ط، دار المعارف، القاهرة، 1959.

38-الشريف حبيلة: الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، اربد، الأردن، 2010.

39-شرين أبو النجا: عاطفة الاختلاف، ط 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998.

40-شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، ط 10، دار المعارف: د ت.

41-شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ط 19، دار المعارف، القاهرة، د ت.

42-صلاح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ط 2، دار الشروق، 2009.

43-طه وادي: الرواية السياسية، (د ط)، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، 2003.

44-عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، د ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2007.

45-عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة، ط 1، دار محمد علي، 2003.

46-عبد العزيز ضويو: التجريب في الرواية العربية المعاصرة: دراسة تحليلية لنصوص روائية حديثة، ط 1، عالم الكتب الحديث اربد، الأردن، 2014.

47-عبد القادر شيبة الحمد: الجامع الصحيح للبخاري، ط 1، ج 1، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2008.

48-عبد الله بن محمد المديثر: المرأة وذرائع الإسترقاق في السياسات الغربية، ط 1، دار الوعي، الرياض، 1436هـ.

49-عبد الله محمد الغذامي: المرأة واللغة، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006.

50-عبد النور إدريس: النقد الجذري، ط 1، دار فضاءات، عمان، الأردن، 2013.

51-عدنان حب الله: التحليل النفسي للرجولة والأنوثة من فرويد إلا لاكان، ط 1، المركز العربي للأبحاث والتحليل، الفرابي، لبنان، بيروت، 2004.

52-عزيزة مريدن: القصة والرواية، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971.

53-علي الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي، د ط، دار غريب، القاهرة، د ت.

54-عمر رضا كحالة: الحب برهان، ط 1، مؤسسة الرسالة، 1978.

55-غازي طليمات: الأدب الجاهلي، د ط، دار الفكر، 2002.

56-فايزة محمد داود: على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد، د ط، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2014.

57-فتحي بوخالفة: التجربة الروائية المغاربية، دراسة في الفعاليات النصية وآليات القراءة، ط 1، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2010.

58-فدوى الجندي: الحجاب بين الحشمة والخصوصية والمقاومة، تر: سهام عبد السلام، ط 1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016.

59-فرانسكواز كريمو: من المقدس إلى القدسات، تر: محمد جديدي، مؤمنون بلا حدود، المقدس والسردات الكبرى، د ط، 2016.

60-فيدريكو مايور: عالم جديد، تر: خليل خلفان، ط 1، دار المنار، بيروت، 2002.

61-كاثرين بولوك: نظرة الغرب إلى الحجاب، تر: شكري مجاهد، ط 2، العبيكان والكلمة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011.

62-كريست كارول بي: الصوفية النسوية، تر: مصطفى محمود، ط 1، دار آفاق، القاهرة، 2006.

63-كولن ولسن: اللامنتمي، ط 5، دار الآداب، بيروت، لبنان، 2004.

64-كوماريجايا واريديا: النسوية والقومية في العالم الثالث: تـــر: ضـــحوك رقيـــة، ط1، الرحبة دمشق، سوريا، 2016.

65-ليلى محمد بلخير: قضايا المرأة في زمن العولمـــة، د ط، دار الهـــدى،عين مليلـــة، الجزائر، 2006.

66-محسن عوض: قضايا التهميش والوصول إلى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، د ط، القاهرة، 2012.

67-محمد الشحات: سرديات المنفى، ط 2، أزمنة، عمان، الأردن، 2006.

68-محمد زروق : صورة الجاهلية، ط 1، دار جرير، عمان، الأردن، 2012.

69-محمد شيخ: المثقف والسلطة، ط 1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1991.

70-محمد صابر عبيد: التنوير الروائي، إستراتيجية العلامة، فضاء التأويل، ط 1، عـــالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2015.

71-محمد مندور: الأدب ومذاهبه (د ط)، نهضة مصر، القاهرة، مصر، 2004.

72-مرتضى الزبيدي: اتحاف السادة المتقين بشرح أحياء علـــوم الـــدين: م 9، الطبعـــة الميمية، 2012.

73-مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، ط 9، الدار البيضاء، المغرب، 2005.

74-مصطفى لطفي المنفلوطي: النظرات، ج 1، ط 1، مكتبة الهلال، مصر، 1923.

75-معتز الخطيب: العنف المستباح، ط 1، دار المشرق، القاهرة، 2017.

76-معنى خليل عمر: علم المشكلات الاجتماعية، ط 1، دار الشروق، فلسطين، 1991.

77-موضي الزهراني: نساء مضطهدات، ط 1، الانشار العربي، بيروت، لبنان، 2011.

78-ميشيل مان: موسوعي العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختـــار الهـــواري، د ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999.

79-نادية هناوي: الجسدنة بين المحو والخط، ط1، مقاربات في النقد الثقـــافي، لبنـــان، 2016.

80-نازك الأعرجي: صوت الأنثى، د ط، دار الأهالي، دمشق، سوريا، 1997.

81-نجم عبد الله كاظم: الرواية العربية المعاصرة والآخر، ط 1، عالم الكتب الحـــديث، اربد، الأردن، 2007.

82-نزية أبو نضال: التحولات في الرواية العربية، ط1، دار الفارس، عمان، 2006.

83-نصر حامد أبو زيد: النص والسلطة والحقيقة، إرادة المعرفة وإرادة الهيمنـــة، ط 5، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2006.

84-نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، ط 1، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2006.

85-نعمان أحمد الخطيب: الوجيز في النظم السياسية، ط1، دار الثقافة، عمـــان، الأردن، 2011.

86-نوال السعداوي: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، ط 2، المؤسســـة العربية، بيروت، 1990.

87-الهادي التيمومي: مفهوم الإمبريالية، د ط، دار محمد علي للنشر صفاقس، تـــونس، 2004.

88-هاني نعمة: شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، ط 1، منشورات الاخـــتلاف، دار الفكر، البصرة، 2013.

89-هويد صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيو ثقافية، ط 1، رؤية، القاهرة، 2015.

90-يمني العيد: الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية، ط 1، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2011.

91-يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط 3، دار المعارف، القاهرة، د ت.

المجلات والدويات:

92-أفكار، ع351، تصدر عن وزارة الثقافة، الأردن، عمان، نيسان، 2018.

93-بين الدين والنوع الاجتماعي والاستعمار، ع25، عمران، 2018.

94-الفقر والتعليم، كلية التربية بالزقازيق، ع85، ج02، 2014.

95-قيادات وناشطات في الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر، ع25، عمران، صيف 2018.

96-اللاجئون الإثيوبيون في السودان وبند الانقطاع، دراسات إفريقية، ع32، 2004.

97-مجلة الجامعة الإسلامية، م17، ع01، 2009.

98-مجلة الخطاب، ع24، جامعة بجاية، 2017

99-مجلة الراوي، النادي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ع23، 2010.

100-مجلة دورية دولية علمية محكمة، ع08، الجزائر، 2018.

101-مجلة فصول، النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج16، ع04، 1998.

102-مجلة نزوى الإلكترونية، ع42، 2009.

103-النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ط01. الفصل 05، مكا المرأة ودورها في المجتمع العربي دراساتي، بيروت، 2003.

الرسائل الجامعية:

104-بايزيد فاطمة الزهرة: الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012.

105-دليلة الباح: المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، "ل م د" كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016.

106-سعاد عبد الله العنزي: صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، أطروحة مقدمة لكلية الدراسات العليا لنيل درجة الماجستير، جامعة الكويت، 2008.

107-عبد العزيز بن محمد علد الله السعودي: حقوق اللاجئين بين الشريعة والقانون، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2007.

المنتديات والملتقيات:

108-الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين، 1951 مؤتمر الأمم المتحدة للمفوضين بشأن اللاجئين وعديمي الجنسية، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2010.

109-المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، تحديد وضع اللاجئ، برنامج التعليم الذاتي06، مطبوعات المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، 2005.

110-ملتقى علمي تنظمه جامعة نايف للعلوم الأمنية، كلية العلوم الاستراتيجية، الرياض، 2011.

111–منتدى سور الأزبكية، دراسة نقدية إسلامية، ط01، دار القلم، القاهرة، 2004.

112–الندوات بندوة الصوت النسوي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2012.

المعاجم والقواميس:

113–إبراهيم مصطفى: المعجم الوسيط، ج01، (د.ط)، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، (د.ت).

114–ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، مج15، ط01، دار صادر، بيروت، لبنان، 2000.

115–أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، م02، ط01، عالم الكتب، القاهرة، 2008.

116–بولآرون، معجم المصطلحات الأدبية، تر: محمد محمود، ط01، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، 2012.

117–عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، ج03، المؤسسة العربية.

118–محمد إبراهيم فيروز أبادي: القاموس المحيط، ج02، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999.

المواقع الإلكترونية:

119- www.kataramonels.com

120- http:///www.refnorl.rgogo....موقع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين

فهرس الموضوعات

المقدمة	أ
مدخل: قضايا الرواية العربية المعاصرة	05
الفصل الأول: قضية الهامش والمركز في الفكر الإنساني	28
المبحث الأول: الهامش الاجتماعي	29
المطلب الأول: الهامش	29
لغة	29
اطلاحا	30
السمات	31
المطلب الثاني: المرأة المهمشة	32
1- صور المرأة	32
المستسلمة	33
المستغلة	34
المعنفة	35
العشيقة	36
2- المرأة على مر العصور	37
بداية الخلق	37
العصر الجاهلي	40
صدر الإسلام	43
عند الفلاسفة	48
عند المتصوفة	51
عند علماء النفس	53
3- المرأة /الكتابة	54
أ- الكتابة النسوية	54
الكتابة النسائية	56

الكتابة المؤنثة	58
ب- الكتابة الجندرية	59
ج- صور المرأة في كتابات الرجل	60
المطلب الثالث: المهمش الاقتصادي والجغرافي	62
1- الفقير (الصعاليك)	62
2- اللاجئ	64
3- المدينة /القرية (الريف)	67
المطلب الرابع: المهمش الديني	67
1- الحجاب والنقاب.	68
2- رؤية الغرب للمسلمين.	70
المبحث الثاني: المركز	74
المطلب الأول: مفهوم المركز	74
لغة	74
اصطلاحا	74
المطلب الثاني: السلطة والسياسة	75
1- في الجاهلية	76
2- في الإسلام	77
المطلب الثالث: فساد السلطة والسياسة	78
المطلب الرابع: هيمنة السلطة	79
1- السلطة والإرهاب	79
2- السلطة والمثقف.	80
3- السلطة الاجتماعية	81
4- السلطة الأبوية	82
الفصل الثاني: الهامشي في رواية "منتجع الساحرات" وتأثيره في المركز	84

المبحث الأول: المهمش اجتماعيا	87
المطلب الأول: المرأة .... اللاجئة	87
المطلب الثاني: الفقير ... اللاجئ	109
المبحث الثاني: هيمنة السلطة (المركز)	121
المطلب الأول: السلطة والسياسة (المؤسسة)	121
المطلب الثاني: سلطة النفوذ (الفرد)	127
المبحث الثالث: تأثير الهامش الاجتماعي على المركز	134
المطلب الأول: تأثير المهمش على المهمش	134
المطلب الثاني: تأثير الهامش على المركز.	145
الخاتمة	152
قائمة المصادر والمراجع	155
فهرست	167